

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعوة والإعلام

قسم الدعوة والاحتساب

أساليب القصص

في الدعوة إلى الله

دراسة تحليلية تقويمية على عينة من القصص من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية

عهد الدولة العباسية

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد الطالب / عبدالله بن إبراهيم الطويل

إشراف الدكتور / إبراهيم بن صالح الحميدان

العام الجامعي ١٤٢٩-١٤٣٠هـ

وقد أسهم بعض المستشرقين في تدعيم الجانب السلبي بنشرهم الكثير من تراث الفُصّاص من المتقدمين، وتسليط الضوء على كثير منهم، والحديث عنهم على أنهم علماء الإسلام، وجعلوا من زلاتهم فرصة ومدخلاً للطعن في تعاليم الشريعة، بل لقد أصبح الحديث عنهم مجالاً رحباً عند غير المسلمين مثل جولد زيهر في كتابه دراسات إسلامية، وآدم متز في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، وتوماس آرنولد في كتابه الدعوة في الإسلام وغيرهم.

وعلى كل فإن هناك جملة من المباحث الدعوية الخاصة بموضوع القصص لازالت بحاجة إلى جمع وتحريير ورصد وتحليل لتقويمها والاستفادة من نتائجها. ولعلي لا أكون مبالغاً حينما أقول: إن موضوع الفُصّاص لا يزال غضاً طرياً بحاجة إلى كثير من البحوث والدراسات حتى تصل به إلى مرحلة النضج.

يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: ((والمسلمون في العصر الحديث ما يزالون مقصرين في دراسة هذا الموضوع، وهو بحاجة إلى دراسة متأنية وتعمق كاف))^(١).

ويقول الدكتور عبدالله إبراهيم: ((ندر أن عولج موقف الإسلام من القصص، فهذا موضوع غامض ومبهم، وظل مطويّاً في تضاعيف المصادر القديمة، ولم يتعرض إليه الكثيرون، إما خوفاً وإما جهلاً))^(١).

إن تراث الدعوة الإسلامية منذ صدر الإسلام ومروراً بالعهدين الأموي والعباسي يضم ثروة هائلة من نصوص القصص الوعظية التي استخدمت في الدعوة إلى الله، ولكن لكل عصر ظروفه الاجتماعية والثقافية والسياسية مما يعكس هذه التأثيرات على نصوص القصص وموضوعاته .

((وإن صدور بعض الدراسات عن الفُصّاص.... وعرض الموضوع بالمنهج العلمي بعيداً عن العواطف والانفعالات والخطابيات أمر نافع أعظم النفع، وربما يكون وسيلة لإصلاح الصادقين من الوعاظ والفُصّاص))^(١).

()

()

()

وقد أشار عليّ شيخي العزيز الدكتور عبدالله بن إبراهيم اللحيان بأن يكون بحث الفصّاص موضوعاً لرسالة الدكتوراه، فأخذ يذكي جذوته، ويروي بذرته فوافق هذا ما كنت أذندن حوله وأتطلع إليه فجزاه الله خيراً. إلا أنني كنتُ وجلّاً من الإقدام عليه، لعدم تيقني في إمكانية الوصول إلى نتائج جديدة، لكن بعد استشارة أساتذتي؛ اطمأنت نفسي، وعقدت العزم على بحث هذا الموضوع مستمداً العون من الله- عزّ وجلّ- وأنّ ثمة ضرورة تستدعي دراسته بشكل جديد، وبحث مستفيض؛ بحيث تُطرح فيه كل ما ورد من آراء وروايات مع مناقشتها بروح علمية بحته؛ على علم مني بما يتطلبه ذلك من جهد في التنقيب في المصادر عن النصوص التي يمكن أن تكشف عن حقيقة القصاص وحالهم .

وهذا تطلب مني الرجوع إلى مصادر متنوعة في التفسير والتاريخ والأدب ومصطلح الحديث وكتب الرجال وغير ذلك؛ إذ الاعتماد على نوع معين من المصادر دون النظر في المصادر الأخرى استقراء ناقص يؤدي إلى إدراك الصورة بعيدة عن الحقيقة، هذا إذا كانت المصادر على درجة متساوية من الصحة والدقة، فكيف إذا كانت المصادر المعتمد عليها غير موثوق بها والمصادر المتروكة هي الأوثق.

ولقد سعيت إلى تقديم دراسة شاملة موسومة بـ: "أساليب القصاص في الدعوة إلى الله. دراسة تحليلية تقويمية على عينة من القصص من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية عهد الدولة العباسية"

وأشير هنا إلى ملاحظة مهمة قد تعترض القارئ ألا وهي الإسهاب في الباب الأول من هذا البحث في الوقت الذي كان الإيجاز نصيب الباب الثاني. والواقع أن ذلك أمر ضروري استدعته طبيعة البحث. فالباب الأول يعدّ التأسيس النظري لهذا الموضوع نظراً لما يحويه من جوانب متعددة تتطلب مزيداً من التفصيل والتدليل معززاً بالنصوص التاريخية اللازمة، من غير تعرض لنقدها. فذلك ما أرجأته للباب الثاني .

أولاً: أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- الإسهاب في إيجاد دراسة تخصصية تكون مرجعاً في موضوع القصاص، لاسيما مع عدم وجود دراسة علمية تناولت هذا الموضوع .
- ٢- كثرة المستخدمين من الدعاة للأسلوب القصصي، ومنهم المجيد ومنهم المقصر. ولهذا كانت هذه الدراسة تسعى إلى إخراج بحث علمي محكم يضبط الاستخدام الأمثل لهذه الوسيلة الدعوية المهمة .
- ٣- أهمية تقويم دعوة القصاص في المجتمع المسلم، فهم يخاطبون جل شرائح المجتمع.

ثانياً: أهداف الدراسة:

أ/ أهداف الجانب النظري:

- ١- التعرف على مشروعية القصص في الدعوة إلى الله، وضوابطها.
- ٢- التعرف على تاريخ القصص وخصائصهم.
- ٣- الكشف عن أبرز موضوعات القصص ومصادرهم .
- التعرف على أصناف القصص وأهدافهم.
- ٥- التعرف على موقف العلماء والحكام والعامّة من القصص.

ب/ أهداف الجانب التحليلي:

- ١- التعرف على مصادر الاستشهاد في أساليب القصص في العهود الثلاثة .
- ٢- التعرف على القضايا الرئيسية في أساليب القصص في العهود الثلاثة
- ٣- التعرف على أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصص في العهود الثلاثة.
- ٤- التعرف على خصائص أساليب القصص في العهود الثلاثة .
- ٥- التعرف على أوجه الاتفاق والاختلاف بين العهود الثلاثة.
- ٦- التعرف على أبرز نتائج الدراسة التحليلية في العهود الثلاثة .
- ٧- التعرف على أوجه الاستفادة من نتائج الدراسة التحليلية في العصر الحاضر

ثالثاً: تساؤلات الدراسة:

أ- تساؤلات الجانب النظري:

- ١ - ما مشروعية القصص في الدعوة إلى الله؟ وما ضوابطها؟
- ٢- ما تاريخ القصص؟ وما خصائصهم؟
- ٣- ما أبرز موضوعات القصص؟ وما مصادرهم؟
- ٤- ما أصناف القصص؟ وما أهدافهم؟
- ٥- ما موقف العلماء والحكام والعامّة من القصص؟

ب/ تساؤلات الجانب التحليلي:

- ١- ما مصادر الاستشهاد في أساليب القصص في العهود الثلاثة؟
- ٢- ما القضايا الرئيسية في أساليب القصص في العهود الثلاثة؟
- ٣- ما أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصص في العهود الثلاثة؟
- ٤- ما خصائص أساليب القصص في العهود الثلاثة؟
- ٥- ما أوجه الاتفاق والاختلاف بين العهود الثلاثة؟
- ٦- ما أبرز نتائج الدراسة التحليلية في العهود الثلاثة؟
- ٧- ما أوجه الاستفادة من نتائج الدراسة التحليلية في العصر الحاضر؟

رابعاً: الدراسات السابقة:

بالبحث في عدد من المكتبات العامة، والمكتبات المركزية في عدد من جامعات المملكة كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة الملك سعود، والجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، وكذلك زيارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية والاطلاع على دليل الرسائل الجامعية الصادر عنه، وكذلك مكتبة الملك فهد الوطنية لم أجد في هذا الموضوع سوى ما يأتي:

- كتاب الدكتور محمد بن لطفي الصباغ (تاريخ القصص وأثرهم في الحديث النبوي) وهو كتاب مختصر صغير الحجم يقع في (٦٧) صفحة، ومع هذا فهو عظيم النفع متعدد الفوائد تناول المؤلف الموضوع في النقاط الآتية:

١- تعريف القصة وأنواع القصص (١١-٣٧).

٢- آراء بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم في القصص (٣٨-٦٤).

٣- أشهر المصنفات التي ألفت عن القصص (٦٤-٦٦)، وهنا ذكر المؤلف أربعة كتب ارتبطت بموضوع الوضع في الحديث النبوي، وهي:

الأول: القصص والمذكرين لابن الجوزي-رحمه الله-والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور محمد الصباغ، ويقع في (٢٢٠) صفحة، ساق المؤلف أسماء بعض القصص في قرابة (٩٠) صفحة، ثم ذكر أول من قص، ومن ينبغي له أن يقص، وما ورد عن السلف في ذم القصص وسبب ذلك. والمؤلف يورد الآثار بالأسانيد مما أخذ حيزاً ليس باليسير من حجم الكتاب، ومع ذلك فإن هذا المصنف من أجمع ما ألف عن القصص .

الثاني: أحاديث القصص لشيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد الصباغ، والكتاب عبارة عن مجموعة من الأحاديث التي يكثر القصص من إيرادها في وعظهم، بلغت (٧٩) حديثاً، سئل عنها شيخ الإسلام-رحمه الله- فأجاب بالحكم عليها، وجلها باطل أو ضعيف .

الثالث: الباعث على الخلاص من حوادث القصص للعراقي-رحمه الله- والكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور محمد الصباغ، وهو صغير الحجم، يقع في (٥٠) صفحة. ويلاحظ أن كلام المؤلف قليل جداً، وقد خلا الكتاب من الفصول والعناوين، وركز المؤلف فيه على النقاط الآتية: ١- التحذير من القصص بعامة.

٢- إنكار الصحابة على القصص.

٣- فضل مجالس العلم، والنهي عن قراءة كتب الصوفية.

الرابع: تحذير الخواص من أكاذيب القصص للسيوطي-رحمه الله-وهو مطبوع بتحقيق الدكتور محمد الصباغ، والكتاب اختصار لكتاب ابن الجوزي .

وهناك كتب أخرى تناولت الموضوع ولكن من جوانب يسيرة، من ذلك مثلاً:

- بعض الذين صنفوا عن الأحاديث الموضوعية: كابن الجوزي-رحمه الله- في مقدمة كتابه ((الموضوعات))، فقد أشار إلى أن من أسباب وضع الأحاديث هم

القصاص، وتحدث عن ذلك في قرابة خمس صفحات، وكذلك علي القاري- رحمه الله- في مقدمة كتابه ((الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة))، فقد أشار إلى نبذة من أخبار القصاص الجهلة في (١٥) صفحة، وجل ما كتبه مستفاد من كتاب ابن الجوزي .

- بعض الذين صنفوا في البدع: ومن أوسع ما رأيت ما كتبه الطرطوشي- رحمه الله- في كتابه ((الحوادث والبدع)) فقد عقد فصلاً في تسع صفحات بعنوان: بدعة القصاص في المسجد .

- رسالة دكتوراه بعنوان "وسائل الدعوة وأساليبها في العصر العباسي الثاني" للشيخ سليمان بن عبد الله الحبس. وقد تناولت الدراسة القصاص في (١١) صفحة موضحاً ما قام به القصاص من وضع الأحاديث الباطلة، ونشرها بين الناس، وإتيانهم بالغريب من القصاص، ثم ساق بعض الأمثلة على ذلك. وقد ركزت هذه الدراسة على الجانب السلبي للقصاص .

خامساً: منهج البحث:

تدرج هذه الدراسة في إطار الدراسات التي ((تهدف إلى جمع الحقائق والبيانات عن الظاهرة المدروسة، وتفسيرها، وتحليلها تحليلاً شاملاً، واستخلاص نتائج مفيدة تؤدي إلى إصدار تعميمات بشأن الظاهرة التي يقوم الباحث بدراستها))^(١).

والظاهرة التي سأقوم بدراستها هي: أساليب القصاص في الدعوة في عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي والعهد العباسي .
وسأستخدم من المناهج ما يأتي:

١- المنهج التاريخي: وهو المنهج الذي يدرس الظاهرة القديمة من خلال الرجوع إلى أصلها، ويسجل تطوراتها، ويفسر هذه التطورات^(٢). وقد قسمت محتويات الجانب النظري في هذا البحث على أساس هذا المنهج علماً أن المنهج التاريخي ليس سردياً فحسب، بل هو محاولة للتفسير في الحاضر والمستقبل^(٣).

()

:

()

- المنهج الاستقرائي: وهو حصر المعلومات حول الظاهرة محل الدراسة وفحصها، وإعطاء حكم عام بصددتها، وتنظيم هذه المعلومات المتوفرة في قالب معين ليستنبط منها نتائج صحيحة تزود الباحث بالمقترحات والحلول^(١).

- منهج تحليل المحتوى: وهو من أنسب المناهج التي يمكن استخدامه في تحليل قصص القصص التي قمتُ بجمعها من مصادرها، والذي هو ((عبارة عن طريقة بحث يتم تطبيقها من أجل معرفة اتجاهات القضية المدروسة التي يتم تحليلها))^(٢).

خطوات تحليل المحتوى:

قمتُ بتحليل محتوى قصص القصص عن طريق الخطوات الآتية:

- ١- تصنيف المحتويات المبحوثة بما يتلاءم مع تساؤلات البحث.
- ٢- تصميم استمارة التحليل: قمتُ بإعداد استمارة تحليل لتوفر له إطاراً محدداً لتسجيل المعلومات التي تفي بمتطلبات بحثه، وبما يتوافق وأغراض التحليل.
- ٣- تصميم جداول التفريغ: وفيها تفرغ المعلومات من استمارة التحليل تفرغاً كمياً^(٣).

تحديد نطاق البحث:

نظراً لأن البحث يستهدف تحليل وتقويم أساليب القصص من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة العباسية، فإن الإطار الزمني للدراسة تحدد بالمدة الواقعة بين عامي ١١هـ-٦٥٦هـ.

هذا ما يتعلق بالنطاق الزمني للبحث، أما النطاق المكاني فسوف نتناول الدراسة المناطق التي كانت خاضعة للخلافة في هذه العهود الثلاثة.

مجتمع الدراسة والعينة:

من خلال حصر القصص ووقفتُ على (١٢٧) قاص على النحو الآتي:-

عهد الخلفاء الراشدين: (١١ - ٤١ هـ)	٩ قصاص
العهد الأموي: (٤١ - ١٣٢ هـ)	٤٥ قاصاً
العهد العباسي: (١٣٢ - ٦٥٦ هـ)	٧٣ قاصاً

() :

()

() :

ووضعتُ حداً أقصى لكل قاص (١٠) قصص وكان اختياري لأول عشر قصص أقف عليها سواء أكانت قصصاً مستقلة أم مضمنة في موعظة. وإذا لم يتوفر للقاص إلا أقل من هذا العدد فتم اختيارها جميعها، أما القاص الذي لم أجد له قصة فقد استبعد، ثم قمتُ باختيار عينة تشكل (٢٠٪) من عدد القصص^(١).

طريقة اختيار العينة:

بعد اكتمال عدد مجتمع الدراسة والذي بلغ (١٠١٥) قصة قمتُ بالاختيار عن طريق العينة العشوائية المنتظمة؛ والتي (يتم فيها اختيار المفردة الأولى من العينة بطريقة عشوائية، ثم يمضي الباحث في اختيار بقية المفردات على أبعاد رقمية منتظمة بين المفردات بحيث تكون المسافة بين أي وحدتين متتاليتين ثابتة في جميع المجالات)^(١).

وهذه الطريقة هي من أنسب الطرق لاختيار العينة المدروسة؛ وذلك لسهولة اختيار مفردات العينة، وتفاذي الانتقائية واحتمالات التحيز، ولأنها تعطي نتائج دقيقة في معظم الأحوال، وقد بلغت العينة (٢٠٣) قصص، وهي تمثل (٢٠٪) من مجتمع الدراسة.

ضابط القصص المدروسة: التزمتُ بأن لا أذكر القصص إلا ممن وصف بأنه (قاص) في كتب التراجم ونحوها. وأن تكون القصة متضمنة لموعظة وتذكير، فكل قصة ليس لها توجه دعويّ فليست محلاً للدراسة، فالقصص الأخباري^(١) مثلاً القائم على الحكايات والأساطير والنوادر ونحوها ليس داخلاً في البحث. علماً بأنني اخترت القصص بناءً على وصف السلف لهم، فلم أجتهد في جعل الملابس التي حوله أو النظر في مواعظه سبباً لأن أطلق عليه صفة قاص، كما أشير بأنني لستُ معنياً هنا ببيان المستوى الفني لهذه القصص، أو بنيتها الأدبية، أو بنائها اللغوي، أو حيكاتها القصصية، فذاك باب آخر له أهله.

() :

() :

() :

منهج الكتابة:

- ١- عزوت الآيات القرآنية إلى مواطنها من القرآن الكريم بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- ٢- خرّجت الأحاديث النبوية عند أول ذكر لها، فإن روى الحديث الشيخان أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإلا نقلت كلام أهل العلم في الحكم على الحديث.
- ٣- ترجمت لمن وقفت عليه من القصاص في العصور الثلاثة، وجعلت ذلك في المتن عند الحديث عن تاريخ القصاص، أمّا من سواهم من الأعلام فلم أعرف بأحد منهم، مشهورهم ومغمورهم، إذ كانوا في طيات البحث كثير، وللتراجم كتب متخصصة، وفي نقلها إقبال للبحث.
- ٤- اتبعت في حالة النقل عن المصدر بالنص الإحالة عليه بذكر اسم الكتاب والجزء والصفحة، وفي حالة النقل بالمعنى بذكر ذلك مسبقاً بكلمة: انظر.
- ٥- عزوت نصوص وآراء العلماء وغيرهم إلى كتبهم مباشرة، فإن لم أتمكن من ذلك عزوتها إلى من نقلت عنهم. وأشير هنا بأني حرصت على أن تكون هذه الدراسة أصيلة في مصادرها، لذا حاولت جهدي أن أجعل كتب السلف ومن تبعهم من أهل العلم المحققين هي المرجع الأول في هذا البحث والاستغناء عن النقل بواسطة؛ وفي ذلك علو في الإسناد لا يخفى، كما أنني أكرر بعض النقولات في أكثر من موضع لمناسبتها أكثر من موضوع.
- ٦- بينت ما ورد في البحث من ألفاظ غريبة، أو مصطلحات بحاجة إلى بيان.
- ٧- عرّفت بالفرق والطوائف والبلدان والمدن الواردة في البحث.
- ٨- رتبت المراجع في الحاشية- غالباً- ترتيباً تاريخياً، ومنهجي في ذلك؛ أن أذكر اسم الكتاب، ثم اسم المؤلف، ثم اسم دار النشر، ومكانها، ورقم الطبعة، والعام الذي طبعت فيه، واسم المحقق. وما أغفل فيعني ذلك عدم وروده في الكتاب، هذا عند أول ذكر للكتاب ثم أكتفي بذكر العنوان فقط.
- ٩- مهدت لبعض الموضوعات بما يوضحه من تعريف أو بيان إن احتاج المقام لذلك، وإلا فالأصل في البحث الإيجاز وترك الإطناب.
- ١٠- اعتنيت بضبط الألفاظ التي يترتب على عدم ضبطها شيء من الغموض أو اللبس.
- ١١- اعتنيت بصحة البحث وسلامته من الناحية اللغوية والإملائية والنحوية.
- ١٢- اعتنيت بعلامات الترقيم قدر الإمكان.
- ١٣- وضعت فهرس تقرب الاستفادة من البحث.

سادساً: تقسيمات الدراسة:

المقدمة المنهجية، وتتضمن:-

- ١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- ٢- أهداف الدراسة.
- ٣- تساؤلات الدراسة.
- ٤- الدراسات السابقة.
- ٥- منهج البحث.
- ٦- تقسيمات الدراسة.

التمهيد وفيه:

التعريف بالمصطلحات الرئيسية وذات الصلة.

الباب الأول: الدراسة النظرية:

الفصل الأول: مشروعية القصص في الدعوة إلى الله، وضوابطها.

المبحث الأول: مشروعية القصص في الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني: ضوابط القصص في الدعوة إلى الله.

الفصل الثاني: تاريخ القصص وصفاتهم.

المبحث الأول: تاريخ القصص.

المبحث الثاني: صفات القصص.

الفصل الثالث: موضوعات القصص ومصادرها.

المبحث الأول: موضوعات القصص.

المبحث الثاني: مصادر القصص.

الفصل الرابع: أصناف القصص وأهدافهم.

· :
· :

الفصل الخامس : موقف العلماء والحكام والعامّة من القصّاص.

المبحث الأول: موقف العلماء من القصّاص.

المبحث الثاني: موقف الحكام من القصّاص.

المبحث الثالث: موقف العامّة من القصّاص.

الباب الثاني: الدراسة التحليلية:

التمهيد وفيه:

إجراءات الدراسة التحليلية.

الفصل الأول: الدراسة التحليلية لأساليب القصّاص في عهد الخلفاء

الراشدين.

المبحث الأول: مصادر الاستشهاد في أساليب القصّاص.

المبحث الثاني: القضايا الرئيسية في أساليب القصّاص.

المبحث الثالث: أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصّاص.

المبحث الرابع: خصائص أساليب القصّاص.

الفصل الثاني: الدراسة التحليلية لأساليب القصّاص في العهد

الأموي.

المبحث الأول: مصادر الاستشهاد في أساليب القصّاص.

المبحث الثاني: القضايا الرئيسية في أساليب القصّاص.

المبحث الثالث: أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصّاص.

المبحث الرابع: خصائص أساليب القصّاص.

الفصل الثالث: الدراسة التحليلية لأساليب القصّاص في العهد العباسي.

:

:

:

:

الفصل الرابع: مقارنة نتائج الدراسة التحليلية وتقويمها

·
·
·

الخاتمة:

وإني أمل أن يكون هذا البحث قد قدم أساساً جديداً وسليماً لدراسة أساليب القصص ومنهجهم؛ فإن معظم الكتابات التي اطلعتُ عليها كانت متأثرة بالصورة المشوهة التي شاعت بين بعض الدارسين وطلبة العلم.

وبعد: فإن من واجبي في هذا المقام أن أزجي الشكر الوافر لكل من أعانني لإتمام هذا البحث، وأول الشكر وآخره وظاهره وباطنه لله-عزّ وجل- على نعمه الكثيرة وآلائه الجليلة، فله الشكر كله، وله الحمد كله، لا أحصي ثناء عليه، ثم لوالديّ الكريمين حفظهما الله-تعالى- على حرصهما على حسن تربيّتي وعظيم عنايتهما بي؛ فاللهم ارحمهما كما ربياني صغيراً .

وأشكر فضيلة الدكتور إبراهيم بن صالح الحميدان المشرف على هذه الرسالة عرفاناً بجهوده المتواصلة في النصح والتوجيه، والتصحيح والتعقيب فجزاه الله خيراً.

وأشكر فضيلة المناقشين الكريمين على ما أمضياه من وقت وبذلا من جهد في سبيل قراءة هذا البحث وتسديده وتقويمه.

كما أشكر هذه الجامعة المباركة-جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأخصّ كلية الدعوة والإعلام ممثلة بعميدها ووكلائه، وسأبقى-بإذن الله-حافظاً معروفاً ومشايخي وأساتذتي بقسم الدعوة والاحتساب على كل جهد قدموه، ونصح بذلوه .

ولا يفوتني في هذا المقام أن أشكر جامعة الملك سعود التي وافقت على ابتعائي وتفريغي طيلة مرحلة الدكتوراه .

والشكر الخاص لإخوتي وأهل بيتي الذين أحاطوني باهتمامهم، وبذلوا صادق دعواتهم، فجزاهم الله خير الجزاء .

وقبل الختام؛ فلا أدعي أبداً أنني استكملتُ جميع جوانب البحث؛ فالنقص من طبيعة البشر ولكني -علم الله-بذلتُ جهدي، وحرصت على أن يظهر بالصورة المناسبة، مع اعترافي بقلة علمي، وضعف اطلاعي. و((المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل من منشئه))^(١) .

()

(/)

أسأل الله أن يغفر زلة ما خطت يميني، وأن يتجاوز عن شهوة ما استشرفت
نيتي. وما قيمة البحث إذا لم يحظ من الله بالرضا والقبول؟!
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى
آله وصحبه أجمعين.

التمهيد:

لما كان الإلمام بمصطلحات البحث هو المدخل الأساس له، كان لابد من تعريفها وبيانها، ولذا عقد هذا المبحث. وفيما يأتي أبرز المصطلحات :

١ / الأساليب:

أ/ التعريف اللغوي:

الأساليب: جمع أسلوب، وهو مشتق من سلب، يسلب، سلباً، وسلوباً^(١).

وللأسلوب في اللغة معان متعددة من أبرزها:

-الطريق، يقال: هو على أسلوب من أساليب القوم: أي على طريق من طرقهم^(٢).

-والفن، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي في فنون منه^(٣).

وانسلب: ((أي أسرع في السير جداً))^(٤).

والسلب: هو نزع الشيء من الغير على سبيل القهر^(٥).

والسليب: هو الرجل المسلوب^(٦).

والأساليب: هي الفنون المختلفة^(٧).

() ()

: (/) ()

-

(/) ()

()

: ()

(/) () : ()

() () : ()

: ()

: ()

(/) ()

: ()

ب/ التعريف الاصطلاحي:

اختلفت التعريفات الاصطلاحية للأسلوب، فمما قيل في ذلك، أن الأسلوب هو:

-((الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))^(١).

-وقيل:((هو اختيار الألفاظ وترتيبها في شكل له أثره وطابعه في اللغة المستعملة))^(١).

-وقيل:((هو الطريقة التي يستخدمها الداعية للعبور إلى نفس المدعو وإقناعه))^(١).

-وقيل:((هي الكيفيات التي يتم بها أداء الدعوة وتبليغها))^(١).

-وقيل:((هي فنون الدعوة وهي الشكل الذي يتم به الأداء))^(١).

وأجود ما وقفت عليه أن الأسلوب في اصطلاح الدعاة هو: عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم وما يجب لكل مقام من المقال^(١).

وأجمل ذلك بعضهم بقوله:((هي الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته))^(١).

()

(/) .

()

()

()

(/) .

()

() :

٢ / القُصَّاص:

جمع قاصّ. والقاصّ كما قال السمعاني-رحمه الله-: ((بفتح القاف، وفي آخرها الصاد المشدّدة المهملة نسبة إلى القصص والموعظة))^(١).

أما في الاصطلاح: فقد عرّف العلماء القاص بتعريفات كثيرة منها ما يأتي:

١- تعريف الخطابي-رحمه الله-قال: ((القاصّ هو الذي يروي لهم أخبار الماضين، ويسرد لهم القصص))^(١).

وهذا التعريف جعل مهمة القاصّ سرد القصص فقط. وليس ذلك بمسلّم. وبنحوه عرفه النووي؛ فقال-رحمه الله-: ((القاص هو الذي يقرأ القصص على الناس))^(١).

تعريف الزمخشري-رحمه الله-قال: ((الذين يقصّون على الناس ما يرقّ قلوبهم))^(١). وهذا تعريف قاصر فعلم القاصّ أعم من ترقيق القلوب .

- تعريف ابن الجوزي -رحمه الله- قال: ((القاصّ هو الذي يتتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها، وذلك القَصَص. وهو في الغالب مستعمل فيمن يروي أخبار الماضين))^(١). وهذا من أجود ما وقفت عليه وهو المعنى الأقرب لما في هذا البحث .

()

() (/) .

()

(/) .

() :

(/)

()

()

٤- تعريف تاج الدين السبكي-رحمه الله-قال:((القاصّ هو من يجلس في الطرقات يذكر شيئاً من الآيات والأحاديث وأخبار السلف))^(١).

وهذا التعريف فيه نظر؛ فإنه يفهم منه أن القاص لا يجلس إلا في الطرقات، وإن كان يُحتمل أن ذلك كان في زمن السبكي، وإلا فقد كان القصاص -كما سيأتي- يجلسون في المساجد والمنازل والأسواق وغيرها.

- تعريف ابن حجر-رحمه الله-قال:((والقاصّ بتشديد المهملة الذي يقصّ على الناس الأخبار من المواعظ وغيرها))^(٢). وهو تعريف مختصر.

- تعريف المناوي -رحمه الله- قال:((القاصّ الذي يقصّ على الناس ويعظهم ويأتي بأحاديث لا أصل لها، يعظ ولا يتعظ، ويختال، ويرغب في جلوس الناس إليه))^(٣).

وتعريف المناوي ركز على الجانب السلبي للقصاص كما ترى.

والتعريف المختار هو: أن القصاص هم من يعتمدون على إيراد القصص والمواعظ وأخبار المتقدمين والمتأخرين لدعوة الناس وتذكيرهم. ومن هنا يُقال بأن: أساليب القصاص في الدعوة أي: طريقة القصاص في دعوتهم ووعظهم وتذكيرهم .

٣ / القصاص:

أولاً: مفهوم القصاص:

١- لغة: (القصاص)-بكسر القاف-جمع قصة، وهي مصدر من: قصّ، يقصّ، قصّاً، وقصصاً^(٤). ومن معاني القصّ في اللغة:

- تتبع الأثر، يقال: قصصت الشيء، إذا تتبعت أثره شيئاً بعد شيء، ومنه قوله تعالى: (ههـ ٤٤) ^(٥) أي: اتبعي أثره ^(٦).

()

()

(/) .

()

(/) .

() : () (/) .

-الخبر: فالقصص هو الخبر المقصوص، وُضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه^(١).

-الحديث: يقال: اقتضت الحديث، إذا رويته على وجهه، كأنك تتبع معانيه وألفاظه^(٢).

- اصطلاحاً: للكتاب والباحثين تعريفات متنوعة للقصة، وذلك حسب المنهج الذي ينطلقون منه والمورد الذي يستقون منه^(٣) ومن هذه التعريفات:

ما ذكره الرازي أنّ القصة هي ((مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحق، ويأمر بطلب النجاة))^(٤).

وقال غيره من المعاصرين: ((هي كلام حسن في لفظه ومعناه، مشتمل على أحداث حقيقية سابقة، ومتضمن على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الأخلاق))^(٥).

()

()

() (/) .

() (/) . :

() (/) . :

": ()

" ()

:"

()

)): - - : (/) -

(□□□):

((

()

أما في اصطلاح الدعاة فيمكن أن تُعرّف القصة بأنها: سردٌ لأحداث معينة أثناء دعوة الناس لتذكيرهم ووعظهم بالاعتماد على الأخبار والسير الماضية.

ثانياً: الفرق بين القِصص - بفتح القاف - والقِصص - بكسر القاف :-

القِصص - بالفتح - هو فعل القاصّ، وهو: الذي يأتي بالقصة على حقيقتها.

أما القِصص - بالكسر - فهي: الأمر والحديث الذي يُقَصّ .

وفي هذا المعنى يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: ((وليس القِصص - بالفتح - جمع قصة كما يظنه بعض العامة، فإن ذلك يقال في قِصص - بالكسر - واحده قصة، والقصة: هي الأمر والحديث الذي يقص، فعُلّه بمعنى مفعول، وجمعه قِصص - بالكسر - وقوله: (كَمْ) ⁽¹⁾ بالفتح، لم يقل: أحسن القِصص - بالكسر - ولكن بعض الناس ظنوا أن المراد: أحسن القِصص - بالكسر -، وأن تلك القصة قصة يوسف، وذكر هذا طائفة من المفسرين)) ⁽²⁾. ومن هنا يقال: بأنّ القِصص - بالفتح - طريقة تبليغ القِصص - بالكسر -.

ثالثاً: أنواع القِصص:

١ - أنواع القصة باعتبار طولها وقصرها: وهي على أربعة أنواع:

النوع الأول: الرواية. النوع الثاني: القصة.

النوع الثالث: القصة القصيرة. النوع الرابع: الأقصوصة ⁽³⁾.

- أنواع القصة باعتبار موضوعها: وهي على نوعين:

() :

() :

(/) .

() : "

": "

": "

."

النوع الأول: القصة الدينية الوعظية: ومادتها القصص الدينية الواردة في الكتاب والسنة والسير، وكتب التفاسير، والإسرائيليات، وكتب التصوف. وغايتها الوعظ والإصلاح وترقيق القلوب والتخويف من المعاصي ونحو ذلك.

النوع الثاني: القصة الشعبية: ومادتها القصص التاريخية والأدبية والحكايات الشعبية والنوادر المسلية^(١).

- أنواع القصة باعتبار واقعيتها: وهي على نوعين:

النوع الأول: القصة الواقعية: وهي القصة التي وقعت في أي عصر من العصور.

النوع الثاني: القصة التمثيلية: وهي التي لم تقع، وتندرج تحتها القصة الخيالية^(٢).

وما يهمنا مما سبق هو: القصة الدينية الوعظية، وهو في أربعة أنواع:

النوع الأول: قصص الأنبياء: كقصة نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وغيرهم عليهم جميعاً أفضل الصلاة والسلام.

النوع الثاني: قصص تتعلق بحوادث غابرة قبل بعثة النبي ﷺ: كقصة طالوت وجالوت، وذي القرنين، وأهل الكهف، وأصحاب الأخدود، وغيرهم.

النوع الثالث: قصص تتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن النبي ﷺ كغزوة بدر وأحد وتبوك، والإسراء والمعراج، والهجرة، ونحو ذلك.

النوع الرابع: قصص السلف الصالح من هذه الأمة المباركة، ففي قصصهم وعبادتهم ومواقفهم أكبر العبر وأعظم العظات لمن أراد أن يتذكر^(٣).

- أنواع القصة باعتبار حكمها: وهي على نوعين:

النوع الأول: القصة المذمومة: وهو القصة الذي يخرج من الالتزام بالمنهج السليم والضوابط الشرعية^(٤) كأن يتطرق إلى الاشتغال بأخبار فيها من زيادة وتحريف، فكان هذا مذموماً لما فيه من المبالغة والكذب.

() :

() :

() :

()

النوع الثاني: القصص المحمود: وهو ما التزم بالمنهج السليم وسار وفق الضوابط الشرعية^(١).

رابعاً: ألفاظ ذات صلة بالقص:

لكلمة (القص) مرادفات متعددة في اللغة العربية، وفي استعمالاتها الشرعية، فكثيراً ما ترد بعض المفردات مرادفاً بها الوعظ والنصح والتذكير والخطابة، كل ذلك يرد بعبارة: القص.

قال ابن الجوزي - رحمه الله - في مستهل حديثه عن القصّ والقصاص: ((إن لهذا الفن ثلاثة أسماء: قصص وتذكير ووعظ، فيقال: قاص، ومذكر، وواعظ))^(١).

لذا؛ فمن المناسب هنا التعريف بهذه الألفاظ، وبيان شيء من معانيها:

١- الوعظ:

أولاً: الوعظ لغة: مصدر من: وَعَظَ يَعِظُ عِظَةً وَمَوْعِظَةً وَوَعِظاً^(١).

ومن معاني كلمة (الوعظ) في اللغة:

- التذكير بالخير فيما يرقّ له القلب^(١).
- النصح والتذكير بالعواقب^(١).
- الكلام الذي يلين القلب بذكر الوعد والوعيد^(١).
- الزجر والتخويف^(١).

() :

()

() : (/) () .

() : (/) () .

() : (/) () .

() :

() (/) . :

(/) .

ثانياً: الوعظ اصطلاحاً:

لما كان الوعظ يقوم على الترغيب والترهيب فقد جاءت تعريفات العلماء للوعظ دائرة حول هذا المعنى، وبعضهم قصر الوعظ على جانب واحد فقط إما الترغيب وإما الترهب.

-فمن جمع بين الترغيب والترهب الإمام ابن القيم حيث قال-رحمه الله-:
(الموعظة هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهب)^(١).

-وممن قصر على معنى واحد الراغب الأصفهاني حيث يقول:(الوعظ زجر مقرون بتخويف)^(١).

وتعريف ابن القيم من أجمع ما رأيت، وفصله الطاهر بن عاشور فقال - رحمه الله - في تعريفه للموعظة بأنها:(الأقوال المشتملة على العظات والعبر التي ترقق القلوب، وتهذب النفوس وتقنعهم بصحة ما تدعوهم إليه، وترغبهم في الطاعة لله تعالى، وترهبهم من معصيته عز وجل)^(١).

٢-التذكير:

أولاً: التذكير لغة:من ذكّر يذكر تذكيراً، وتدور معاني الذكر في اللغة العربية على الحفظ، والاسترجاع، والجريان.

جاء في تهذيب اللغة:(الذكر:الحفظ للشيء تذكُّرُه، والذكر:جَرِيُ الشيء على لسانك.... وقال الفراء: يكون الذكرى بمعنى الذكر، ويكون بمعنى التذكير في قوله تعالى: (ج ج ج ج ج)^(١)^(١).

() :

()

(/)

- -

(/)

- -

- -
(/)

(/) - -

()

(/)

()

: ()

(/) () ()

ثانياً: التذكير اصطلاحاً:

عرفه ابن الجوزي-رحمه الله-بأنه: ((تعريف الخلق نعم الله ﷻ عليهم، وحثهم على شكره، وتحذيرهم من مخالفته))^(١).

وبنحوه قال البغوي-رحمه الله-: ((الذي يذكر الناس آلاء الله ونعماءه ويحثهم على الشكر له))^(٢).

وكثيراً ما يأتي المذكر بمعنى القاص، بل إننا نجد الارتباط في تصور السلف بين القاص والمذكر. يقول عبدالرحمن بن مهدي-رحمه الله-: ((قال لي سفيان: أما لكم مذكر؟ قلت: بلى، لنا قاص))^(٣).

وورد أن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل على رجل يقصّ في المسجد، فقال: ما هذا؟ فقالوا: رجل يذكر الناس^(٤).

وقال عطاء بن يسار-رحمه الله- ((دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة -رضي الله عنها - فقالت: من هذا؟ فقال: أنا عبيد بن عمير، قالت: قاص أهل مكة؟ قال: نعم، قالت: خفف فإن الذكر ثقيل))^(٥).

وبعضهم جعل التذكير من عمل القصاص.

قال حنبل بن إسحاق قلت لعمي^(٦) في القصاص، فقال: ((القصاص الذين يذكرون بالجنة والنار والتخويف))^(٧).

()

()

: (/)

. (/)

()

. (/) (/)

: ()

(/) ()

. (/)

: ()

لذلك رأى بعض العلماء أن مهمة القاص وهدفه هو نوع من التذكير، وقد أشار إلى ذلك الجغرافي الشهير المقدسي البشاري عندما وصف مجالس المذكرين في بيت المقدس^(١) فذكر أنه رأى لأصحاب الإمام أبي حنيفة -رحمه الله- بالمسجد الأقصى مجلس ذكر يقرأ فيه المذكر على الحاضرين من دفتر، ثم أُرِدَ ذلك موضحاً حقيقة هذه المجالس فقال: ((وأن المذكرين به قُصَّاص))^(٢).

٤/ الفرق بين القاصِّ والواعظِّ والمذكر:

ما أودَّ أن أبسط القول فيه هنا هو تحرير لفظة (القصاص) عن غيرها، وهل القاصُّ هو الواعظ والمذكر، أم أن هناك اختلافاً بينهم؟ بعد تتبع كتب المواعظ والتواريخ والتراجم وغيرها، اتضح أن من العلماء من فرَّق بين القاصِّ والواعظِّ والمذكر، ومنهم من جعل القاص هو الواعظ والمذكر.

ويُعدُّ البغوي من أبرز من فرَّق بينهم حيث جعل لكل من القصِّ والوعظ والتذكير تعريفاً خاصاً، يقول -رحمه الله- ((إن المتكلمين على الناس ثلاثة أصناف: مذكر وواعظ وقاص، فالمذكر: الذي يُدَّكر الناس آلاء الله ونعماءه ويحثهم على الشكر له والواعظ: يخوفهم بالله، وينذرهم عقوبته، ويردعهم عن المعاصي. والقاص: الذي يروي لهم أخبار الماضين، ويروي عليهم القصص، فلا يأمن أن يزيد فيها أو ينقص))^(٣).

(/) ()

(/)

:

ﷺ

(/)

(/) .

:

(/)

.

(/)

(/)

(/) .

وكذا صنع ابن الجوزي - رحمه الله - إذ يقول: في تعريف الوعظ: إنه ((تخويف يرق له القلب)). ويقول في تعريف القص: أنه ((رواية أخبار الماضين)). ويقول في تعريف التذكير: إنه ((تعريف الخلق نعم الله ﷻ عليهم، وحثهم على شكره، وتحذيرهم من مخالفته))^(١).

ويلحظ هذا التفريق أيضاً لدى من يعطف القصاص على الوعظ؛ مما يعني أن بينهما اختلافاً كصنيع أبي حامد الغزالي؛ إذ يقول - رحمه الله -: ((ومنها كلام القصاص والوعاظ...))^(١).

وقال ابن الجوزي: ((ذكر تلبيسه على الوعظ والقصاص))^(١).

وقال العزّ بن عبدالسلام - رحمه الله -: ((النوع الرابع: الاغترار بما يحفظ من كلام القصاص والوعاظ والمذكرين))^(١).

إلا أن الغالب في استعمالات السلف هو عدم التفريق بينهم، وجعل القاص والواعظ والمذكر أسماءً لمسمّى واحد.

قال الماوردي - رحمه الله -: ((والفقهاء والمتكلمون والأدباء والنحاة يسمون أهل الذكر والوعظ: قصاصاً))^(١).

بل إن الإمام الذهبي - رحمه الله - قال في ترجمة حماد بن سلمة في السير: ((قلت: القاص هو الواعظ))^(١).

وقال المناوي - رحمه الله - في تعريف القصاص: ((جمع قاص وهو الواعظ))^(١).

() :
() (/)
() ،
() -
()
()
() (/)
()

وقال السمعاني-رحمه الله- عن سبب تسمية القاصّ بهذا الاسم: ((نسبة إلى القصص والمواعظ))^(١).

ومع أن ابن الجوزي يرى التفريق كما مرّ إلا أنه قال -رحمه الله-: ((وقد صار كثير من الناس يطلقون على الواعظ اسم القاصّ، وعلى القاصّ اسم المذكور... وصار اسم القاصّ عامّاً للأحوال الثلاثة))^(٢).

يقول الدكتور محمد الصباغ: ((إنها تسميات متعددة لمسمى واحد، وربما فرّ من تسمية القصاص من يقوم بهذه المهمة هرباً مما لصق بها من ذمّ. والله أعلم))^(٣).

والروايات الدالة على استخدام السلف لمصطلح الوعظ والواعظ والمذكر على القصص والقاص والعكس روايات متعددة، منها :

أن رجلاً جاء إلى ابن مسعود رضي الله عنه فقال: إن قاصّاً يقصّ يقول: إنه يخرج من الأرض الدخان فيأخذ بمسامع الكفار، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، قال: فغضب، وكان متكئاً فجلس، ثم قال: ((إذا سئل أحدكم عما يعلم فليقل به... وإذا سئل عما لا يعلم فليقل: الله أعلم))^(٤) فما ذكره القاصّ كان موعظة فيها شيء من الأسلوب القصصي، وفيها أيضاً ترهيب ونحو ذلك.

()

(/) .

(/) .

()

()

()

(/) ﴿

()

(/)

ودخل علي بن أبي طالب عليه السلام المسجد فإذا رجل يقصّ، فقال: ((ما هذا؟ قالوا: رجل يذکر الناس...))^(١).

قال عبدالرحمن بن مهدي-رحمه الله-: ((قال لي سفيان: أما لكم مذکر؟ قلت: بلى، لنا قاص))^(١).

وقال السمعاني-رحمه الله- في ترجمة منصور بن عمّار-رحمه الله-: ((كان من القُصّاص المحسنين، ولم يكن له نظير في وقته في حسن الوعظ))^(١).

وقال المروزي-رحمه الله-: ((سمعت أبا عبدالله^(١) يقول: يعجبني القُصّاص لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر))^(١).

وقال الأوزاعي-رحمه الله-: ((كان الحسن إذا قصّ القاصُّ لم يتكلم، ف قيل له في ذلك، فقال: إجلالاً لذكر الله عز وجل))^(١).

وقال ابن الحاج-رحمه الله-: ((منع علماؤنا -رحمة الله عليهم- الجلوس إلى القُصّاص، أعني الوعظ))^(١).

وقال الفاكهي-رحمه الله-: ((ذكر القصص بمكة: وهو ذكر الله والدعاء في المسجد الحرام))^(١).

(/) .

(/) .

(/)

(/) .

-

(/)

.

(/) .

:

(/)

بل إن عامة المصادر الشرعية واللغوية والتاريخية والأدبية تتحدث عن القصص مرتبطاً بالوعظ والتذكير، ونادراً ما تفرق هذه المصادر بين لفظة (القصّ) و (الوعظ)^(١).

وعند التحقيق نجد أن هناك تداخلاً كبيراً فيما بينها إلا أن القاصّ أكثر عمومية من الواعظ، فيمكن أن يقال: إنّ كل قاصّ واعظ، ولا عكس؛ لأن قصد القاصّ من القصص غالباً موعظة الناس .

ومما يفرّق به بين القصّاص والوعاظ أن الوعاظ أكثر علماً لاسيما بعلم الحديث^(٢)

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: ((كان الوعاظ في قديم الزمان علماء وفقهاء))^(٣).

أما عن سبب تسمية الوعظ قصصاً، والواعظ قاصاً في استعمالات السلف فهو لأحد ثلاثة معان:

الأول: أنها طريقة يقوم الواعظ فيها بمتابعة المواعظ يوماً بعد يوم، أو خبراً بعد خبر. وهذا مناسب للأصل اللغوي لمعنى كلمة (القصص)^(٤).

قال الرازي: ((قيل للقاص: إنه قاص لا يتبعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقاً. فمعنى القصص الخبر المشتمل على المعاني المتتابعة))^(٥)

وقال العسكري: ((الفرق بين القصص والحديث: أن القصص ما كان طويلاً من الأحاديث متحدثاً به عن سلف، ومنه قوله تعالى (عِ كُ كُ كُ) ^(٦) وقال (قُ قُ قُ

()
() : ()
(/)
(/)
() : ()
()
() : () (/) ()
(/) ()
() ()

ج ج) (١) ولا يقال لله قاص لأن الوصف بذلك قد صار علماً لمن يتخذ القصص صناعة، وأصل القصص في العربية اتباع الشيء بالشيء ومنه قوله تعالى (هـ ع) (١). وسُمِّي الخبر الطويل قصصاً لأن بعضه يتبع بعضها حتى يطول، وإذا استطال السامع الحديث قال: هذا قصص. والحديث يكون عن سلف وعن حضر، ويكون طويلاً وقصيراً. ويجوز أن يقال: القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضاً. والحديث يكون عن ذلك وعن غيره، والقص قطع يستطيل، ويتبع بعضه بعضاً مثل قص الثوب بالمقص، وقص الجناح وما أشبه ذلك. وهذه قصة الرجل يعني الخبر عن مجموع أمره. وسميت قصة لأنها يتبع بعضها بعضاً حتى تحتوي على جميع أمره). (١)

من ذلك ما جاء أن تميمًا الداري رضي الله عنه استأذن عمر رضي الله عنه أن يقصّ فلم يأذن له، ثم استأذنه، فقال له عمر: تقول ماذا؟ قال: أقرأ عليهم القرآن، وأذكرهم وأعظمهم. قال: فأذن له في الأسبوع يوماً واحداً (١). وهذا واضح في أن المقصود: هو الموعدة والتذكير، وأنها تكون في مجالس متتابعة.

الثاني: أنه يكثر في وعظ الفصّاص وتذكيرهم إيراد القصص، وهذا من باب التسمية بالغالب، وهو ظاهر.

يقول أبو إسحاق الشيرازي: ((القاصّ هو الذي يعظ بذكر القصص)) (١).

ويقول السمعاني: ((القاص نسبة إلى القصص والموعظة)) (١).

وفي ذلك يقول الدكتور عبدالله اللحيدان: ((وجدير بالذكر أن الموعدة قد تكون قصة كما كان يحدث في الصدر الأول حيث اتخذت القصة وسيلة لوعظ الناس)) (١).

() ()

() ()

()

(/) .

(/) (/) ()

: (()) :

()

(/) .

(/) () .

الثالث: أن من القصاص من يعمد إلى ذكر الموعظة بأسلوب قصصي، كأن يعمد إلى آية من كتاب الله فيها صورة معينة سواء أكان ذلك للترغيب أم للترهيب، ثم يبدأ بصور تفصيلات هذا المشهد، ويضيف إليه أشياء من مخيلته ليكون أكثر أثراً في النفوس، فإذا قرأ مثلاً قوله تعالى: (كَلَّا كَلَّا إِنَّكَ لِمَنِ الْمَخِيلَتَةُ إِذْ قَرَأْتَ الْقُرْآنَ أَنَّكَ تُسْمِعُونَ) (١) فهذه صورة من الممكن أن يستغلها القاص بمخيلته تارة، أو بوضع صور أخرى للترهيب تارة أخرى. وأمثال هذا كثير. ومن هنا ينشأ ارتباط القصص بالوعظ.

٥/ تحليلية تقويمية:

أما تحليلية: فهي منسوبة إلى التحليل، وتحليل الشيء: بيان أجزائه ووظيفة كل منه (١).

وقد اجتهد نخبة من المعاصرين في وضع تعريفات لتحليل المحتوى، أو ما يسمى بـ (تحليل المضمون) من ذلك أن المراد به: ((وصف منظم ودقيق لمحتوى نصوص مكتوبة أو مسموعة من خلال تحديد موضوع الدراسة وهدفها)) (١).

وقيل إنه ((أسلوب بحثي يهدف إلى الحصول على نتائج صادقة، يمكن الحصول عليها من خلال إعادة الدراسة، وذلك من معلومات تتمثل في المحتوى)) (١).

وفي تعريف أدق: أن تحليل المحتوى هو أسلوب للوصف الموضوعي للمادة اللفظية بحيث يقتصر عمل الباحث على تصنيف المادة اللفظية التي يحللها واستخراج السمات العامة التي تتصف بها، والانتهاء من كل ذلك بتفسير موضوعي ودقيق لمضمونها (١).

()

()

() ()

: ()

() (/) .

()

: ()

: ()

وأما تقويمية: فهي مأخوذة من التقويم. قال ابن دريد: ((قَوِّمْتُ الشَّيْءَ، إِذَا سَوَّيْتُهُ بَعْدَ اعْوَجَاجِهِ، أَقَوَّمْتُهُ تَقْوِيمًا. وَمِنْهُ تَقْوِيمُ الرَّمَحِ))^(١).

والمراد به هنا: عملية تشخيصية تهدف إلى كشف حقيقة الموضوع وبيان قيمته، وإبراز جوانب القوة والضعف.

المبحث الأول

مشروعية القصص في الدعوة إلى الله تعالى

القصة طريقة من طرق البشارة والإنذار، والهداية والإرشاد، وهي إحدى الوسائل الناجحة، والسبل الناجعة لعرض تعاليم الدعوة سهلة واضحة. ولذلك اعتنى القرآن الكريم^(١) والسنة النبوية^(٢) بالقصة عناية عظيمة، بل إن أهمية القصص تبرز بقدر اتصاله بالقرآن والسنة.

(/) ()

: ()

: ()

ولما شاب القصص من الزيادة والتحريف لاقتحام من لا علم له بالقصّ والوعظ، فكذب في الحديث وزاد ونقص، وظهر عليه حب الظهور والسمعة لما كان ذلك؛ قام العلماء بما أوجب الله عليهم من التحذير من أمثال هؤلاء والتنفيذ ر م نهم.

ولذا؛ اختلف علماء السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في مشروعية اتخاذ القصص في الدعوة إلى الله-تعالى- على أقوال متعددة، وفيما يأتي عرض لهذه الأقوال، ثم بيان الراجح.

القول الأول: جواز القصص مطلقاً: وهو قول أنس بن مالك، والحسن

البصري، وابن سيرين، و عطاء.

يقول زياد النميري: ((أتيت أنس بن مالك فقال لي: قصّ، فقلت: كيف والناس يزعمون أنه بدعة؟ فقال: لو كان بدعة ما أمرناك فقصصت، وهو يؤمن^(١))).

وقال الحسن البصري-رحمه الله-: ((القصص بدعة، ونعمت البدعة كم من دعاء مستجاب وأخ مستفاد))^(١).

وقال الأوزاعي-رحمه الله-: ((كان الحسن إذا قصّ القاصّ لم يتكلم، فقيل له في ذلك، فقال: إجلالاً لذكر الله عزّ وجلّ))^(١).

وقيل لابن سيرين-رحمه الله-: ((إن أبا مجلز كان لا يقعد إلى القاصّ، قال: قعد إليه من هو خير منه))^(١).

وعن موسى الجهني-رحمه الله- قال: ((رأيت عطاء بن أبي رباح دعا بخمسة قُصّاص، فقال: قُصّوا في المسجد الحرام))^(١).

القول الثاني: الجواز بشروط:

() :

(/) :

(/) ()

()

()

وأصحاب هذا القول يتفقون على أنّ القصص مشروع ولكن بشروط: فمنهم من أجاز به بشرط تخوّل^(١) الناس بالقصص في الأيام، ومنهم من أجاز به بعد إذن الإمام، ومنهم من أجاز به شريطة العلم والصدق والموعظة الحسنة.

١- أما الجواز بشرط تخوّل الناس بالقصص: فهو قول عائشة-رضي الله عنها- والأوزاعي - رحمه الله - فعن عطاء قال: ((دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت: من هذا؟ فقال: أنا عبيد بن عمير، قالت: قاصّ أهل مكة؟ قلت: نعم، قالت: خفف فإن الذكر ثقيل))^(١)، وفي رواية أنها قالت له: ((اقصص يوماً، لا تملّ الناس))^(١).

بل إنها -رضي الله عنها- نصحت قاص أهل المدينة ابن أبي السائب بقولها: ((قصّ على الناس في كل جمعة مرة، فإن أبيت فاثنتين، فإن أبيت فثلاثاً))^(١).

وسئل الأوزاعي عن القوم يجتمعون فيأمرون رجلاً فيقص عليهم، فقال: ((إذا كان ذلك يوماً بعد الأيام فليس به بأس))^(١).

٢- وأما جواز القصص بعد إذن الإمام: فهو قول الحافظ العراقي. يقول - رحمه الله - [بعد أن ساق الأثر^(١) الذي فيه استئذان تميم الداري من عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- بأن يقصّ]: ((وهذا يدل على أنه ليس لأحد الرعية أن يقصّ إلا بإذن من ولي أمور المسلمين))^(١).

() . : (/) ((
(/)
(/) . (/) ()
(/) . (/) ()
(/) : (/) ()
(/) -
(/) ()
()
()

وجاء في عون المعبود: ((الفصّاص والوعاظ لا ينبغي لهما الوعظ والقصص إلا بأمر الإمام))^(١).

واستدل أصحاب هذا القول بما رواه عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال)^(٢) وفي لفظ (أو مرأٍ)^(٣) وفي لفظ (أو متكلف)^(٤) وكلها بمعانٍ متقاربة^(٥).

٣- وأما الجواز شريطة العلم والصدق والموعظة الحسنة: فهو قول علي رضي الله عنه وأحمد-رحمه الله-

فعن شريح قال ((كنت مع علي رضي الله عنه في سوق الكوفة، حتى انتهى إلى قاصّ يقصّ، فوقف عليه فقال: أيها القاصّ تقصّ ونحن قريب العهد، أما إنني أسألك فإن تخرج عما سألتك وإلا أدبتك، قال القاصّ: سل يا أمير المؤمنين عما شئت، فقال علي رضي الله عنه: ما ثبات الإيمان وزواله؟ فقال القاصّ: ثبات الإيمان الورع، وزواله الطمع، قال علي رضي الله عنه: فمثلك يقصّ))^(٦).

() (/) - -

:

() (/) ()

(/) () .

(/) () ()

(/) () .

(/) (/) ()

()

(()):

(/) .

: ()

() :

(/) () (/) () (/)

()

: (/)

(/)

(/) .

ومرّ عليّ ﷺ بقاصّ فقال له: ((هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هل تعرف المحكم من المتشابه؟ قال: لا، قال: هل تعرف الزجر من الأمر؟ قال: لا، فأخذ بيده فرفعها وقال: إن هذا يقول: اعرفوني اعرفوني))^(١)، ومرّ ﷺ بقاصّ آخر فسأله: ((علمت الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا، قال: هلكت وأهلكت))^(٢).

قال ابن أبي عاصم-رحمه الله-: ((وهذا دليل على امتحان القاص))^(٣).

وقال المروزي: ((قلت لأبي عبدالله^(٤): أفتري الذهاب إلى القصاص؟ قال: أي لعمرى إذا كان صدوقاً لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر))^(٥).

وقال أحمد-رحمه الله-: ((وما أحوج الناس إلى قاصّ صدوق))^(٦).

وسئل عن مجالسة القصاص فقال: ((إذا كان القاصّ صدوقاً فلا أرى بمجالسته بأساً))^(٧).

وقال: ((يعجبني القاص في هذا الزمان؛ لأنه يذكر الشفاعة والصراط))^(٨).

القول الثالث: أن القصاص بدعة محدثة فحكمه التحريم:

وذهب إلى هذا القول: عبدالله بن مسعود، وابن عمر، وصلة بن الحارث، ومالك، والثوري، وأبو عبدالرحمن السلمي، وأبو إدريس الخولاني، وغيرهم. فعن عمرو بن زرارة قال: ((وقف عليّ عبدالله بن مسعود وأنا أقصّ، فقال: يا عمرو لقد ابتدعت بدعة ضلالة أو أنك لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه. فقال عمرو بن زرارة: فلقد رأيتهم تفرقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد))^(٩).

(/) - ()

(/) ()

- - ()

(/) ()

: (/) ()

(/)

وعن سالم مولى ابن عمر أن ابن عمر رضي الله عنهما كان يخرج من المسجد فيقول: ((ما أخرجني إلا صوت قاصكم هذا))^(١).

وعن ابن عمر قال: ((لم يقصّ على عهد رسول الله ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر، ولكنه شيء أحدثوه بعد عثمان))^(١).

بل ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما - أنه طلب من صاحب الشرطة أن يخرج قاصاً من المسجد^(١).

وقال صلة بن الحارث لعتر التجيبي لما رآه قائماً يقص: ((والله ما تركنا عهد نبينا، ولا قطعنا أرحامنا، حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا))^(١).
وسئل مالك عن الجلوس إلى القصاص فقال: ((ما أرى أن يجلس إليهم، وإن القصاص بدعة))^(١).

وقيل للثوري: نستقبل القاصّ بوجهنا، فقال: ((ولوا البدع ظهوركم))^(١).

وعن عاصم بن بهدلة قال: ((كنا نأتي أبا عبد الرحمن السلمي فيقول: لا تجالسوا القصاص))^(١).

ويقول أبو إدريس الخولاني: ((لأن أرى في ناحية المسجد ناراً تأجج أحبّ إلي من أن أرى في ناحيته قاصاً يقصّ))^(١).

(/) ()

(/) () () ()

(/)

(/)

() :

()

(/)

(/) () :

· · · :

(/)

(/) (/) ()

(/) ()

(/) ()

- أما عن سبب هذا الذم من قبل بعض السلف للقصاص فيتلخص فيما يلي:
- ١/ أن القصاص بدعة، ولم تكن على عهد رسول الله ﷺ.
 - ٢/ أن قصص السابقين يندر فيها الصحيح.
 - ٣/ أن القصاص يشغل عن قراءة القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين.
 - ٤/ أن في القرآن والسنة من القصاص ما يكفي عن غيره مما لا يوثق بصحته.
 - ٥/ أن معظم القصاص لا يتحرون الصواب.

٦/ أن أقواماً قصّوا فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام^(١).
وقال بعضهم إن ((سبب المنع من ذلك أنهم ينقلون القصة على ما نقل فيها من الأقوال والحكايات الضعيفة التي لا تصح أن تُنسب لمن نُسبت إليه))^(٢).

القول الرابع: أن القصاص مكروه:

قال بذلك المقرّيزي - رحمه الله-، يقول بعد أن ساق أنواع القصاص: ((وذلك مكروه لمن فعله ولمن استمعه))^(٣)، وأشار إلى ذلك ابن الأخوة إلا أنه حدّد ذلك بمن خلط قصصه بالبدع والكذب فقال - رحمه الله-: ((ومن المكروهات كلام القصاص والوعاظ الذين يمزجون بكلامهم البدع في القصاص، فالقاص إن كان يكذب في أخباره فهو فسق، والإنكار واجب عليه))^(٤).

الترجيح: عند النظر فيما سبق يتضح أن القصاص نوعان:

الأول: محمود مشروع. الثاني: مذموم مكروه.

() :

(/) .

() (/) .

() ()

(/) .

()

فإن كانت القصة صحيحة، وذات عبرة وعظة، ومنضبطة بضوابط الشرع^(١) كان القصص محموداً مشروعاً، وإلا كان القصص مذموماً مكروهاً، ويدل على ذلك ما يلي:

١- أن الله تعالى قد أمر نبيه الكريم بالقصص فقال تعالى: (بِذِكْرِ الْقُرْآنِ) (١) وما كان مأموراً به شرعاً لا يكون بدعة^(٢).

٢- أن نصوص القرآن والسنة حافلة بالقصص، وقصّ الله تبارك وتعالى على نبيه أحسن القصص، فقال سبحانه: (بِذِكْرِ الْقُرْآنِ) (١)، وقال: (تَقَفْ فَتَجْجِجْ جَجْجِجْ) (٢). وقد مثل القصص القرآني جزءاً غير يسير من القرآن الكريم ((فهو يبلغ قرابة الثمانية أجزاء من القرآن)) (٣).

٣- أن الناظر في القرآن الكريم يجد العديد من القصص التي توضح حقيقة الدعوة الصحيحة، وما ينبغي أن تقوم عليه من توحيد الله تعالى، وإفراجه بالعبادة دون سواه، وامتثال أمره واجتناب نهيه، وكذا ما ينبغي من متابعة رسوله ﷺ، والالتزام بهديه وسنته، وغير ذلك من الأمور المهمة، والفوائد العظيمة التي يجنيها الداعية من قصص القرآن الكريم، وكل ذلك بكلام واضح ولغة فصيحة ودليل معجز^(٤)

()

() :

() (/) .

() :

() :

() :

"

":

()

() () :

() () () ()

() () () () ()

() () .

() :

وقصص حق^(١) وأساليب متنوعة، ما بين ضرب للأمثال^(٢) والموعظة^(٣)، وإبراز القدوة الحسنة^(٤)، والترغيب^(٥) والترهيب^(٦) وغير ذلك. ولعل في هذا التنوع دليلاً على عظم منزلة القصة في الدعوة إلى الله تعالى .

٤- فعله ﷺ (فقد كان يقصّ على أصحابه القصص الذي ينفعهم ويرغبهم في الخير، ويخوفهم من الوقوع في ضده)^(٧).

وبلغت القصص في السنة النبوية ١٣٩ قصة^(٨)، سلك فيها عليه الصلاة والسلام أساليب متعددة: كالترغيب كما في قصة آخر من يدخل الجنة^(٩) والترهيب كما في قصة الرجل الذي قتل نفسه فحرم الله عليه الجنة^(١٠) والموعظة كحديث الذي

()

:

() : (-) .

(/)

: (/) .

:

() : (-) .

() :

() : (-) :

() : (-) .

()

() :

يوضع المنشار على رأسه فيشق نصفين^(١) والاستفهام مثل قصة رؤية الله- تعالى-^(٢) وغير ذلك .

وكذلك إقراره لمن قصّ من الصحابة عنده كحديث أم زرع فقد استمع النبي ﷺ لعائشة-رضي الله عنها-حتى سردت القصة كاملة^(٣) .

وعن أبي وائل عن رجل من الأنصار قال: (قدمت المدينة فدخلت على رسول الله ﷺ فذكرت عنده وافد عاد فقلت: أعوذ بالله أن أكون مثل وافد عاد، قال رسول الله ﷺ: وما وافد عاد؟ قال: فقلت: على الخير سقطت، إن عادا لما أقحطت... الحديث)^(٤)، ثم مضى في سرد هذه القصة والنبي ﷺ يسمع حتى أتى على آخرها ولم ينكر عليه.

قال ابن العربي-رحمه الله-:(سؤال رسول الله ﷺ عن خبر وافد عاد... دليل على جواز سماع أخبار الأمم الماضية)^(٥).

بل ورد ما هو أصرح من ذلك؛ فعن أبي أمامة ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ على قاصّ يقصّ فأمسك، فقال رسول الله ﷺ: (قصّ... الحديث)^(٦).

(/)

()

(/)

()

(/)

(/)

()

(/)

()

(/)

(/)

()

(/)

() (/)

()

(/)

()

(/) .

((/) :

(/)

(/)

()

((

٥- كما أن من عادات العرب رواية الأخبار وذكر قصص السابقين، وقد طلب الصحابة من النبي ﷺ أن يقصّ عليهم، فعن سعد بن أبي وقاص قال: ((قرأ عليهم النبي ﷺ زماناً القرآن، فقالوا: لو قصصت علينا، فأنزل الله تبارك وتعالى: (عُ كُ كُ كُ) ((١)).

- إذن عمر بن الخطاب لتميم -رضي الله عنهما- بالقصص، فعن السائب بن يزيد ﷺ قال: ((كان أول من قصّ تميماً الداري؛ استأذن عمر بن الخطاب ﷺ أن يقصّ على الناس قائماً، فأذن له)) (١) وهو من الخلفاء الراشدين المهديين الذين أمرنا باتباع سنتهم.

٧- ما جاء في بعض المصادر عن بعض الصحابة أنه كان يقصّ كابن مسعود (١) وأبي هريرة (١) -رضي الله عنهما-

مما سبق يتبين جواز القصص في ذاتها، وأنها لا تدم لنفسها؛ لأن في إيراد أخبار السالفين عبرة وعظة.

فإن قيل: فما قولك في النصوص الواردة عن السلف الناهية عن القصص؟ واعتبارها بدعة؟، فالجواب: أن النصوص الناهية عن القصص محمولة على القاص الجاهل بعلوم الشريعة.

قال المناوي-رحمه الله-: ((وما ورد من النهي عن القص فموضعه في قاص يروي أخباراً موضوعاً، ويحكي أقوالاً تومئ إلى هفوات وتساهلات يقصر فهم العامة عن درك معانيها)) (١). ويدل على ذلك ما يأتي:

-
- () : .
- ()
- (/) .
- (/) ()
- ()
- (/) .
- ()
- (/) (/) .
- (/) ()

١ / أنه أثر عن بعض من نهي عن الجلوس عند الفصّاص استثناء بعضهم لعلمهم، من ذلك ما روي عن أبي عبدالرحمن السلمي قوله: ((لا تجالسوا الفصّاص غير أبي الأحوص))^(١).

وحذر أبو إدريس الخولاني من رجل يقصّ ليس بفقيه^(٢).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((وإنما أنكروا الميل إلى القصص عن القرآن والفقهاء، أو أن يقصّ من لا يعلم))^(٣).

٢ / أن من الصحابة ومن بعدهم ممن أنكر القصص كان يحضر مجالس القصص، بل بعضهم كان يقصّ.

قال القاسم بن سلام-رحمه الله-: ((رأيت ابن عمر عند القاصّ رافعاً يديه يدعو حتى تحاذى منكبيه))^(٤).

وقال يوسف بن ماهك: ((رأيت ابن عمر-رضي الله عنهما- عند عبيد بن عمير وهو يقصّ، وعيناه تهرقان بالدموع))^(٥).

و((كان ابن مسعود يقصّ في كل يوم خميس واثنين))^(٦).

٣ / أن بعض الصحابة كان يمتحن القصص فيقرّ العالم منهم، وينكر على الجاهل كما مر قريباً عن علي^(عليه السلام).

٤ / أن القصص إذا خلا من المحاذير الشرعية، ظهرت فائدته وعمت منفعته، كما قال الحسن البصري-رحمه الله-: ((القصص بدعة ونعمت البدعة، كم من دعاء مستجاب وأخ مستفاد))^(٧).

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-: ((يعجبني القصص؛ لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر))^(٨) وقال-رحمه الله-: ((ما أحوج الناس إلى قاص صدوق))^(٩).

(/) (/) ()

(/) : ()

()

()

(/) (/) ()

" " (/) ()

(/) ()

()

وأما القول ببديعية القصص كما أثر عن بعض السلف فهو محمول على أحد أمرين:

الأول: الاجتماع في وقت معين لاستماع القصص . قال ابن رجب-رحمه الله-: ((وإنما عنى هؤلاء بأنه بدعة: الهيئة الاجتماعية عليه في وقت معين، فإن النبي ﷺ لم يكن له وقت معين يقص على أصحابه فيه))^(١).

الثاني: ذكر الأحاديث الموضوعية والأكاذيب . قال ابن حجر الهيتمي وهو يعقب على حادثة ابن مسعود ﷺ لما قال ناقص: ((لقد ابتدعت بدعة ضلالة)) قال-رحمه الله-: ((وهو محمول أنه كان يذكر في قصصه ما ابتدعه جهلة القصاص من الأكاذيب والأحاديث الموضوعية ونحو ذلك))^(٢).

ثم إن أنس بن مالك ﷺ قد أنكر بدعية القصص، فعن زياد الخير ((أنه أتى أنس بن مالك فقال لي: قص، فقلت: كيف والناس يزعمون أنه بدعة؟ فقال: لو كان بدعة ما أمرناك، فقصت وهو يؤمن))^(٣).

وأما القول بكراهة القصص كما قال المقرئ وغيره فليس بصحيح، يقول الدكتور محمد بن لطفي الصباغ: ((فلماذا يكون مكروهاً إذا كان القاص عالماً صادقاً في قوله من أهل البصر والوعي والحماسة والخير))^(٤).

إنّ المنع لم يكن إلا للقصاص الذين أساءوا استعمال القصص، وخرجوا به عن غايته.

ثم إنه لا ينبغي بحال الاستخفاف بقدر القصة والقصاص، من أجل أناس تصدّروا للقصّ وهم ليسوا له بأهل، فتنكبوا عن صراطه، وشوّهوا صورته، وامتطوا له غير مطيته، وتزودوا له بغير زاده.

وأختم هذا المبحث بذكر بعض الأحاديث التي وردت في ذمّ القصاص موضعاً وجه دلالتها، أو ضعف سندها إن وجد .

أما حديث: (لا يقص إلا ثلاثة: أمير أو مأمور أو مختال)^(٥)، فهو يدل على أن الأمير أو من ينوب عنه هو الذي يتولى القصص على الناس ووعظهم،

()

()

(/) .

(/) .

()

()

ثم إن طريق التصدي للقصّ والوعظ طريق تصاحبه الشهرة والتقدم على الآخرين، وقد لا يقصدها القاصّ، ولكنها واقعة، فلما كان الأمير ونائبه متقدمين بحكم منصبهما فلا لوم عليهما، وإنما اللوم يقع على غيرهما وهو الصنف الثالث "المختال"؛ لأنه يريد أن يظهر للناس ويبرز نفسه.

فالحاصل أن معنى الحديث أن القصص ثلاثة أنواع: أمير ومأمور ومختال، فأما الأمير والمأمور فهذا من واجباتهما، وأما الثالث فلا. ومن هنا نفهم أنه ليس في الحديث ذم للقصص على الإطلاق، ولكن فيه ذم للصنف الثالث على ما يشعر به لفظ (مختال).

يقول الخطابي-رحمه الله-في شرح هذا الحديث: ((هذا في الخطبة، وكان الأمراء يتولون الخطب فيعظون الناس ويذكرونهم فيها، فأما المأمور فهو من يضعه الإمام خطيباً فيعظ الناس ويقصّ عليهم، فأما المختال فهو الذي نصب لذلك نفسه من غير أن يؤمر به ويقصّ على الناس طلباً للرئاسة)).^(١)

وأما حديث: (إن بني إسرائيل لما قصوا هلكوا)^(٢)، فمعناه: أنهم لما أخذوا إلى القصص وعولوا عليها وتركوا العمل كان ذلك سبب هلاكهم^(٣).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((وإنما وقع الذمّ لهؤلاء لأنهم تركوا كتاب الله واشتغلوا بالقصص عنه)).^(٤)

وقال الشيخ الألباني-رحمه الله-: ((ومن الممكن أن يقال: إن سبب هلاكهم اهتمام وعاطفهم بالقصص والحكايات دون الفقه والعلم النافع الذي يعرف الناس بدينهم)).^(٥)

وأما حديث: (القاص ينتظر المقت)^(٦) فهو حديث موضوع.

() (/) .

() (/) : (/) .

() : (/) (/) .

() .

() (/) .

() (/) :

-

(/) (/) (/)

-

(/) (/) .

وأما حديث: (سيكون بعدي فُصَّاصٌ لا ينظر الله إليهم)^(١) فهو شديد الضعف.

المبحث الثاني

ضوابط القصص في الدعوة إلى الله

إذا تقرر ما مضى من جواز القصص في الدعوة إلى الله، فإن لذلك ضوابط حرصت على استقراءها من النصوص الشرعية، وكلام أهل العلم المحققين، وهي ضوابط تحكم القصص المحمود كما سار عليه السلف رحمهم الله في قصصهم، وهذه الضوابط منها ما يتعلق بالقصة، ومنها ما يتعلق بالقاص، ولذا كان هذا المبحث يحتوي على مطلبين:

المطلب الأول:

الضوابط المتعلقة بالقصة

إن القصص الوعظية لن تؤتي ثمارها، وتبلغ مرادها إلا إذا انضبطت بجملة من الضوابط التي يمكن إجمالها فيما يلي:

١/ أن تكون القصة صحيحة: وأصح القصص: قصص القرآن والسنة، ثم القصص الثابتة عن العلماء والفقهاء والمحدثين وغيرهم^(٢).

لقد اهتم علماء الإسلام بما جاء في القرآن الكريم من قصص، وبما صح من القصص النبوي، وبسيرته ﷺ وسيرة أصحابه، وسير العلماء من بعدهم، يذكرون أخبارهم وقصصهم وما فيها من عبر وعظات، ((فمن أراد أن يقصّ فعليه بالقرآن... ففي قصص القرآن الكريم، وما صح عن سيد المرسلين ﷺ آية وعبرة))^(٣).

ولا بأس أن يوشح القاصّ مواعظه ببعض القصص المعاصرة ذات العبرة والعظة شريطة التثبت من الصحة، والتوثق من وقوع القصة أو الحادثة، ولا يكفي أن يسمعها من بعض المصادر، أو من بعض الأشخاص الذين لا يعرف مدى ضبطهم وإتقانهم، وحرصهم على التثبت من الأخبار، فإن مخالفة بعض

(/) (/) ()

() .

() :

()

هذه الأخبار والحوادث للواقع، أو مجانية بعض تفصيلاتها للحقيقة من شأنها أن يضعف ثقة الناس بأخباره ونقوله؛ مما ينعكس على خطبه، ودروسه، ومواعظه .

إن التثبت من النقل منهج شرعي أصيل يجب أن يراعيه المسلم في علاقاته المختلفة، وعلى الأخص الخطباء، والدعاة، والوعاظ، والقصاص؛ لأن دائرة النشر لديهم أوسع من غيرهم، والجمهور المتلقي منهم أكبر من غيرهم؛ على ألا تغطي أخبار المعاصرين على قصصه ووعظه .

وعليه الابتعاد عن خيال الأدباء، والحذر من الأخبار التي لا زمام لها ولا ختام والقصاص الواهية المكذوبة، وخاصة المنسوبة للنبي ﷺ وأصحابه.

٢ / أن تتضمن القصة العظة والعبرة: قال تعالى: (□ □ □ □ □ □ □)

(^١)، بأن يتخللها تأصيل علمي، وتنبيه إلى المقصود، وتصريح بالفوائد. وهذا هو المقصد من إيراد القصاص الوعظية، والمتأمل في قصص القرآن الكريم يجد هذا واضحاً. فإن الغاية من القصاص القرآني ليست مجرد الإعلام بما حدث من أخبار الأمم والشعوب بالتتابع لأخبارها، وإنما الغاية أن يكون هذا القصاص نفسه هادياً للمؤمنين إلى الطريق الصحيح .

ويقرر ابن الجوزي-رحمه الله- هذه الجزئية وما قبلها بقوله: ((فأما إذا كان القصاص صدقاً ويوجب وعظاً فهو ممدوح)) (^١).

يقول الإمام أحمد-رحمه الله-: ((القصاص الذين يذكرون الجنة والنار والتخويف)) (^١).

بل إن بعض السلف كان يضع أمر الوعظ فيصلاً في قبول القاص أو رده، بل وطرده. فقد أخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه القصاص من مسجد البصرة، فلما سمع كلام الحسن لم يخرج، لأنه كان يتكلم عن علم الآخرة والتفكير بالموت، ونحو ذلك (^١).

٣ / أن تكون القصة بأسلوب حسن: فلا بد أن تساق القصة الوعظية

مسايقاً حسناً يجمع بين براعة أسلوبها وحسن إيرادها، وأن يجتمع في القصة سهولة ألفاظها، وقربها من الأفهام، وبلاغة عبارتها، وجودة كلماتها.

- () : .
() .
() (/) .
() : (/) (/) .

فليس من المناسب مثلاً ذكر الغريب من الألفاظ، أو السجع المتكلف أو الإطناب في التفاصيل، كما حدث لبعض المفسرين في البحث عن مكان الكهف الوارد في سورة الكهف، وأسماء الذين كانوا فيه، وما قيل في الكلب وغير ذلك

يقول ابن كثير-رحمه الله-: ((وقد تكلف بعض المفسرين فذكروا فيه أقوالاً... والله أعلم بأي البلاد هو، ولو كان لنا فيه مصلحة دينية لأرشدنا الله تعالى ورسوله إليه))^(١).

إن الاسترسال في عرض القصة، والتكلف في معرفة تفاصيلها التي لا ينفع العلم بها، ولا يضر الجهل بها يؤدي إلى انصراف الناس عن مدلول القصة ومغزاها إلى الخوض في أحداثها، وإن الناظر في القصص النبوي يرى سهولة الألفاظ، ووضوح الأساليب، مما يجعلها قريبة من الفهم^(٢)، بالإضافة إلى أن غالبها قصص قصيرة، ومع ذلك فهي تجمع كل ما يمكن قوله عن القصة ببلاغة عظيمة، وإيجاز بديع، وتصوير مشوق^(٣)، وترك الإغراق في التفاصيل.

٤/ ألا يكون الوعظ كله قصصاً: فلا تكون القصة هي اللغة الوحيدة في الخطاب، بل تكون القصة جزءاً من حديث الداعية يؤكد به ما يريد بيانه من المعاني، أما أن يكون الوعظ كله قصصاً فلا^(٤).

إن التشاغل بالقصص والإكثار منه، يشغل عن المهم من قراءة القرآن، والنظر في السيرة النبوية، والتفقه في الدين^(٥). ومن جعل القصص ديدنه وسبيله كان ذلك سبباً في هجر نصوص الوحيين، واستئثار سماع العلم الشرعي المتضمن لنصوص الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((ولذا تجد من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه؛ تنقص رغبته في سماع القرآن، حتى ربما كرهه. ومن أكثر من السفر إلى زيارات المشاهد ونحوها؛ لا يبقى لحج البيت الحرام في قلبه من المحبة والتعظيم ما يكون في قلب من وسعته السنة، ومن أدمن على أخذ الحكمة والآداب من كلام حكماء فارس والروم، لا يبقى لحكمة الإسلام وآدابه في قلبه

(/) .

()

: ()

: ()

: ()

: ()

ذاك الموقع. ومن أدمن قصص الملوك وسيرهم؛ لا يبقى لقصص الأنبياء وسيرهم في قلبه ذاك الاهتمام. ونظير هذا كثير))^(١).

ومن أمعن النظر في حجم القصة في دعوة العلماء والمجددين الذين كتب لهم ولدعواتهم النجاح كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والعلامة ابن باز-رحم الله الجميع- وجد أن ارتكاز الداعية على ما جاء في الكتاب والسنة سبب كبير-بعد توفيق الله-في نجاح دعوته واستمرارها .

المطلب الثاني:

الضوابط المتعلقة بالقاص

١ / العلم: وأعني به العلم الشرعي المستفاد من الكتاب والسنة مع الإلمام بمعرفة العلوم الأخرى كالتاريخ والسير والأحاديث واللغة^(١).

يقول ابن الجوزي: ((لا ينبغي أن يقصّ على الناس إلا العالم المتقن فنون العلم؛ لأنه يُسأل عن كل فن))^(١).

()

: ()

()

وقال-رحمه الله:-((وإنما أنكروا الميل إلى القصص عن القرآن والفقه، أو أن يقص من لا يعلم))^(١).

وحذر أبو إدريس الخولاني-رحمه الله-من رجل يقصّ ليس بفقيه^(٢).

إن علم القاصّ يحجزه عن الاستشهاد بالروايات الضعيفة والأخبار المعلولة والقصص الموضوعية التي قد تأنس بها بعض النفوس، وإذا تصدر للقصّ من قلّ علمه فإن قصصه قد تضر ولا تنفع، وكان الصحابة^{رضي الله عنهم} ينكرون على من يقص على الناس من غير علم.

وقد سبق^(٣) إيراد بعض الشواهد عن علي^{رضي الله عنه} في امتحانه لبعض القصاص في علمهم، وهي من أعظم ما يدل على أهمية العلم الشرعي بالنسبة للقاصّ.

وينبغي أن يسأل القاصّ غيره من العلماء عما يجهله من تفسير آية أو صحة حديث ونحو ذلك، فقد ذكر محمد بن عبد الملك الهمداني أن رئيس الرؤساء في عهد الخليفة العباسي القائم بأمر الله تقدم إلى القصاص بألا يورد أحد حديثاً عن رسول الله^{صلى الله عليه وسلم} حتى يعرضه على الخطيب البغدادي، فما أمرهم بإيراده أو ردوه، وما منعهم منه ألغوه^(٤).

٢ / الصدق: وهو خلق عظيم من أهم أخلاق المسلم وصفات الداعية إلى الله تعالى بل هو من أبرز عوامل نجاح الدعوة .

إنّ القاص إذا كان صادقاً في أحواله وأعماله، كان قدوة حسنة لغيره، فيتعظ الناس بحاله قبل مقاله .

قال مالك بن دينار-رحمه الله:-((إنما العالم أو القاص الذي إذا أتيته فلم تجده في بيته قصّ عليك بيته فترى حصييراً للصلاة، ترى مصحفاً، ترى إجانة للوضوء، ترى أثر الآخرة))^(٥).

()

() : (/) .

()

() :

(/) -

-

(/) .

(/) ()

(/)

ومما نقل عن السلف -رحمهم الله- في هذا الضابط ما يأتي:

- قول الإمام أحمد -رحمه الله-: ((ما أحوج الناس إلى قاص صدوق))^(١).

- وسئل -رحمه الله- عن مجالسة القصاص فقال ((إذا كان القاص صدوقاً فلا أرى بمجالسته بأساً))^(٢).

- وقال أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: ((فإن كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم، وكان القاص صدوقاً صحيح الرواية، فلست أرى بأساً))^(٣).

٣ / التقوى والورع: إن القاص كلما كان تقياً ورعاً متمثلاً بما يقوله للناس، موافقاً قوله عمله، مبتغياً بقصصه ووعظه رضا الله تعالى، كان قصصه أوقع في قلوب الناس.

قال ابن الجوزي -رحمه الله- بعد أن ذكر شروط القصص^(٤): ((ومدار ذلك كله

على تقوى الله ﷻ، وأنه بقدر تقواه يقع كلامه في القلوب))^(٥).

وعن عفان بن مسلم قال: ((كنا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو يقصّ، فكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يُذعرك أمره من حزنه وكثرة بكائه كأنه تكلّى، شديد الخوف من الله، كثير البكاء))^(٦).

وقال الخطيب عن محمد بن حبش القاصّ: ((كان كلامه يقع بقلوب الناس))^(٧).

()

(/)

(/)

()

/

/

/

/

()

(/) (/)

(/) ()

ولذا حرص بعض السلف من الصحابة والتابعين على تأكيد ذلك للقصاص حتى يتمثلوا به، ويكونوا قدوة للآخرين.

فعن سليم بن عامر قال: ((أرسلتني أم الدرداء إلى نوف البكالي وإلى رجل آخر كان يقصّ في المسجد، فقالت: قل لهما: اتقيا الله، ولتكن مو عظتكما الناس مو عظتكما لأنفسكما))^(١).

وعن سعيد بن عاصم قال: ((كان قاص يجلس قريباً من مسجد محمد بن واسع، فقال يوماً وهو يوبخ جلساءه: مالي أرى القلوب لا تخشع، ومالي أرى العيون لا تدمع، ومالي أرى الجلود لا تقشعر، فقال محمد بن واسع: يا عبد الله ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إن الذكر إذا خرج من القلب وقع في القلب))^(٢).

قال السبكي: ((واعلم أن الكلام إذا لم يخرج من القلب لم يصل إلى القلب))^(٣).

إن مهمة القاص تبعاً لذلك شاقة جداً، فعليه أن يجاهد نفسه في السر كما يجاهدها في العلن، وإن لصلاح باطنه وظاهره، ومراقبته لله في السر والعلن أثراً كبيراً في قبول قصصه ووعظه^(٤).

٤/ التواضع: لما كان القاص محط الأنظار؛ إذ هو في الغالب محبوب من العامة والتصدي للقصّ يجعل المرء مشهوراً يُشار إليه بالبنان، لذا كان خشية الغرور والعجب عليه أشدّ من غيره، فتأكد في حقه التواضع.

وقد أبدى الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه خوفه من دخول العجب إلى قلب القاصّ الذي استفتاه في القصص.

فعن الحارث بن معاوية الكندي أنه ركب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فسأله عن القصص، فقال: ما شئت، كأنه كره أن يمنعه، قال: إنما أردت أن أنتهي إلى قولك، قال: أخشى عليك أن تقصّ فترتفع عليهم في نفسك، ثم تقصّ فترتفع حتى يخيل إليك أنك فوقهم بمنزلة الثريا، فيضعك الله تحت أقدامهم يوم القيامة بقدر ذلك^(٥).

(/) .

(/)

()

() :

(/) .

فعلى القاص أن يحذر من أن يصيبه الغرور، ويأخذ العجبُ منه كل مأخذ.

وقد جعل بعض العلماء العُجب والغرور من أشهر آفات القُصّاص^(١).

٥/ مراعاة أحوال المخاطبين: من الأمور اللازمة لنجاح القصة، معرفة أحوال مستمعيها لكي يتمكن القاص من مخاطبتهم على قدر أحوالهم وعقولهم وإدراكهم.

ولقد كان النبي ﷺ حريصاً كل الحرص على معرفة أحوال مدعويه، ويظهر هذا الحرص من خلال ما نقل إلينا من أحاديث وقصص^(٢)، حرص النبي ﷺ من خلالها على التعرف على مدعويه والعلم بحالهم.

إن القصة لا تؤتي ثمارها إلا إذا كانت واضحة المعالم، مفهومة لدى سامعيها، مواكبة لقدراتهم وإدراكهم.

وقد كره السلف -رحمهم الله- مخاطبة الناس بما لا تدركه عقولهم.

قال علي ﷺ: ((حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!))^(٣).

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: ((ما من رجل يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم))^(٤).

من ذلك: مسائل القدر، وعلم الكلام، والمسائل الخلفية، وما شجر بين الصحابة مما قد يساء فهمه، ونحو ذلك.

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: ((من المخاطرات العظيمة تحديث العوام بما لا تحتمله عقولهم، أو بما قد رسخ في نفوسهم ضده))^(٥).

() :

() :

(/) ()

(/) ()

()

ويقول ابن مفلح—رحمه الله—: ((ومن التغفيل تكلم الفصّاص عند العوام والجهلة بما لا ينفعهم، وإنما ينبغي أن يخاطب الإنسان على قدر فهمه))^(١).

ومن المراعاة القصد في القص، فعن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول وهو على المنبر: ((أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده، فقليل: كيف ذاك أصلحك الله؟ قال: يجلس أحدكم قاصاً فيطول على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه))^(٢).

وقد نصحت أم المؤمنين عائشة—رضي الله عنها—ابن أبي السائب قاصاً أهل المدينة بالتمسك بثلاثة أمور، وأكّدت عليه بذلك، وكان من نصيحتها تخول الناس بالقصّ، والتحدث إليهم في حال رغبتهم فقط.

قالت—رضي الله عنها—((ثلاثاً لنتابعني عليهن أو لأناجزنك))^(٣). فقال: ما هن؟ بل أتابعك أنا يا أم المؤمنين. قالت: ... وقصّ على الناس في كل جمعة مرة، فإن أبيت فنتين، فإن أبيت فثلاثاً، ولا تمل الناس هذا الكتاب، ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديثهم فتقطع عليهم حديثهم، ولكن اتركهم، فإذا جرؤوك عليه وأجروك به فحدثهم))^(٤).

وروي أنها قالت لعبيد بن عمير: ((اقصص يوماً، لا تمل الناس))^(٥).

لقد حددت عائشة—رضي الله عنها—عدة ضوابط للقصاص تدل على وجوب مراعاة القاص أحوال من يقصّ عليهم.

ولابن عباس—رضي الله عنهما—كلام نحو ذلك في وصيته لتلميذه عكرمة، يقول: ((ولا ألفينك تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم، فتقصّ عليهم، فتقطع عليهم حديثهم فتملهم))^(٦).

قال ابن حجر—رحمه الله—في شرح كلام ابن عباس: ((وفيه كراهة التحديث عند من لا يقبل عليه))^(٧).

() (/) .

()

() : . :

(/) .

() (/) : (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه لرجل كان يقص: ((انشر سلعتك على من يريدها))^(١).

وقال الإمام أحمد-رحمه الله-: ((لا أحب للقاص أن يُمِلَّ الناس))^(١).

فحاصل ما تقدم أن على القاص الاهتمام بتخوّل الناس بالقص مع ضرورة مراعاة نشاط الناس، ورغبتهم عند التحدث إليهم.

وقبل أن أختتم^(١) أشير إلى أن السلف – رحمهم الله – مع الاتفاق على علو رتبتهم وسمو هممهم إلا أنهم عرضة للخطأ والزلل، فليحذر القاص من نقل قصص فيها هفواتهم؛ لأن ذلك قد يكون دافعاً للبعض إلى التجرؤ على المعاصي والآثام.

قال الغزالي – رحمه الله-: ((فليحذر – أي القاص – من حكايات تومئ إلى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها، أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها، فإن العاصي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته، ويمهد لنفسه عذراً فيه، ويحتج بأنه حكى كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر))^(١).

وقال ابن القيم-رحمه الله-: ((فالواجب على من شرح الله صدره للإسلام إذا بلغته مقالة ضعيفة عن بعض الأئمة أن لا يحكيها لمن يتقلدها بل يسكت عن ذكرها إن تيقن صحتها وإلا توقف في قبولها فكثيراً ما يحكى عن الأئمة ما لا حقيقة له))^(١).

وأخيراً فإني أؤكد بأن كراهية علماء السلف للقصاص وتحذيرهم منهم؛ يرجع إلى خوفهم من خرق هذه الضوابط، وأن يستخدم المبالغة، ويشيع الكذب

(/) ()

()

()

: (/) (())

: .

(/) .

(/) ()

(/) ()

والرياء، والوضع، والكبر. أما إذا قصّ على الناس من يعرف الصحيح من الضعيف، والناسخ من المنسوخ، وكان حافظاً لأخبار الزهاد، ولديه فقه في دين الله، مع فصاحة في اللسان، وعلم باللغة ومعانيها فلا كراهة. والله أعلم .

المبحث الأول تاريخ القصص

تمهيد:

اشتهر القصص قبل الإسلام، وتداول العرب قصصهم، وكان أكثر قصصهم شيوعاً على ألسنتهم: أيام حروبهم، وما سجله أبطالهم من انتصارات وما منيت به بعض قبائلهم من هزائم. وقد عرف هذا القصص بـ"أيام العرب"، ويقصد بها تلك الحروب التي وقعت في الجاهلية بين القبائل العربية كأيام داحس والغبراء، وحرب البسوس، ويوم الفجار، وغيرها من الأيام^(١).

كما كان القصص قبل الإسلام يقصون كثيراً عن ملوكهم، وعن ملوك الأمم من حولهم، وعن كهانهم وشعرائهم^(٢).

على أن أقرب القصص زمنياً من ظهور الإسلام رجل من قريش كان في مكة وهو النضر بن الحارث بن كِلدة، وكان يقصّ على الناس قصص الفرس وتاريخ ملوكهم .

وكان النضر بن الحارث شديداً على الإسلام، اتخذ عدة وسائل لجذب قريش إليه، من ذلك: إطرافهم بأحاديث وقصص غريبة عليهم من مصادر اطلع عليها، وكان إذا انتهى من قصصه قال: بماذا محمد أحسن حديثاً مني؟^(٣).

وبعد ظهور الإسلام أورد الله تعالى في كتابه الكريم الكثير من القصص عن الأنبياء وغيرهم، كقصة يوسف، وأيوب، وموسى عليهم السلام، وقصص قوم نوح، وعاد، وثمرود. وقد كان لهذا العدد الكبير من القصص القرآني أثر في نشأة القصص .

من ذلك مثلاً قصة ذي القرنين فقد(ساعد ذكر ذي القرنين في القرآن الكريم أكثر القصص المسلمين على التطرق إلى حديثه والتفصيل في أخباره، ولذلك لا يكاد فصل من الفصول التي كتبت عنه في كتب القصص والأخبار يخلو من الاستشهاد أو التصدير بالآيات القرآنية التي ورد فيها ذكر ذي القرنين)^(٤).

() :

(/)

()

() :

(/) .

()

كما ورد القصص أيضاً في الأحاديث النبوية الشريفة، وكان من أبرز أهداف القصص في الكتاب والسنة: تذكير الناس ووعظهم بما حدث للأقوام والأمم السابقة التي عصت الله تعالى ولم تطع رسله، فأصابها ما أصابها من الدمار.

وسأتناول تاريخ القصص في الإسلام في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

نشأة القصص

هناك شبه اتفاق على أن ظهور القصص باعتبارهم دعاة اتخذوا من القصة وسيلة وعضية يقوم بها أناس معينون؛ كان في صدر الإسلام ولكن الآراء مختلفة في التحديد الزمني لأول ظهور لهم. ومجمل هذه الآراء كالآتي:

الرأي الأول: أن القصص ظهوروا في عهد النبي ﷺ، واستدل أصحاب هذا الرأي بما يأتي:

١- عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: (خرج رسول الله ﷺ على قاص يقص، فأمسك، فقال رسول الله ﷺ: قص ... الحديث).

٢- وعن كردوس بن قيس قال: أخبرني رجل من أصحاب بدر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ((لأن أقعد في مثل هذا المجلس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب)) قال شعبة - وهو أحد رجال الإسناد- فقلت: أي مجلس تعني؟ قال: كان قاصاً^(١).

(/) (/) ()

((

الرأي الثاني: أن بداية ظهور القصاص كان في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغالب ما وقفت عليه من المصادر تشير إلى ذلك^(١)، ثم اختلف أصحاب هذا الرأي في أول من قص في عهد عمر على قولين:

القول الأول: أن أول من قصّ هو تميم الداري رضي الله عنه^(٢).

قال السائب بن يزيد رضي الله عنه: ((أول من قص قص تميم الداري، استأذن عمر بن الخطاب أن يقص على الناس، فأذن له))^(٣).

القول الثاني: أن أول من قص عبيد بن عمير—رحمه الله—

قال ثابت البناني—رحمه الله—((أول من قص قص عبيد بن عمير على عهد عمر بن الخطاب))^(٤)، واستبعد الذهبي ذلك^(٥).

الرأي الثالث: أن القصاص ظهروا بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: ((لم يقصّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر، ولكنه شيء أحدثوه بعد عثمان))^(٦).

وفي رواية: ((لم يقص على عهد رسول الله، ولا أبي بكر، ولا عمر، وإنما كان القصص حين كانت الفتنة))^(٧).

(١) : (/)

-

(/)

(/) (/) : ()

(/)

(/)

(/)

(/)

(/) .

()

(/)

()

-

(/) .

(/)

: ()

(/) .

()

والمقصود بالفتنة هنا: فتنة الخوارج، يقول ابن سيرين - رحمه الله -: ((أول من قصَّ الحرورية أو قال: الخوارج))^(١).

ولعل الأقرب أن البداية الفعلية لظهور القصص كانت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأن أول قصص هو تميم الداري رضي الله عنه^(٢)؛ لصحة الرواية في ذلك، واشتهارها.

أما نفي ذلك كما جاء عن ابن عمر وابن سيرين فقد علق ابن الجوزي على ذلك بقوله: ((إنما أشار ابن عمر وابن سيرين إلى اشتهاار القصص وكثرته، وإلا فلقد روينا أن عمر أذن لتميم الداري في القصص))^(٣).

أما ما قيل عن بداية القصص في العهد النبوي فهو رأي قوي لصحة الروايات في ذلك، ولكن لعل ذلك كان بصورة نادرة جداً، وإلا لما تردد عمر رضي الله عنه في الإذن لتميم في القصص كما في بعض الروايات الصحيحة^(٤).

وأما عن الرأي القائل ببداية ظهور القصص بعد مقتل عثمان رضي الله عنه (زمن الفتنة)، فهو محمول على أحد أمرين:

- إما أن يحمل على اشتهاار القصص وشيوعه كما قال ابن الجوزي.

- أو أن يحمل على بداية ظهور القصص المذموم.

ولذلك فإن ما جاء في تاريخ دمشق^(٥) هو أدق الأقوال في ذلك: ((لم يكن

يُقصَّ على عهد النبي ﷺ ولا عهد أبي بكر، وكان أول من قص تميم الداري استأذن عمرًا أن يقص على الناس فأذن له عمر)).

(/) ()

()

() :

() -

()

(/) (/) :

(/) (/) .

المطلب الثاني:

القصاص في عهد الخلفاء الراشدين:

الفرع الأول

موقف الخلفاء الراشدين من القصاص

كان القصاص في هذه الفترة على قلوبهم متأثرين بقصاص القرآن الكريم ومواعظه، فكانوا يقصون أخبار الرسل والأمم السابقة لتذكير الناس، ويروون المواعظ بأسلوب قصصي ليتملكوا قلوب المستمعين ويلفتوا أسماعهم إليهم.

ولم يقترن باسم القصاص في هذا العهد ما التصق به من المذمة بعد تطور القصاص في العهد الأموي وما بعده ((لأن فنونه إنما كانت ترجع إلى القرآن والحديث))^(١)، كما أن القيود والمراقبة والنصيحة^(٢) لمن تولى أمر القصاص في هذا العهد كان مسبباً في ذلك، يقول الذهبي-رحمه الله-: ((كان القاص في الزمن الأول يكون له صورة عظيمة في العلم والعمل))^(٣).

()

() : (/) .

() (/)

لأن منهم من لا يعرف أحكام القرآن والناسخ والمنسوخ، ويورد بعض الحكايات الكاذبة التي تتفق وميول العامة، فكان يختبر بعضهم بسؤالات معينة، فإن أجاب وإلا أخرجه من المسجد^(١).

() : (/) .

الفرع الثاني

أماكن القصاص وأوقات تصصمهم في عهد الخلفاء الراشدين

لم يكن للقصاص أماكن وأوقات معينة، ولعل ذلك يرجع إلى قلتهم من ناحية، وعدم العناية بهم من قبل الحكام من ناحية أخرى، إلا أن نشأة القصاص ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالمساجد منذ الوهلة الأولى لظهورهم. فقد كانت أماكن القصاص في هذا العصر غالباً في المساجد، فهذا الأسود بن سريع رضي الله عنه كان أول من قص في مسجد البصرة^(١).

ودخل ابن عباس-رضي الله عنهما- مرة المسجد فوجد عبيد بن عمير يقص^(٢)، وكذلك كعب الأحبار. فعن عبد الجبار الخولاني قال: دخل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد فإذا كعب يقص^(٣).

وقد ذكر الفاكهي-رحمه الله- أنه كان للقصاص في مكة منذ القرن الأول الهجري مجلس معروف في المسجد الحرام، استمر فيما بعد يتوارثه قصاص مشهورون^(٤).

وقد يُقصّ في الأسواق، فعن شريح قال: كنت مع علي رضي الله عنه في سوق الكوفة حتى انتهى إلى قاص يقص^(٥).

وكان منهم من لا يقص إلا عند أهله كعويمر بن زيد رضي الله عنه^(٦).

() :

(/)

(/)

-

(/)

(/)

() :

(/) .

(/)

() :

(/)

() :

(/) .

()

أما أيام القصاص فلم يرد تحديد لذلك سوى ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من تحديد يوم السبت^(١) من كل أسبوع، وفي رواية يوم الجمعة^(٢).

وجعل عثمان رضي الله عنه للقصاص يومين أو ثلاثة في الأسبوع^(٣).

وعن وقت القصاص في اليوم ورد عن عطاء بن أبي رباح أنه قال: أمر عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عبيد بن عمير أن يقصّ على الناس بعد الصبح وبعد العصر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة^(٤). فكان يقص حين يصلي الصبح حتى تطلع الشمس، وحين يصلي العصر حتى تغيب الشمس^(٥).

وقال محمد بن المنكدر: مرّ عثمان بقاصّ يقصّ بعد العشاء، فقال له عثمان: ويحك لا تحبس هؤلاء عن عيشهم^(٦).

الفرع الثالث

تراجم مختصرة للقصاص في عهد الخلفاء الراشدين

		(/) .	:	()
		(/) .	:	()
		.	:	()
		(/) .	:	()
	(((/)	:	()
		(/) .	:	()
		(/) .	:	()

هذه لمحة موجزة أذكر فيها تعريفاً يسيراً بالقصاص في عهد الخلفاء الراشدين
ﷺ (١):

١- **الأسود بن سريع**: بن حمير بن عبادة التميمي السعدي، أبو عبدالله
أول من قصّ في مسجد البصرة، صحابي جليل، وشاعر مشهور ﷺ، قال
البيهقي - رحمه الله -: ((كان شاعراً، وكان في أول الإسلام قاصّاً)) (١) غزا مع
النبي ﷺ أربع غزوات، قتل يوم الجمل، وقيل سنة ٤٢ هـ (١).

٢- **تميم بن أوس**: بن حارثة، وقيل خارجة بن ذراع الداريّ أبورقية، من
مشاهير الصحابة، كان نصرانياً فأسلم سنة تسع، صاحب حديث الجساسة
والدجال، غزا مع النبي ﷺ، وهو أول من قصّ في عهد عمر، وقيل: بل هو أول
من قصّ على الإطلاق، وهو أول من أسرج السراج في المسجد النبوي، كان
كثير التهجد ﷺ، توفي سنة ٤٠ هـ (١).

٣- **سليم بن عتر**: وقيل سليمان بن عتر بن سلمة بن مالك التجيبي
المصري التميمي أبوسلمة، كان يقال له الناسك لكثرة عبادته، من خيار
التابعين، جُمع له القضاء والقصاص سنة ٤٠ هـ، قال له عبدالله بن عمرو ﷺ مرة:
((وأما أنت يا سليم بن عتر فكنت قاصّاً، فكان معك ملكان يعينانك ويذكراكَ، ثم

() :

)):

((/) :

(/) ()

(/) (/) :

-

(/)

(/) (/)

-

(/) (/)

-

(/) .

(/) (/) (/) (/) :

:

صرت قاضياً فمعك شيطانان يزيجانك عن الحق ويفتنانك))^(١)، توفي سنة ٧٥هـ
(١)

٤- **شمعون بن زيد**: الأزديّ المصري أبو ریحانة، حليف الأنصار، صحابي زاهد رضي الله عنه، كان قاص إيلياء^(١)، شهد فتح دمشق، قدم مصر، ثم سكن بيت المقدس، وهو والد ریحانة: سرية النبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

٥- **عبدالرحمن بن داب**: كان صاحباً لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه، وهو من القصاص الذين مرّ عليهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسأله عن الناسخ والمنسوخ^(١).

٦- **عبيد بن عمير**: بن قتادة بن أسعد بن عامر الليثي أبو عاصم، قاص مكة، قيل إنه أول من قص في عهد عمر، كان يحضر عنده ابن عمر وهو يقص في المسجد الحرام، ولد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو معدود من كبار التابعين، يقول مجاهد: ((كنا نفخر على الناس بأربعة: بفتيها وقاصنا ومؤذنا وقارئنا وأما قاصنا فعبيد بن عمير))^(١)، توفي قبل ابن عمر، وقيل سنة ٦٨هـ^(٢).

(١)

(/) : (/) (/) (/)

(/)

(/) : (/)

(/)

(/) : (/)

(/) -

(/)

(/)

(/) .

(/) :

(/) .

(/) . (/) (/)

٧- عمرو بن زرارة: بن قيس بن الحارث النخعي الكوفي، أدرك عصر النبي ﷺ، وكان ممن سيّره عثمان بن عفان ﷺ من الكوفة إلى دمشق، قال ابن حجر: ((صحبته محتملة))^(١) مرّ عليه ابن مسعود ﷺ وهو يقصّ فنصحه^(٢).

٨- كعب بن ماته: الحميري من آل ذي رعين، أبو إسحاق، المعروف بكعب الأحبار، ويقال له كعب الحبر، أسلم في زمن عمر بن الخطاب ﷺ، وقيل قبل ذلك، من كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم، كان من أعلم الناس بأخبار التوراة.

قال الذهبي: ((وكان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة))^(٣)، كان قبل إسلامه حبراً من أحبار اليهود، ثم أسلم فحسن إسلامه، غزا مع الصحابة بعض الغزوات، وكان عمر ﷺ يسأله أحياناً، كان يقص في مسجد حمص، ثم امتنع عن القصص لسماعه أحاديث في النهي عن القصص إلا بإذن الحاكم، وبعد ولاية معاوية في الشام سنة ١٩ هـ أمر كعباً أن يقص، فاستمر في ذلك حتى وفاته سنة ٣٤ هـ في أواخر خلافة عثمان ﷺ^(٤).

(/) (/) (/) : (/)
(/) (/)
(/) (/) (/) (/)
(/) (/)
(/) (/)
(/) (/) (/)
(/) (/)
(/) (/) (/)
(/) (/)
(/) (/) (/) : (/)
(/) (/)
(/) (/)
(/) (/) : (/)
(/) (/)
(/) (/) : (/)
(/) (/)
(/) (/) : (/)
(/) (/)
(/) (/) : (/)
(/) (/)

٩- مرثد بن وداعة: الحمصي أبو قتيلة، قيل: له صحبة، سكن الشام، كان يقصّ قائماً، قُتل يوم الجمل^(١).

المطلب الثالث:

القصاص في العهد الأموي

تمهيد:

كان للفتن التي حصلت نهاية عصر صدر الإسلام -بأسبابها المختلفة- سببٌ في انتشار القصاص وازدهار القصّ.

لقد بدأ ظهور القصاص في هذا العهد مع تطور بعض الأحداث، والتي بدأت بمقتل عثمان رضي الله عنه، وانتهت بتولي معاوية رضي الله عنه، فبعد أن كان الهدف من القصاص الوعظ والتذكير والإرشاد، أصبح وسيلة وأداة يستعين بها كل فريق من أجل رفع الروح المعنوية لأنصاره^(١).

إن الخلاف الذي وقع بين علي ومعاوية -رضي الله عنهما- لم يقتصر على الحروب العسكرية، بل تطور الأمر إلى الحروب الدعائية السياسية.

لقد كان للظروف التي حصلت في ذلك الوقت، إضافة إلى حماسة بعض المقربين من معاوية رضي الله عنه سبباً في إعادة تأهيل للقصاص، وتنظيم دورهم، وتطوير أماكنهم وأوقاتهم، بل وتحديد لموضوعاتهم حتى أصبحوا قصاصاً مسيسين كأول ظهور لقصاص من هذا النوع، ولذلك نجد في بعض المصادر أن أول ظهور للقصاص كان في وقت معاوية^(١). والذي يظهر أن المقصود بذلك هو

(/) (/) (/) (/)
(/) (/)
(/) (/) (/) (/) : (/)
(/)
(/) : (/)
(/) (/) : (/)

القصص السياسي، وهو القصص الذي أوجدته الظروف المحيطة بمعاوية رضي الله عنه منذ الفتنة الأولى عندما أمر القصاص بأن يدعوا له ولأهل الشام^(١)، ويدعم هذا الاستنتاج بأن القصص القائم على الوعظ والتذكير كان موجوداً منذ عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما تقدم.

ومن هنا بدأ بعض القصاص يأخذون مساراً جديداً لتدعيم جانب الدولة والدفاع عنها.

قال الشيخ علي محفوظ-رحمه الله:- ((وكانوا في القرن الأول يقدمونهم في حروب بني أمية ليقصوا على المقاتلين أخبار الشهداء وفضائلهم، وما وُعدوا به في الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ليحمّسوهم بذلك قبل لقاء العدو حتى لا تستولي عليهم رهبة، ولا يملكهم فزع، ولا ترد وجوههم آمال الحياة، وهو ضرب من السياسة وحسن النظر والتدبير))^(١) وقد كان لعمر بن عبدالعزيز-رحمه الله-موقفٌ معارضٌ من هذا النوع من القصص، فقد كتب إلى عماله أن يأمر القصاص أن يكون جل إطنابهم ودعائهم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسيكون الحديث عن تاريخ القصاص في العهد الأموي عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول

تطور القصاص في العصر الأموي

اهتم الخلفاء الأمويون بالقصاص وقدروا دورهم، ((وتطور القصاص في عصر بني أمية... حتى أصبح القاص يُعيّن من قبل الخليفة وكذلك يُعزل

(/) : ()

()

(/) : ()

(/) .

بواسطته، أي أن القصص أصبح وظيفة رسمية^(١) وتبرز مظاهر هذا التطور وهذا الاهتمام في أمور متعددة، يأتي من أبرزها:

١ - الصلة الوثيقة بين حكام الدولة الأموية وبين بعض القصص:

كان لبعض الخلفاء قصاص خاصون بهم، ومعيّنون رسمياً لديهم، فقد كان لمعاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه قصاص ملازمون له يستمع إلى قصصهم كل يوم^(٢)، منهم: أبو إدريس الخولاني، الذي قصّ بعد ذلك لعبد الملك بن مروان^(٣).

لقد بلغ من اهتمام معاوية رضي الله عنه بشأن القصص أن جعل الاستماع إليهم جزءاً من حياته اليومية، فقد (كان إذا صلى الفجر جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه)^(٤)، كما كان محمد بن قيس يقص عند عمر بن عبدالعزيز^(٥)، وخالد بن زيد قاص مسلمة ابن عبد الملك^(٦)، وسليمان بن حبيب المحاربي قاص هشام بن عبد الملك^(٧).

٢ - تعيين قاص لكل مدينة:

أصبح للقصاص شهرة في العهد الأموي فكان لكل مدينة قاص خاص بهم، سواء أكان معيناً من قبل الدولة أم أنه اشتهر بذلك. ففي الشام أبو إدريس الخولاني^(٨) وفي المدينة عطاء بن يسار^(٩) ثم مسلم ابن جندب الهذلي^(١٠) وفي مكة عبدالله بن كثير^(١١)، وفي مصر سليم بن

()

() : (/) (/) .(/)

() : (/) (/) .(/)

() (/) .

() : (/) (/) (/) (/) .(/)

() : (/) : . (/) .(/)

() :

() : (/) (/) .(/)

() : (/) (/) .(/)

() : (/)

() : (/) (/) (/) .(/)

عتر^(١)، ثم موسى ابن هلال النخعي^(٢)، وفي الإسكندرية الجلاح أبو كثير المصري^(٣)، وفي فلسطين كثير ابن السائب^(٤).

٣- تولية القصاص في مناصب مهمة:

لم يكتف خلفاء الدولة الأموية بجعل القصاص على هذا الوضع فحسب، بل أضافوا لهم عدة مناصب كان من أبرزها:

أ/ القضاء:

يعد منصب القضاء من المناصب الشرعية المهمة التي تولاها جملة من القصاص، وفي مصنفات السلف الخاصة بالقضاة جملة ممن جمع له بين القصص والقضاء^(٥).

فقد جمع القضاء والقصص لتوبة بن نمر الحضرمي^(٦)، وخير بن نعيم الحضرمي^(٧)، وعبدالرحمن بن حجيرة الخولاني الذي كان له وظيفة ثالثة وهي الإشراف على بيت المال^(٨)، وكان والده قد فرح لتولي ابنه القصص، ثم حزن لتولي ابنه القضاء، فقد روي ((أن ابن حجيرة لما تولى القصص بلغ ذلك أباه وهو ببيت المقدس، فقال: الحمد لله ذكر ابني وذكر، ولما بلغه أنه ولي القضاء قال: إنا لله ... هلك ابني وأهلك))^(٩) وأبو إدريس الخولاني الذي عزله عبدالملك بعد ذلك عن القصص، وأبقاه على القضاء، فقال أبو إدريس: ((عزلتوني عن

() (/) .

()

(/) .

() :

(/) (/) (/) .

(/) : ()

()

:

() :

(/) (/) : ()

(/) (/) : ()

()

رغبتي، وتركتموني في رهبتي^(١). وقد ذكر بعضهم أن الجمع بين القصص والقضاء كان منتشرًا في مصر بخاصة^(٢).

ب- تشجيع الجنود وقيادة الجيوش:

لقد أدرك الأمويون دور القصاص في الحروب فأولوهم أهمية كبرى، فقد كانت الحاجة إلى القصاص أقوى ما تكون أثناء الفتوحات الإسلامية لتثبيت القلوب وشحذ الهمم، فكان القصاص إذ ذاك يحثون الناس على الاستبسال والثبات ويشنعون على من ينكص على عقبيه، لقد (اعتنى هؤلاء الخلفاء بالقصاص، وأوكلوا إليهم مهمة الوعظ في السلم، ومهمة التحريض على القتال والاستبسال في المعارك عند الحرب)^(٣).

ففي عهد الخليفة عبدالملك بن مروان عُيِّن القاص محمد بن واسع الأزدي قاصًا للجيوش وواعظًا لهم، وذلك في جيش قتبية بن مسلم الباهلي الموجه لفتح مناطق ما وراء النهر^(٤)، كما كان محمد بن واسع هو القاص في جيش يزيد بن المهلب الذي سِير لفتح مناطق جرجان^(٥)، وكان عبدالله بن زيد الدمشقي هو المرافق للقائد الأموي مسلمة ابن عبدالملك في حملات جيوش المسلمين المتجهة لغزو بلاد الروم بالقسطنطينية^(٦)، وكان لعبدالله بن زيد دور فعّال في تلك الحملات بمواعظه وقصصه التي تقوي عزيمة الجنود على الجهاد، حتى إنه عرف بقاص القسطنطينية^(٧)، كما كان يعرف بقاص مسلمة^(٨).

() (/) (/) .

() : (/) .

()

() :

() : (/) (/) (/) . : ()

(/) . :

(/) :

(/)

() :

(/) (/) .

() : (/) .

والجدير بالذكر أن القصاص شاركوا أيضاً في الجيوش التي كانت تسيرها الدولة الأموية لمحاربة المعارضين والخارجين عليها^(١)، فكانت مشاركتهم بالوعظ وتلاوة القرآن. من ذلك أن معاوية رضي الله عنه ((سار عشرة أيام معه القصاص يقصون في كل يوم يحضون أهل الشام عند كل صلاة))^(٢).

لقد وعى بعض القصاص أهمية الجهاد في سبيل الله، وأثره في حفظ الحدود وتأمين الثغور، لذا دأبوا-مستغلين تأثيرهم ومكانتهم الاجتماعية- على حث المسلمين على الجهاد وملازمة الثغور، بل والمشاركة معهم ليجعلوا من أنفسهم قدوة لهم .

ولم يقتصر الأمر على مجرد المشاركة في الجيوش وتشجيعهم، بل وصل إلى أن يكون قادة الجيوش هم القصاص يتولون أمرين في وقت واحد.

من ذلك عتاب بن ورقاء الرياحي، فقد عينه الحجاج على جيش أهل الكوفة لقتال الأزارقة^(٣)، يقول تميم بن الحارث الأزدي عن عتاب وقت المعركة: ((وقف علينا فقص علينا قصصاً كثيراً))^(٤) بل كان يحث القصاص بقوله: ((أين القصاص؟ يقصون على الناس ويحرضونهم))^(٥).

٤ - تحديد رواتب للقصاص:

كان القصاص الذين تم تعيينهم على الأقاليم والمدن الإسلامية يتقاضون رواتب ثابتة شهرية أو سنوية مقابل قصصهم، وكان ذلك جزءاً من مخصصاتهم، فالقاص كان يمثل وظيفة رسمية تتولى مصاريفها الدولة الأموية وتنفق عليها.

(/) : (/) (/)

: (/)

(/) .

(/) . (/)

: (/)

: .

(/) . (/)

(/) (/) (/)

(/) .

فعندما جمع الخليفة عبدالملك بن مروان القضاء والقصاص وبيت المال لعبدالرحمن الخولاني في مصر، كان راتبه في العام ألف دينار^(١)، ونصيبه من القصاص مائتي دينار^(٢).

ولما عين الخليفة عمر بن عبدالعزيز مسلم بن جندب الهذلي قاصاً لأهل المدينة أجرى له دينارين في الشهر^(٣) ثم جعله هشام بن عبدالملك ستة دنانير في السنة^(٤).

إلا أن هذه الرواتب لم تكن في بداية الدولة الأموية، فقد روي أن معاوية رضي الله عنه رفض إعطاء رواتب للقصاص، فقد أرسل إلى رجل يريد أن يوليه القصاص فقال الرجل: جز لي^(٥)، فقال معاوية: اجلس في بيتك^(٦).

ولعل ذلك راجع -والله أعلم- لقرب خلافة معاوية من عصر النبوة والخلفاء الراشدين، حيث كان القصاص لا يتقاضون أجراً على قصصهم، بل كان رغبة منهم.

٥ - تحديد أوقات للقصاص:

اشتهر القصاص في بداية العهد الأموي بجلوسهم للناس بعد صلاة الفجر، من ذلك ما قاله مجاهد -رحمه الله- قال: ((صليت الصبح مع سعيد بن المسيب، فلما سلم الإمام ابتدر الناس القاص))^(٧).

وقام بعض خلفاء بني أمية بتحديد أوقات معينة للقصاص، من ذلك ما حدده عبدالملك بن مروان في أن يكون وقت القصاص بعد صلاة الصبح والعصر^(٨)، وكذلك ما فعله عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- فقد كتب إلى صاحب

(/)	(/)	:	()
(/)		:	()
(/)	(/)	:	()
	(/)	:	()
		:	()
	(/)	:	()
	(/)	:	()
	(/)	:	()

الحجاز: ((أن مُر قاصك أن يقص على كل ثلاثة أيام مرة))^(١) وروي أنه قال:
((دع القصص يوم السبت ويوم الثلاثاء))^(٢).

وبعضهم كان يقص أكثر من مرة في اليوم الواحد كسعید بن جبیر.
فقد ((كان يقص كل يوم مرتين بعد صلاة الفجر وبعد صلاة العصر))^(٣).

الفرع الثاني

تراجم مختصرة للقصاص في العهد الأموي

١- إبراهيم بن يزيد: بن شريك الكوفي التيميّ أبو أسماء، العابد العالم العامل، يقول الأعمش: ((دخلت على إبراهيم التيمي وأبي وائل وهما في مجلس، فجعل إبراهيم التيمي يقص وأبو وائل يبكي))^(١) وقال عنه إبراهيم النخعي-رحمه الله-: ((إني أحسبه يطلب بقصصه وجه الله))^(٢) قتله الحجاج سنة ٩٢ هـ^(٣).

٢- بلال بن سعد: بن تميم الأشعري السكوني الدمشقي أبو عمرو، العابد الفاضل، قاص أهل دمشق، كان لأبيه صحبة، قال ابن حبان: ((أعطي

()

()

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() : (/) (/) (/)

(/) (/)

لساناً وبياناً وعلماً بالقصص^(١) وقال الذهبي: ((كان بليغ الموعظة، حسن القصص))^(١)، وقال ابن حجر: ((كان قاصاً حسن القصص))^(١)، توفي في خلافة هشام بن عبدالملك^(١).

٣- **تبيع بن عامر**: الحميري أبو عبيدة، ويقال أبو غطفان، ابن زوجة كعب الأحمري، كان عالماً، سمع من كعب عالماً كثيراً، قال ابن حجر-رحمه الله: ((كان يقصّ عند أصحاب رسول الله ﷺ))^(١)، توفي سنة ١٠١ هـ^(١).

٤- **توبة بن نمر**: بن حرميل بن يغلب الحضرمي ثم المصري أبو محجن، قاضي مصر وقاصّها الفاضل العابد، قال الدارقطني-رحمه الله: ((جمع له القضاء والقصص بمصر))^(١)، توفي سنة ١٢٠ هـ^(١).

٥- **ثابت بن أسلم**: البناني البصري أبو محمد، الإمام القدوة العابد، قال الإمام أحمد-رحمه الله: ((ثابت ثبت في الحديث، وكان يقصّ))^(١)، توفي سنة ١٢٧ هـ^(١).

٦- **الجلاح**: المصري القرشي أبو كثير، مولى الأمويين، قال المزي-رحمه الله: ((كان عمر بن عبدالعزيز قد جعل إليه القصص بالإسكندرية))^(١)، توفي سنة ١٢٠ هـ^(١).

			(/) .	()
			(/) .	()
			(/) .	()
(/)	(/)	(/)	:	()
			(/)	()
(/) .	(/)	(/)	:	()
			.	()
		(/)	:	()
			(/)	()
			(/) .	()
(/)	(/)	(/)	:	()
	(/)	(/)		(/)
			(/)	()

- ٧- **درّاج بن سمعان**: المصري السهمي القرشي أبو السّمح، واعظ مصر وقاضيها، قدم دمشق طالباً للعلم، قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((كان يقصّ بمصر))^(١)، توفي سنة ١٢٦هـ^(٢).
- ٨- **ذرّ بن عبدالله**: بن زرارة بن معاوية الهمداني المرهبي الكوفي أبو عمر، وهو ممن خرج مع عبدالرحمن بن الأشعث على الحجاج بن يوسف، قال ابن حبان: ((كان من عباد أهل الكوفة وكان يقصّ))^(٣) وقال ابن سعد: ((كان ذرّ من أبلغ الناس في القصص))^(٤) توفي بعد المائة^(٥).
- ٩- **ربيعة بن عمرو**: بن الحارث بن الغاز الجرشي الدمشقي أبو الغاز، من العبّاد، قال ابن حبان: ((كان يقصّ أيام معاوية))^(٦)، توفي سنة ٦٤هـ^(٧).
- ١٠- **رجاء بن حيوة**: بن جرول الكندي الشامي أبونصر، العالم، العابد، وزير عمر ابن عبدالعزيز، القاضي، كان قاص العامة، توفي سنة ١١٢هـ^(٨).

() : (/) (/) (/)
 (/)
 () (/)
 () : (/)
 -
 (/)
 (/)
 (/)
 (/) (/) (/) : (/)
 (/)
 (/) : (/) (/)
 (/)
 (/) : (/) (/)
 (/)
 (/) : (/) (/)

- ١١- رفاعة بن شداد: بن عبدالله بن قيس البجلي الكوفي أبو عاصم، أحد قصاص جيش التوابين^(١)، قتله عبيدالله بن زياد^(٢).
- ١٢- زرارة بن أوفى: العامري الحرشي البصري أبو حاجب، قاضي البصرة وإمامها، قال الذهبي-رحمه الله:- ((كان يقصّ في داره، وكان من العباد الصالحين))^(٣) صلى بالناس الفجر فلما بلغ قوله تعالى: (وَيُؤَيِّدُ) ^(٤) شفق شهقة فمات، وذلك سنة ٩٣هـ^(٥).
- ١٣- سعيد بن جبير: بن هشام الأسدي الكوفي أبو محمد، الإمام العابد الحافظ المفسر، أحد الأعلام ومن كبار العلماء، كان يقصّ كل يوم مرتين بعد صلاة الفجر وبعد العصر، قُتل بين يدي الحجاج سنة ٩٥هـ^(٦).
- ١٤- سليمان بن حبيب: المحاربي الداراني أبو أيوب، قاضي دمشق، وقاص هشام ابن عبدالملك، توفي سنة ١٢٦هـ^(٧).
- ١٥- شتير بن نهار: العيدي البصري، وقيل اسمه سمير، يروي عن أبي هريرة، كان من أوائل من قص في مسجد البصرة^(٨).
- ١٦- صالح بن مسرح: التميمي الخارجي، كان ناسكاً صاحب عبادة، قال الذهبي-رحمه الله:- ((خرج صالح بن مسرح العابد التميمي بداراً^(٩) وله

				()
			(/)	()
(/)	(/)	(/)	:	()
			(/)	()
			()	()
(/)	(/)	(/)	:	()
			(/)	(/)
		(/)	:	()
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
			:	()
(/)	(/)	(/)	:	()
			(/)	(/)
(/)	:		:	()
			(/)	(/)

أصحاب يفقههم ويقصّ عليهم، ويذم عثمان وعلياً كدأب الخوارج^(١) وقال ابن الأثير: ((كان له أصحاب يقرأ لهم القرآن والفقهاء، ويقصّ عليهم))^(١)، توفي سنة ٧٦هـ^(١).

١٧- **عائذ الله بن عبدالله**: بن عمرو العوذني الشامي الدمشقي الخولاني أبو إدريس، قاص أهل الشام وقاضيهم وواعظهم، عُزل من القصاص وأقِرَّ على القضاء، قال الذهبي عند ترجمته: ((قلت: قد كان القاص في الزمن الأول يكون له صورة عظيمة في العلم والعمل))^(١)، توفي سنة ٨٠هـ^(١).

١٨- **عبدالرحمن بن حجيرة**: الخولاني المصري قاضي مصر وقاصها، ولأه عبدالعزيز ابن مروان القصاص، ثم جمع له الخليفة عبدالملك بن مروان القضاء والقصاص وبيت المال، توفي سنة ٨٣هـ^(١).

١٩- **عبدالرحمن بن يزيد**: اليماني الصنعاني الأبنوي أبو محمد، من أبناء فارس، قاص مشهور، لقي أبا هريرة وابن عمر-رضي الله عنهم-^(١).

٢٠- **عبدالله بن زيد**: الأزرق الدمشقي، كان قاصاً لمسلمة بن عبدالملك بالقسطنطينية، وكان يقص في غزوة الروم مع مسلمة، توفي سنة ١٠١هـ^(١).

(/) ()

(/) ()

: ()

-

(/) (/) .

(/) ()

(/) (/) (/) (/) : () ()

(/)

(/) (/) : () ()

(/) (/) (/) : () ()

(/) (/) (/) : () ()

(/) (/) .

٢١- **عبدالله بن غالب**: الحدّاني البصري، العابد الواعظ، كان من عباد البصرة. قال قتادة-رحمه الله:-((كان يقص في المسجد الجامع))^(١) توفي سنة ٨٣هـ^(١).

٢٢- **عبدالله بن كثير**: بن عبدالمطلب بن أبي وداعة السهمي المكي القرشي، يُعرف بـ:قاص الجماعة وقاص مكة. قال ابن عيينة:((كنت أسمع قصصه وأنا غلام))^(١)، توفي سنة ١٢٢هـ^(١).

٢٣- **عتاب بن ورقاء**: الرياحي أبو ورقاء، القائد المجاهد، كان يحث الجنود بقصصه، يقول تميم الأزدي عن عتاب:((وقف علينا فقص علينا قصصاً كثيراً))^(١)، توفي سنة ٧٧هـ^(١).

٢٤- **عدي بن ثابت**: الأنصاري الكوفي الحافظ، رُمي بالتشيع. قال الذهبي- رحمه الله:- ((قاص الشيعة وإمام مسجدهم في الكوفة))^(١)، توفي سنة ١١٦هـ^(١).

٢٥- **عطاء بن يسار**: الهلالي المدني أبو محمد، الفقيه الواعظ القاضي، مولى ميمونة زوج النبي ﷺ، كان صاحب قصص وعبادة وفضل، وكان يقصّ في مسجد رسول الله ﷺ غدوة وعشية، يقول هشام بن عروة:((ما رأيت قاصّاً أفضل من عطاء بن يسار))^(١) ويقول زيد بن أسلم:((كان عطاء بن يسار يقص علينا حتى نبكي، ثم يحدثنا بالملح حتى نضحك، ثم يقول مرة كذا، ومرة كذا))^(١) توفي سنة ١٠٣هـ^(١).

(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)	(/)

٢٦- **عقبة بن مسلم:** التجيبي المصري أبو محمد، إمام المسجد الجامع العتيق بمصر، شيخ مصر وقاصها وقاضيها، قال أبو سعيد بن يونس: ((كان قد ولي القاص))^(١)، توفي سنة ١٢٠هـ^(٢).

٢٧- **عمران بن عصام:** الضبعي البصري أبو عمارة، كان على قضاء البصرة، ممن يُرجع إليه في الفقه والعلم، قال ابن حجر-رحمه الله:- ((القاص الشاعر))^(١)، توفي سنة ٨٣هـ^(٢).

٢٨- **عون بن عبدالله:** بن عتبة بن مسعود بن غافل الهذلي الكوفي أبو عبدالله، الثقة العابد، قاضي بغداد، قال الذهبي-رحمه الله:- ((كان عون بن عبدالله يقص))^(١)، توفي سنة ١٢٠هـ^(٢).

٢٩- **قتادة بن دعامة:** بن قتادة السدوسي البصري أبو الخطاب، الحافظ المفسر من علماء التابعين، اتهم بالقدر، قال الإمام أحمد: ((من الثقات المأمونين، وكان يقص))^(١)، وقال همام بن يحيى: ((كان قتادة يقص علينا))^(٢)، توفي سنة ١١٧هـ^(٣).

(/)	(/)	:	(/)
-			(/)
(/)	(/)	.	(/)
	(/)	(/)	(/)
		(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:
		(/)	(/)
		(/)	(/)
		(/)	(/)
		(/)	(/)
		(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:
			(/)

- ٣٠- كثير بن السائب: القرظي الحجازي، تابعي، قاص أهل فلسطين^(١).
- ٣١- كردوس: بن قيس وقيل: ابن عباس وقيل: ابن هانئ التغلبي الكوفي. قال البخاري: ((كان قاص الجماعة))^(١) وقال حصين بن عبدالرحمن: ((كان كردوس يقصّ علينا زمن الحجاج))^(١)، كان يقصّ على التابعين^(١).
- ٣٢- مالك بن دينار: السامي الناجي البصري أبو يحيى، الزاهد العابد من ثقات التابعين، كان يقصّ عند بلال بن أبي بردة أمير البصرة، توفي سنة ١٣٠هـ^(١).
- ٣٣- ماهان: الحنفي الكوفي أبو صالح، وقيل أبو سالم الأعور، كان يقال له المسبح لأنه لا يفتر عن التسبيح، من أهل الكوفة، قال الذهبي -رحمه الله-: ((ماهان الأعور القاص))^(١)، قتله الحجاج عام ٨٣هـ^(١).
- ٣٤- مجاهد بن جبر: المخزومي المكي أبو الحجاج، الحافظ، إمام في التفسير، قرأ القرآن على ابن عباس-رضي الله عنهما- ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله عنها: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ قال ابن حبان-رحمه الله-: ((كان فقيهاً ورعاً... وكان يقصّ))^(١) توفي سنة ١٠٤هـ^(١).
- ٣٥- محمد بن قيس: المدني أبو إبراهيم، قاص عمر بن عبدالعزيز، واشتهر بذلك، كان عالماً كثير الحديث، وكان مع عمر بن عبدالعزيز لما ولي

()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)

خلافة الشام، توفي زمن فتنة الوليد بن يزيد، أي حوالي سنة ١٢٥هـ،
والله أعلم^(١).

٣٦- **محمد بن كعب**: بن سليم بن عمر بن إيَّاس القرظي المدني أبو حمزة، من
أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً، يقول عبدالله بن حبيب: ((رأيت محمد بن
كعب القرظي يقص، فبكى رجل، فقام وقطع قصصه))^(١)، كان يقص
فسقط عليه وعلى أصحابه سقف المسجد فمات هو وجماعة معه تحت
الهدم -رحمهم الله-، وذلك سنة ١١٧هـ^(١).

٣٧- **مسلم بن جندب**: الهذلي المدني أبو عبدالله القارئ، كان من فصحاء أهل
زمانه، وكان يقص في المدينة، وكان إذا سئل ابن المسيب عن أمر قال:
((سلوا ذلك القاص مسلم بن جندب))^(١) توفي سنة ١٠٦هـ^(١).

٣٨- **مطر بن طهمان**: الوراق الخراساني أبو رجا، له حظ من العلم والعمل،
تقول شيبه بنت الأسود: ((رأيت مطراً الوراق وهو يقص))^(١)، توفي سنة
١٢٥هـ^(١).

٣٩- **معبد بن خالد**: بن مريير بن حارثة الجدلي، ويقال: القيسي الكوفي، كان
من القانتين العباد، أشتهر في تراجمه بـ(القاص)، توفي سنة ١١٨هـ^(١).

(/)	(/)	(/)	:	(/)
	(/)			(/)
				(/)
(/)	(/)			(/)
		(/)		(/)
			(/)	(/)
				(/)
(/)	(/)		(/)	(/)
			(/)	(/)
(/)		(/)	:	(/)
			(/)	(/)
		(/)		(/)
		(/)	:	(/)
		(/)		(/)

- ٤٠- **موسى بن هلال**: النخعي أبو عمر، قال الذهبي-رحمه الله:-((كان قاص أهل مصر))^(١)، توفي سنة ١١٧هـ^(٢).
- ٤١- **موسى بن وردان**: العامري القرشي المصري وأصله من المدينة، أبو عمر الواعظ، كان يقص بمصر، وكان صاحب مال وتجارة، توفي سنة ١١٧هـ^(٣).
- ٤٢- **نوف بن فضالة**: البكالي الحميري الشامي أبو يزيد، وهو ابن امرأة كعب الأخبار، كان إماماً لأهل دمشق، قال ابن حبان-رحمه الله:-((كان يروي القصص))^(٤)، وقال سليم بن عامر-رحمه الله:-((أرسلتني أم الدرداء إلى نوف البكالي وكان يقص في المسجد))^(٥)، توفي ما بين التسعين والمائة^(٦).
- ٤٣- **هلال**: المصري الأموي أبو طعمة، أصله من الشام، مولى عمر بن عبدالعزيز، قال المزي-رحمه الله:-((سكن مصر، وكان يقص بها))^(٧)، وهو قارئ أهل مصر^(٨).

(/)	(/)	(/)	:	(/)
		(/)		(/)
			(/)	(/)
(/)				(/)
		(/)	(/)	(/)
				(/)
(/)	(/)			(/)
(/)	(/)	(/)	(/)	(/)
			(/)	(/)
		(/)	(/)	(/)
			(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)
		(/)	(/)	(/)
			(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)
		(/)	(/)	(/)

٤٤ - وهب بن منبه: بن كامل اليماني الأبنوي الصنعاني أبو عبدالله، صاحب القصص أخو همام بن منبه، ولي قضاء صنعاء، من أخبار علماء التابعين، نعتة الذهبي بـ((القصصي))^(١)، كان كثير النقل من كتب الإسرائيليات، قال السيوطي-رحمه الله-: ((رأيت بخط الحافظ الذهبي من كان فرد زمانه في فنه: أبوبكر الصديق في النسب، وعمر بن الخطاب في القوة، ... ووهب بن منبه في القصص ...))^(١) توفي سنة ١١٤ هـ^(١).

٤٥ - يزيد بن أبان: الرقاشي البصري أبو عمرو، من زهاد أهل البصرة، صاحب عبادة، قال أبو القاسم الشافعي: ((كان قاصًّا يقصُّ بالبصرة))^(١) وقال ابن حجر: ((له أخبار في المواعظ والخوف والبكاء))^(١) توفي قرابة المائة والعشرين^(١).

(/) ()
()
(/) (/) (/) : (/) (/)
(/) (/) (/) (/)
(/) (/)
(/) (/)
(/) (/) (/) : (/) (/)
(/) (/)

المطلب الرابع:

القصاص في العهد العباسي:

تمهيد:

لم يختلف الأمر كثيراً في بداية العهد العباسي، عنه في أواخر العهد الأموي؛ فقد نشطت الدعوة العباسية وانتشر دعواتها حتى إن مجالس القصّ والوعظ كانت تعقد لهم في مواسم الحج^(١).

كما كان قضاة الدعوة العباسية يتولون القصص عند بداية ظهور الدولة العباسية، فقد كان قاضي أبو مسلم الخراساني: القاسم بن مجاشع التميمي يتولى القصص، فكان إذا انتهى من صلاة العصر قام فذكر فضل ومحاسن بني هاشم، وسوء ومعائب بني أمية^(٢).

وبعد قيام الدولة العباسية وانتهاء جلّ عصر التابعين كان القصاص عند ذلك على أنواع متعددة:

منهم من كان يراقب الله تعالى فيما يقول، ويتحرى الصدق في الحديث، وإسناد القول إلى قائله، والنصح للأمة والقوة في الحجة، وطلاقة اللسان، وحسن البيان.

ومنهم من كان يجمع في قوله بين الكذب والصدق، همه إرضاء العامة وإقبالهم عليه، يحسن الكذب في الحديث، ويجيد وضع الحكايات الملقفة. وكثر هذا الفريق فأقبل عليهم العامة، وتركهم طلاب العلم.

وقد نعى حالهم ابن الجوزي -رحمه الله- بقوله: ((ثم خست هذه الصناعة، فتعرض لها الجهال، فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء))^(٣).

فساءت عند ذلك سمعة القصاص حتى المحسنين منهم، حتى صار القاص عند بعض أهل العلم ممن لا يجوز الحضور عنده، بل أصبح التشبيه بالقاص للتنقيص.

() : (/) .

() : (/) .

() .

يقول ابن أبي حاتم في ترجمة عبدالعزيز بن حوران: ((كان ضعيفاً يشبه القصاص))^(١).

وقال العقيلي عند ترجمة حكامه بنت عثمان بن دينار: ((أحاديث حكامه تشبه حديث القصاص ليس لها أصول))^(١).

بل أصبح أهل العلم يخشون من سلوك مسلك القصاص.

يقول ابن حبان-رحمه الله- عند حديثه عن زواج فاطمة من علي-رضي الله عنهما-: ((وقد روي في تزويجها أخبار فيها طول تؤدي إلى مسلك القصاص فتنكبت عن ذكرها))^(١).

وقال رجل لعبيد بن زهر وقد أكثر الكلام: ((مالي أراك كأنك قاص تكثر الكلام))^(١).

إلا أن ذلك كله ما كان ليمنع من وجود جملة من القصاص الثقات الذين سلكوا ما كان عليه قصاص الرعيل الأول من تذكير الناس بالقرآن والسنة، وتحري الصدق في القول والتأسي بصفات القصاص الصالحين.

نعم؛ لقد كان الأوائل من قصاص المسلمين أكثر دقة وأعظم أمانة، ولعل السبب في ذلك ما كان لبعضهم من صحبة الرسول ﷺ، وأنهم لا يزالون قريبي العهد بالعصر النبوي.

والحديث عن تاريخ القصاص في العهد العباسي سيكون في الفروع الآتية:

(/) (/) : (/) (/)
(/)

(/) (/) (/) : (/) (/)
(/) (/)
(/) (/)

الفرع الأول

عوامل انتشار القصص في العهد العباسي

ثمة أمور متعددة ساعدت على انتشار القصص، من أبرزها ما يأتي:

١- انغماس بعض الخلفاء في اللهو والترف:

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله - واصفاً عهد المستعين بالله وخلافته:

((وقد ضعف جانب الخلافة، واشتغلوا بالقيان والملاهي))^(١).

() (/) .

ويقول الذهبي-رحمه الله- عن الخليفة المعتمد على الله: ((وانهمك في اللهو واللعب واشتغل عن الرعية))^(١).

ويقول الدكتور شوقي ضيف: ((كان من أهم الأسباب في تدهور الخلافة العباسية أن كثرة من الخلفاء انغمس في اللهو والترف))^(٢).

ومن أبرز مظاهر هذا اللهو ما يأتي:

١- الإسراف: من ذلك ما قاله ابن الأثير-رحمه الله- عن عهد المقتدر بالله وخلافته: ((كان لديه أحد عشر ألف خادم))^(٣) وقال: ((وكان جملة ما أخرجه من الأموال تبذيراً وتضييعاً في غير وجه نيفاً وسبعين ألف ألف دينار))^(٤). وأكثر المتوكل من بناء القصور، حتى بلغت قصوره نحو العشرين^(٥) وأنفق على أحدها ألفي ألف دينار^(٦). ولما مدحه أحد الشعراء بقصيدة وصلة بمائة وعشرين ألف درهم وملابس^(٧). واشتهر المستعين بالله بتفريق الجواهر وفاخر الثياب^(٨)، وتزوج المعتضد بنت أمير مصر وكان صداقها ألف ألف درهم^(٩).

٢- شرب الخمر: وقع عدد من خلفاء العهد العباسي في شرب أم الخبائث، منهم :

المتوكل على الله، فعلى محاسنه التي من أشهرها النهي عن القول بخلق القرآن إلا أنه كان يشرب الخمر حتى يسكر^(١٠)، بل إنه في الليلة التي قُتل فيها سكر سكرًا شديدًا، فهجم عليه عشرة من الأتراك فقتلوه في مجلسه^(١١).

() (/) .

()

() (/) .

() (/) : (/)

() (/) :

() (/) :

() (/) .

() (/) .

()

() (/) :

() (/) :

وكذلك المنتصر بالله^(١) والمعتمد على الله الذي قال عنه الذهبي: ((كان يسكر ويعربد على الندماء سامحه الله))^(٢). والقاهر بالله ذكر الذهبي أنه كان مدمناً للخمر^(٣).

٣- الاستماع إلى المغنين والمغنيات: واشتهر بذلك بعض من الخلفاء العباسيين، كالمتوكل على الله^(٤)، والمستعين بالله^(٥)، والمعتمد على الله الذي قال عنه الذهبي: ((مات بالقصر الحسنی مع الندماء والمطربين))^(٦) والقاهر بالله الذي قال عنه ابن الأثير: ((كان القاهر مشتهراً بالغناء والسماع، فجعل ذلك طريقاً إلى تحقيق غرضه -نعوذ بالله من هذه الأخلاق-))^(٧).

لقد وصل الترف والمجون في عهد بعضهم مبلغاً عظيماً، فبدأ القاصّ والوعظ يشكل في صورة احتجاج واستنكار عند النساك والزهاد، وكثر وعظ القصاص للخلفاء^(٨).

٢ - التكسب وطلب المال:

بلغ من ثقة بعض الناس بالقصاص، أن منهم من يطلب من القاص أن يدعو له بتفريج همه وتنفيس كربته، ونحو ذلك.

ومن طرائف ذلك ما ذكره ياقوت الحموي أن رجلاً جاء إلى قاص فأعطاه فلساً وقال: ادع الله أن يردّ علي ابني، فقال: وأين ابنك؟ قال: بالصين، قال: أيرده الله من الصين بفلس؟ هذا مما لا يكون^(٩).

(/) : ()

(/) : ()

(/)

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

(/) ()

(/) ()

(/) :

" "

(/) ()

ومن ثقة هؤلاء بالقصاص أنهم كانوا يدفعون إليهم صدقاتهم، وكان بعض القصاص بعد فراغهم من القصاص ينتظر من الناس أن يعطوا الأموال، بل ويحثونهم على ذلك^(١). بل بلغ بهم الأمر أنهم كانوا يكلفون واحداً بالجمع للقصاص، وكان القاص يأمر الحاضرين بإعطائه، وإذا تفرق الجمع تقاسما ما اجتمع من المال^(٢).

٣- الحوافز المادية التي كانت تمنح للقصاص من السلاطين:

كان من عادة الخلفاء في العهد العباسي بذل العطايا للقصاص، من ذلك أن المهدي لما قدم المدينة دخل عليه القصاص فوصلهم^(٣).

وكان القاص العلاء بن عاصم الخولاني مثلاً يتقاضى على القص عشرة دنائير في الشهر^(٤).

٤- ظهور الفسق وانتشار الفساد:

انتشر الفساد في بداية القرن الثالث وكثر الترف وخاصة في بغداد وما جاورها، فقد كانت الحياة فيها حياة مجون ولهو. وقد بسط الكلام في ذلك الإمام الطبري - رحمه الله - موضحاً ما كانت عليه بعض البلدان الإسلامية إبان العصر العباسي، وأن ظهور طبقة القصاص والوعاظ لأجل النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان ردة فعل لإقبال الناس على الدنيا يجمعون منها ويتفاخرون^(٥)؛ ((مما حرّك طائفة من القصاص المتطوعين، فأخذوا في النكير على الفساق والمفسدين والمشاغبين))^(٦).

٥- فصل القصاص عن القضاء:

() :

() :

(/) .

(/) :

(/) :

(/) :

()

كان من أسباب تورع العلماء عن القصص أن من يتولى القضاء في العهد الأموي في الغالب أنه يتولى القصص^(١)، ولكن لما تولى بنو العباس الخلافة فصلوا مهنة القضاء عن القصص والقصاص، وأصبح للقاص إمامة الصلاة والإرشاد ونحو ذلك. وقد ألمح إلى ذلك المقرئزي^(٢) -رحمه الله-، ولعل بني العباس أرادوا من ذلك تخفيف الحدة عن القصاص وتقدير رأي العلماء من أهل الحديث والفقهاء الكبار الذين اتخذوا موقفاً سلبياً من القصص والقصاص منذ منتصف القرن الثاني للهجرة^(٣).

الفرع الثاني

مظاهر انتشار القصص في العهد العباسي

- كثرة حلق القصص: أصبحت حلق القصص لا تقارن بغيرهم سواء كثرة الحلق أم كثرة الحضور.

()

() : (/) .

() :

قال عبدالله بن عون: ((أدركت هذا المسجد مسجد البصرة وما فيه حلقة تنسب إلى الفقه إلا حلقة واحدة تنسب إلى مسلم بن يسار وسائر، المسجد قصاص))^(١).

وقد صار يضرب المثل لكثرة الحضور بما يحضر عند القصاص، قال محمد ابن يوسف: ((كنت أحضر دار المقتدر بالله وأنا غلام حدث مع أبي وهو يومئذ قاضي القضاة، فكنت أرى في بعض المواكب القاضي أبا جعفر يحضر بالسواد، فإذا رآه أبي عدل إلى موضعه فجلس عنده، فيتذاكران الشعر والأدب والعلم حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير كما يجتمع على القصاص))^(٢).

ويبدو أن ظاهرة حلق القصاص قد استفحلت في نهاية القرن الثالث مما أجبر الخليفة المعتضد بالله أن يتدخل للحد من ذلك، فنودي في بغداد وفي الجامع ألا يقعد على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص^(٣) ثم تجدد الأمر مرة أخرى فقد نودي في المسجد الجامع بنهي الناس عن الاجتماع على قاص، ومنع القصاص من القعود^(٤).

ثم حاول الخليفة القائم بأمر الله أن يجعل شيئاً من الضوابط للقصاص للحد من انتشارهم، فأصدر أمراً إلى القصاص بالألا يورد أحد حديثاً عن رسول الله ﷺ حتى يعرضه على الخطيب البغدادي، فما أمرهم بإيراده أوردوه، وما منعهم منه ألغوه^(٥).

٢ - كثرة أماكن القصاص، وتعدد أوقاتهم، وتنوع وسائلهم:

أصبح القصاص في العهد العباسي يقصون في أماكن متعددة، وفي أوقات متكاثرة، وبوسائل متنوعة.

أما الأماكن ففي المساجد والمدارس والطرق والأسواق ومجالس الحكام والبوادي والمقابر والسكك وغيرها، بل أصبح بعضهم يقص في دار أصحابه.

() (/) .

() (/) .

() : (/) .

() : (/) .

() : (/) (/) .

وأما المدارس فقد كان أبو المظفر محمد بن أسعد الحكيم يقصّ في جملة من المدارس في دمشق كالطرخانية والصادرية والمعينية^(١) حتى إن الخليفة الواثق بنى له مدرسة خاصة ليقصّ على الناس^(٢).

وأما السكك فلكثر ما كان فيها من القص أصبحت هناك سكك تنسب إلى القصاص.

فهذا أبو القاسم الجرجاني - رحمه الله - يذكر في كتابه (تاريخ جرجان) جملة ممن ترجم لهم مبيناً أماكن منازلهم أو مساجدهم بقربها أو بعدها عن سكة القصاص.

فقد ترجم لرجل ثم قال: ((سكن جرجان في سكة القصاصين))^(٣) وفي ترجمة رجل آخر قال: ((وكان منزله في سكة القصاصين))^(٤) وآخر قال فيه: ((كان واعظاً في مسجد في سكة القصاصين))^(٥)، وقال: ((ومسجده على رأس سكة القصاصين))^(٦).

أما الأوقات فلم يكن هناك وقت محدد لذلك، إلا أن الغالب كان يقصّ بعد الفجر وبعد العصر^(٧) ومنهم من كان يقص بين المغرب والعشاء^(٨)، ومنهم من لا يقصّ إلا في الليالي القمرية^(٩) ومنهم من لا يقصّ إلا في مناسبات محددة

	(/)	(/)	: ()
.	:	(/)	: ()
.	:		:
:	:		:
	(/)		: ()
		(/)	()
		.	()
		.	()
		.	()
		.	()
	.	.	()
	(/)	(/)	: ()
	(/)	(/)	: ()
	(/)	(/)	: ()

كالحسن بن علي الزنجاني، فكان لا يقصّ إلا وقت العزاء^(١) ومنهم من لا يقصّ إلا في رمضان^(٢).

وأما الوسائل فلم تعد مقصورة على الحلق في المساجد والمدارس والطرق، فقد برز جانب الرسائل بشكل كبير، وللقصاص صور متعددة في كتابة الرسائل، منها:

الأولى: أن يكتب القاص رسالته ابتداءً، من ذلك:

يقول عبيدالله بن أبي المغيرة القرشي: ((كتب إليّ الفضل بن عيسى الرقاشي: أما بعد؛ فان الدار التي أصبحنا فيها دار بالبلاء محفوفة وبالفناء))^(٣).

وكتب ابن السماك إلى أخ له: ((أما بعد أوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك ورقبيك في علانيتك.....))^(٤).

الثانية: أن يردّ القاص على من راسله، وتسمّى الرسائل الجوابية، من ذلك: يقول منصور بن عمار-رحمه الله-: ((كتب إليّ بشر المريسي يسألني عن القرآن خالق أو مخلوق؟! فكتبت إليه: بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإياك من كل فتنة.....))^(٥).

وقال ابن السماك-رحمه الله-: ((كتب رجل من مياسير أهل بغداد إليّ يسألني أن أصف له الدنيا؟ فكتبت إليه: أما بعد؛ فإله حفها بالشهوات، ثم ملأها بالآفات.....))^(٦).

الثالثة: أن يُطلب من القاص الكتابة من ذلك:

قال أبو الفيض ذو النون بن إبراهيم المصري-رحمه الله-: ((سألني جعفر المتوكل أمير المؤمنين أن أكتب له دعاء يدعو به))^(٧).

أما عن انتشار الرسائل في العهد العباسي دون غيره فيرجع ذلك لأسباب متعددة، من أبرزها ما يأتي:

١-تباعد المسافات واختلاف الأماكن نظراً لاتساع رقعة البلدان الإسلامية حينذاك .

(١) : (/) .

(٢) : .

(٣) (/)

(٤) (/)

(٥) (/)

(٦) (/)

(٧) (/)

٢- قلة ما تتكلفه الرسائل إذا ما قيست بما يتكلفه السفر بين المرسل والمرسل إليه^(١).

٣- أن كثيراً من الرسائل كُتبت لأناس يصعب مقابلتهم، ولكن يمكن الكتابة إليهم كالحكام ونحوهم .

٤- أن من الناس في ذلك الوقت من كان يطلب من القاص أن يكتب له .

٥- تطور طرق كتابة الرسائل وازدهارها نتيجة الامتزاج الثقافي بين المسلمين وغيرهم، وترجمة كثير من كتب الأمم الأخرى؛ مما أثر على أساليب كتابة الرسائل التي انعكست آثارها في رسائل القصاص كما في الرسائل الإخوانية العزائية، ورسائل الشكر المتشحة في كثير من الحالات بروح قصصية وعظيمة من الاعتبار والتأمل، وبيان حقارة الدنيا وزوالها وقصر أيامها^(٢).

الفرع الثالث

تراجم مختصرة للقصاص في العهد العباسي

١- أبان بن تغلب: الربيعي الكوفي أبو سعد، مقرئ شيعي، قال ابن حجر- رحمه الله-: ((كان قاص الشيعة))^(١)، توفي سنة ١٤١ هـ^(٢).

: ()

: ()

(/) . ()

(/) : (/) . (/) . ()

- ٢- إبراهيم بن موسى: الجرجاني أبو إسحاق الملقب: "بالوزْدُولِي" ^(١)نسبة إلى وزدول من قرى جرجان ^(٢) سُئِلَ ابن معين عن حديث حدث به إبراهيم بن موسى فقال: ((وما يدري ذلك القاص)) ^(١)^(٢).
- ٣- أبوشيبية: ممن غزا بلاد الروم، له قصص ومواضع مشهورة، قال جنادة بن عمرو: ((وصلت الجمعة ثم خرجت إلى باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيبية القاص، يقصّ على الناس)) ^(١)^(٢).
- ٤- أحمد بن أبي أحمد: الطبري الشافعي أبو العباس، إمام عصره وصاحب التصانيف قاضي طرسوس ^(١) قال السمعاني: ((كان من أخشع الناس قلباً إذا قص)) ^(٢) دخل بلاد الديلم ^(٣)، وقصّ على الناس، ورغبهم في الجهاد فبينما هو يقصّ لحقه وجد وغشية، فمات - رحمه الله - وكان ذلك سنة ٣٣٥هـ ^(٤).
- ٥- أحمد بن الحسن: بن عمران بن موسى، القاص من أهل بغداد، ذكر ابن التلاج أنه سمع منه عام ٣٢٥هـ ^(١).
- ٦- أحمد بن عبدالله: بن عياض المكي المخزومي أبو جميل. قال ابن أبي حاتم: ((سألت أبي عنه، فقال: شيخ قدم علينا فكان يقصّ)) ^(١)^(٢).

(/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)
 (/) (/) (/) (/) (/)

-
- ٧- أحمد بن عبدالله: بن محمد البكري أبو الحسن، قال الذهبي: ((البكري القصاص))^(١)، توفي آخر القرن الخامس^(٢).
- ٨- أحمد بن محمد: بن غالب بن خالد بن مرداس الباهلي البصري أبو عبدالله، المعروف بـ"غلام خليل"، الزاهد الواعظ، قال الذهبي: ((لم يزل يقصّ بهم))^(٣) أي بأهل بغداد، توفي سنة ٢٧٥هـ^(٤).
- ٩- أحمد بن محمد: بن محمد الطوسي الغزالي أبو الفتوح الواعظ، أخو الإمام أبي حامد الغزالي، كان قاصاً ظريفاً واعظاً، اختصر الإحياء الذي صنفه أخوه في مجلد سماه لباب الإحياء، توفي سنة ٥٢٠هـ^(٥).
- ١٠- أحمد بن محمد: النعمان، وصفه ابن عساکر بـ"القصاص"^(٦).
- ١١- إدريس بن يحيى: قاص الجماعة، توفي سنة ١٧٦هـ^(٧).
- ١٢- إسحاق بن بشر: بن محمد بن سالم الهاشمي البخاري أبو حذيفة، مصنف كتاب "المبتدأ"، وهو مليء بالموضوعات، قال الذهبي: ((الشيخ العالم القصاص))^(٨) توفي سنة ٢٠٦هـ^(٩).
- ١٣- إسماعيل بن رافع: بن عويمر الأنصاري المدني أبو رافع، نزيل البصرة، قال يحيى بن معين: ((إسماعيل بن رافع ضعيف قاص))^(١٠)، توفي سنة ١٥٠هـ^(١١).
-

() : (/)
() : (/) (/) (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)
() : (/)

- ١٤ - إسماعيل بن زياد: البيروتي أبو الوليد، من أهل بيروت^(١) كان قاصاً^(٢).
- ١٥ - إسماعيل بن علي: بن المثني بن بغداد بن المثني الاسترابادي العنبري الصوفي أبو سعد الواعظ، قال ابن حجر-رحمه الله-: ((كان يقص ويكذب))^(٣)، توفي سنة ٤٤٨ هـ^(٤).
- ١٦ - أشعث بن عبد الملك: الحمرازي البصري أبو هانيء، مولى حمران مولى أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، أحد علماء البصرة، قال الذهبي-رحمه الله-: ((قص بالكوفة دهراً))^(٥) توفي سنة ١٤٢ هـ^(٦).
- ١٧ - ثوبان بن إبراهيم: المصري النوبي أبو الفيض المعروف بذي النون، الصالح المشهور، شيخ الديار المصرية، كان حكيماً فصيحاً، ذكره ابن الجوزي من قصاص مصر، توفي سنة ٢٤٥ هـ^(٧).
- ١٨ - جواب بن عبيد الله: الأحمر التيمي الكوفي أبو خالد، قال الذهبي: ((كان قاصاً واعظاً))^(٨)^(٩).

()	(/)	()	()	()	()
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	()	()	()	()
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)
()	:	(/)	(/)	(/)	(/)

١٩- **الحسن بن حابس: الجصاص**، قال أبو محمد بن حيان-رحمه الله-: ((قدم أصبهان على المغيرة بن الفيض الثقفي وكان يقصّ ويفسر القرآن))^(١).

٢٠- **الحسن بن علي: بن عمر الزنجاني أبو محمد الملقب بـ"القحف"**^(٢) الواعظ، قال الذهبي: ((واعظ قصاص))^(٣)، وقال ابن حجر: ((ذكر أنه كان يقصّ في التعازي والمحافل))^(٤) توفي سنة ٥١٥ هـ^(٥).

٢١- **الحسين بن يوسف: بن محمد بن علي بن زر السامري أبو عبدالله**، قدم دمشق من بغداد، وكان قاصاً^(٦).

٢٢- **حماد بن سلمة: بن دينار البصري الخزاز أبو سلمة، الإمام القدوة العابد الواعظ**، يقول رحمه الله: ((أخذ إياس بن معاوية بيدي وأنا غلام، فقال: لا تموت حتى تقصّ؛ قال الذهبي-فما مات حماد حتى قصّ... وسُئل حماد: أنت قصصت؟ قال: نعم))^(٧)، توفي سنة ١٦٧ هـ^(٨).

()

(/) - (/)

(/) : (/)

(/) - (/)

(/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

(/) : (/)

- ٢٣- حمزة بن ابراهيم: بن أيوب بن سليمان بن داود الهاشمي أبو يعلى، عينه المكتفي على القصص سنة ٢٩٢هـ، وتوفي سنة ٣٠٩هـ^(١).
- ٢٤- حميد بن عطاء بن علي: الأعرج الكوفي الملائي، قال يحي بن معين: ((حميد الأعرج قاص))^(١).
- ٢٥- حنظلة بن عبدالرحمن: التيمي، وقيل التميمي، أبو عبدالرحمن، قال ابن عدي وابن الجوزي: ((هو حنظلة القاص))^(١)، وقال ابن أبي حاتم: ((هو المعلم القاص))^(١).
- ٢٦- خطاب بن بشر: بن مطر البغدادي أبو عمر، كان رأساً في التذكير والوعظ، قال الخلال: ((وأحسب أنه آخر القصاص الذين يفرح بهم، ويعتد بقولهم))^(١)، توفي سنة ٢٦٤هـ^(١).
- ٢٧- رياح بن عمرو: القيسي الكوفي أبو المهاجر الزاهد، قال موسى بن داود: ((لما قصّ رياح جاء يستأذن من رابعة))^(١).
- ٢٨- زياد بن عبدالله: بن علاثة الحراني العقيلي أبو سهل، كان يخلف أخاه محمداً على القضاء ببغداد، قال في الإكمال^(١): ((هو القاص))^(١).

() : (/) (/)

(/)

(/) . ()

(/) : (/) (/) (/)

(/) . (/) (/)

(/) . (/)

(/) : (/) (/) (/) .

(/) - . (/)

(/) : (/) (/) (/) .

()

(/) : (/) (/) .

٢٩- سلم بن عبدالرحمن: النخعي الكوفي، أبو عبدالرحيم، قال ابن حجر: ((كان يقصّ على الناس))^(١).

٣٠- سلمة بن دينار: المدني القرشي المخزومي الأعرج أبو حازم، الزاهد الحكيم، كان قاص أهل المدينة ومن عبادهم وزهادهم، قال الذهبي: ((قاص المدينة وشيخها))^(١) توفي سنة ١٤٠ هـ^(١).

٣١- سعيد بن حسان: المخزومي المكي، قال ابن حجر: ((قاص أهل مكة))^(١).

٣٢- سيفويه: الواسطي، اسمه عبدالله ويكنى أبا محمد، كان يقصّ في بغداد، عدّه ابن الجوزي من مغفلي القصاص، توفي بعد المائتين^(١).

()

(/) (/) (/) :

(/) ()

(/) (/) :

(/) ()

(/) (/) (/) :

(/) (/) (/)

(/) ()

(/) (/) (/) (/) :

(/) :

(/) .:

() (/)

: (()):

(/)

٣٨- **عبدالواحد بن زيد**: البصري أبو عبيدة، العابد الزاهد القاضي، قاص البصرة، قال ابن حبان-رحمه الله:-((له حكايات كثيرة في الزهد والرقائق))^(١) نُسب إليه القول بالقدر، قال ابن الجوزي-رحمه الله:-((كان متعبداً كثير البكاء يقصّ على أصحابه فيموت في المجلس جماعة))^(٢) توفي سنة ١٧٠هـ^(٣).

٣٩- **عبدالوهاب بن الضحاك**: بن أبان السلمي العرضي الحمصي أبو الحارث، قال ابن أبي حاتم: ((قاصّ أهل سلمية))^(٤) توفي سنة ٢٤٥هـ^(٥).

٤٠- **عبدوس بن محمد**: البغدادي، قال الخطيب: ((قدم مصر وكان يقصّ بها))^(٦)، توفي سنة ٢٥٣هـ^(٧).

٤١- **عثمان بن أبي العاتكة**: الأزدي الدمشقي أبو حفص، كان مقرئ أهل دمشق ومعلمها، قال ابن أبي حاتم-رحمه الله:-((كان قاص دمشق))^(٨) وقال غيره: ((كان قاص الجند))^(٩)، وقال محمد بن العلاء: ((رأيت عثمان بن أبي العاتكة يقص على الناس))^(١٠) توفي سنة ١٥٢هـ^(١١).

(/)	(/)	(/)	:	()
		(/)	.	()
			(/)	()
	-	-	(/)	()
(/)	(/)	(/)	:	()
	(/)	(/)	(/)	()
(/)	:	.	(/)	()
			(/)	()
	(/)	(/)	:	()
			(/)	()
	(/)	(/)	:	()
			(/)	()
	(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	(/)	:	()

- ٤٢- **عثمان بن عمرو**: بن ساج القرشي الجزري أبو ساج، من أهل الجزيرة
(١)، قال المزي: ((كان ينزل حران^(١) وكان قاصًّا))^(١).
- ٤٣- **العلاء بن عاصم**: الخولاني الجداوي المصري أبورجب، إمام جامع
مصر، ولي القمص سنة ١٨٢ هـ، صلى خلفه الإمام الشافعي-رحمه الله-
وقال: ((هكذا تكون الصلاة، ما صليت خلف أحد أتم صلاة من أبي
رجب))^(١) توفي سنة ٢٠١ هـ^(١).
- ٤٤- **علي بن أحمد**: بن علي الشرواني، مؤلف كتاب (أخبار الحلاج)^(١)،
واعظ قصاص^(١).
- ٤٥- **علي بن هلال**: البغدادي أبو الحسن، المعروف بابن البواب، اشتهر
بحسن خطه، كان يعبر الرؤيا، ويقصّ على الناس بجامع المنصور،
توفي سنة ٤١٣ هـ^(١).
- ٤٦- **عمر بن حبيب**: المكي ثم اليماني، الحافظ المتقن القاضي، قال ابن
حجر: ((قاص حافظ))^(١)^(١).
- ٤٧- **عمر بن نرّ**: بن عبدالله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي أبو نرّ،
الإمام البليغ الزاهد العابد، قاص أهل الكوفة، قال زكريا بن أبي زائدة:

() : . (/)

() : . (/)

() (/) (/) (/)

(/) . (/)

(()

() :

(/) (/) .

" "

()

(/) : (/) .

(/) (/) (/) : (/) .

(/) (/) : (/) .

(/) (/) : (/) .

((كان عمر بن ذرّ أول ما يجلس يقصّ يقول: أعيروني دموعكم))
(^(١)، توفي سنة ١٥٣ هـ.)

٤٨- **عمر بن مدرك:** البلخي الرازي أبو حفص، قدم بغداد وحدث بها، قال أبو حاتم: ((سمعت أبا حفص القاص يقول في قصصه في دار أحمد بن يوسف الترمذي)) (^(١) توفي سنة ٤٧٥ هـ.)

٤٩- **عمرو بن شمر:** الجعفي الكوفي أبو عبدالله، قال ابن سعد: ((كان إمام مسجد جعفر ستين سنة، وكان قاصّاً)) (^(١) توفي سنة ١٥٧ هـ.)

٥٠- **عيسى بن صبيح:** أبو موسى، الملقب بـ"المردار" وقيل "مدرار"، الواعظ، قال عنه ابن المرتضى المعتزلي في طبقاته: ((كان من أحسن عباد الله قصصاً، وأفصحهم منطقاً)) (^(١)، توفي سنة ٢٢٦ هـ.)

٥١- **الفضل بن عيسى:** الرقاشي البصري أبو عيسى، كان يقص في البصرة، سئل عنه ابن معين فقال: ((كان قاصّاً)) (^(١) توفي في حدود المائتين.)

٥٢- **الفضل بن محمد:** المروزي المقتعي أبو العباس، قدم أصبهان (^(١) سنة ثلاث وثلاثمائة، وكان يقص ويعظ.)

(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)
(/)	(/)	(/)	:	(/)	(/)

- ٥٣- **القاسم بن مجاشع:** بن حبيب التميمي المرامي أبوسهل، ولي القضاء، وكان يصلى بأبى مسلم الصلوات ويقص القصص بعد العصر، فيذكر فضل بني هاشم، ومعايب بني أمية، توفي قرابة سنة ١٤٠ هـ^(١).
- ٥٤- **محمد بن أسعد:** بن محمد بن نصر بن حكيم العراقي أبو المظفر، عُرف بابن حكيم، الواعظ الفقيه شيخ الحنفية بدمشق، قال ابن حجر: ((وهو قاص، يسوق بهذا عند العوام))^(١)، توفي سنة ٥٦٧ هـ^(١).
- ٥٥- **محمد بن بشير:** بن مروان بن عطاء الكندي البغدادي أبو جعفر، الواعظ، قال الذهبي: ((هو قاص))^(١)، توفي سنة ٣٣٦ هـ^(١).
- ٥٦- **محمد بن حبش:** البغدادي ثم المصري أبو بكر الضرير، قال الخطيب البغدادي: ((أبوبكر القصاص الضرير الرجل الصالح))^(١)، كان حافظاً للقرآن، حسن الصوت، توفي سنة ٣٤١ هـ^(١).
- ٥٧- **محمد بن عبدالرحمن:** بن خالد بن ميسرة القرشي الكوفي الملائبي أبو عمرو، قال البخاري: ((كوفي قاص))^(١) وقال ابن أبي حاتم: ((سألت أبا عن أبي عمرو القاص، فقال: شيخ))^(١) ((^(١))).

() : (/) .

() : (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) . (/) .

() : (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

() : (/) (/) (/) . (/) .

٥٨- **محمد بن العباس**: بن الحسين أبو بكر، قال الخطيب: ((كان شيخاً فقيراً، يقص في جامع المنصور، وفي الطرقات، وفي الأسواق))^(١)، توفي سنة ٤٣٠هـ^(١).

٥٩- **محمد بن صبيح**: بن السمّك الكوفي أبو العباس، قصّ كثيراً على هارون الرشيد، توفي سنة ١٨٣هـ^(١).

٦٠- **محمد بن مصعب**: الدعّاء البغدادي أبو جعفر، كان أحد العباد المذكورين، والقراء المعروفين، قال ابن الجوزي: ((كان يقصّ ويدعو قائماً))^(١)، توفي سنة ٢٢٨هـ^(١).

٦١- **محمد بن منصور**: بن محمد بن حاتم النوشري، أبو الحسن القاص^(١).

٦٢- **مرثد بن عبدالله**: اليزني المصري، أبو الخير، مفتي مصر، وقاضي الإسكندرية، تولى القصص في مصر بعد عبدالرحمن الخولاني توفي سنة ٢٩٠هـ^(١).

٦٣- **المظفر بن نظيف**: بن عبدالله المرحبي أبونصر، يُعرف بـغلام مرحب، قال الخطيب-رحمه الله-: ((كان قاصّاً))^(١) توفي سنة ٣٩٨هـ^(١).

٦٤- **مقاتل بن سليمان**: بن بشير الأزدي الخراساني البلخي، أبو الحسن، نزيل مرو المفسر المعروف، قال الذهبي: ((كان يقص في الجامع بمرو))^(١)، توفي سنة ١٥٠هـ^(١).

() : (/) (/) (/) .(/)

(/) ()

() : (/) (/) .(/)

() : (/) (/) (/) .(/)

(/) ()

() : (/) (/) (/) (/)

(/) (/) (/) .(/)

(/) : (/)

() : (/) (/) (/) (/)

(/) ()

() : (/) (/) .(/)

(/) ()

٦٥- منصور بن عمّار: بن كثير السلمى الخراسانى أبو السرى، الزاهد الشهير، والواعظ البليغ، قال أبو سعيد بن يونس: ((قدم مصر وجلس يقصّ على الناس، فسمع كلامه الليث بن سعد، فاستحسن قصصه وفصاحته))^(١)، وقال: ((لم يقصّ على الناس مثله))^(١) وقال السمعاني: ((كان من القصّاص المحسنين))^(١) توفي سنة ٢٢٥ هـ^(١).

٦٦- موسى بن يسار: الأسواري البصري أبو علي، كان إذا قصّ ابتدأ بالقرآن، قال الجاحظ: ((كان من أعاجيب الدنيا))^(١)، اشتهر بالفصاحة^(١).

٦٧- النضر بن إسماعيل: بن حازم البجلي الكوفي أبو المغيرة، إمام مسجد الكوفة، كان رجلاً صالحاً، قال ابن أبي حاتم: ((كان قاصّاً))^(١) توفي سنة ١٨٢ هـ^(١).

٦٨- هناد بن إبراهيم: بن محمد بن نصر بن إسماعيل النسفي أبو المظفر، ولي قضاء بعقوبا^(١)، ذكر ابن عساكر أنه كان قاصّاً. توفي سنة ٤٦٥ هـ^(١).

(/) : (/)

(/) (/) . (/)

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) (/) (/) : (/) ()

(/) (/) (/)

(/) ()

(/) (/) (/) : (/) ()

(/) ()

(/) (/) (/) : (/) ()

(/) (/) (/)

(/) : (/) (/)

(/)

٦٩- **الهيثم بن جَمَّاز**: الحنفي الكوفي البكاء، كان من العباد البكائين، قال الذهبي: ((كان قاصًّا بالبصرة))^(١)^(٢).

٧٠- **يحيى بن عبدالله**: بن بحير بن ريسان المرادي التيمي اليماني، قال الذهبي: ((اليماني القاص))^(١)^(٢).

٧١- **يحيى بن يعقوب**: بن مدرك بن سعد بن حبيب الأنصاري الكوفي أبو طالب، قال ابن أبي حاتم: ((هو أبو طالب القاص))^(١)^(٢).

٧٢- **يعقوب بن مجاهد**: المدني القرشي أبو حزررة، وقيل أبو يوسف، قال ابن حبان: ((كان يقص))^(١)، وقال ابن أبي حاتم: ((كان قاصًّا بالمدينة))^(٢) توفي سنة ١٥٠هـ^(٣).

٧٣- **يونس بن خباب**: الكوفي، أبو حمزة، وقيل أبو الجهم، قال عباد بن عباد: ((أتيت يونس بن خباب بمنى وهو يقص))^(١). شيعي جلد^(٢).

				()
	(/)	(/)	(/)	
		(/)	(/)	(/)
		(/)	(/)	()
(/)	(/)	(/)	:	()
	(/)	(/)		
			(/)	()
(/)	(/)	(/)	:	()
	(/)	(/)	(/)	(/)
			(/)	()
			(/)	()
	(/)	(/)	:	()
			(/)	()
(/)	(/)	(/)	:	()

تلك كانت لمحة سريعة عن أشهر قصّاص العصر العباسي^(١)، والذين كان لهم دور بارز في انتشار القصة والموعظة .

المبحث الثاني

صفات القُصّاص

يجتمع في القصاص صفات متعددة سواء كانت حسنة أم سيئة، ولما كان حصر كل الصفات أو الحديث عن صفات كل قاص على حدة أمر فيه صعوبة بالغة، فإن الحديث عن الصفات سيكون على وجه العموم، وبما يغلب على القصاص من الصفات، أما النادر فلا حكم له.

وقد جعلت هذا المبحث على ثلاثة مطالب، على النحو الآتي:

المطلب الأول

الصفات الذاتية للقُصّاص

الفرع الأول: الصفات الحمودة:

امتاز جملة من القُصّاص بصفات حسنة محمودة جعلتهم ملاذ التائبين، وقربتهم من العامة والحكام والسلاطين، وأهلّتهم لتولي المناصب الدينية والسياسية.

ومن أبرز هذه الصفات:

()

(/)

١ - العبادَة والزهد: إن غالب من سبقت ترجمتهم من القصاص كان من أبرز صفاتهم العبادَة والزهد، وأسوق هنا جملة من أقوال السلف المؤكدة على هذه الصفة:

قال ابن حبان - رحمه الله -: عن سعد السكوني: ((كان عابداً زاهداً))^(١)، وعن ربيعة

الجرشي: ((من عباد الشاميين))^(١)، وعن عبيد بن عمير: ((قاص أهل مكة ومتعبدهم))^(١)، وعن عبدالواحد بن زيد: ((العابد))^(١)، وقال عن سليمان بن حبيب المحاربي: ((من المتعبدين))^(١)، وعن رياح القيسي: ((من عباد أهل البصرة وزهادهم))^(١)، وعن يزيد الرقاشي: ((كان من خيار عباد الله، من البكائين بالليل في الخلوات))^(١)، وعن سلمة ابن دينار: ((من عبّاد أهل المدينة وزهادهم))^(١).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: عن حيي بن هانئ: ((كان متعبداً كثير البكاء))^(١)، وعن سلمة بن دينار: ((الزاهد العابد))^(١).

وقال الذهبي - رحمه الله - عن معبد بن خالد الجدلي: ((من القانتين العباد))^(١)، وعن إبراهيم التيمي: ((العابد))^(١)، وعن عون بن عبدالله: ((القدوة العابد))^(١)، وعن عبدالله ابن غالب: ((البصري العابد))^(١)، وعن أبي حازم سلمة بن دينار: ((الواعظ الزاهد))^(١).

(/)	()
.	()
.	()
(/)	()
.	()
(/)	()
(/)	()
.	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()

وقال ابن حجر - رحمه الله -: عن ذرّ المرهبي: ((كان من عباد أهل الكوفة))^(١)، وعن يوسف بن يعقوب: ((قاصّ أهل اليمن وكان يذكر عنه صلاح))^(١) وغير ذلك .

وكان من نتيجة ذلك أن كسب القصاص ثقة الناس من حكام ومحكومين فأصبح جملة من القصاص قضاة للمسلمين كما مرّ في تراجمهم وبعضهم أئمة للمساجد، مثل النضر بن إسماعيل البجلي فقد كان إمام مسجد الكوفة^(١) وعقبة بن مسلم التجيبي كان إمام المسجد العتيق بمصر^(١)، وعدي بن ثابت الأنصاري كان إمام مسجد الشيعة بالكوفة^(١)، وعمر بن شمر الجعفي كان إمام مسجد جعفر ستين سنة^(١) وكان محمد ابن حبش القاص يصلي بالناس في قيام شهر رمضان في المسجد الجامع العتيق^(١) .

٢ - الفصاحة والبلاغة: اشتهر القصاص بحسن العبارة ورقتها وقربها من قلوب مستمعيها، فكان منهم الشعراء والبلغاء والفصحاء.

قال الدكتور محمد الصباغ: ((والكلام عن بلاغتهم وبياناتهم وخطاباتهم كلام مفعم بالإعجاب بهم فقد كان القصاص ذوي قدرة على التأثير والإقناع، وكانوا يُسخّرون بياناتهم وبلاغتهم وذكاءهم ليحققوا كثيراً مما يريدون))^(١) .

فقد كان الأسود بن سريع شاعراً^(١) .

	(/)	()
	(/) .	()
	(/) .	()
	(/) .	()
(/) .	(/)	()
	(/) .	()
	(/) .	()
	(/)	()
	(/) .	()
	(/) .	()
(/) .	(/)	()
	(/) .	()

وكذلك عمران بن عصام الضبعي^(١)

((وكان ذرّ بن عبدالله من أبلغ الناس في القصص))^(١)

وقال الخطيب عن عبدالكريم القشيري: ((كان حسن الموعظة مليح الإشارة))^(١).

وقال العجلي عن عمر بن ذر: ((كان ثقة بليغاً))^(١).

وكان خالد بن يزيد متكلماً بليغاً^(١).

وقال ابن حبان عن بلال بن سعد: ((أعطي لساناً وبياناً وعلماً بالقصص))^(١).

وقال ابن الجوزي عن منصور بن عمّار: ((سمع كلامه الليث بن سعد فاستحسن قصصه وفصاحته))^(١).

وقال الذهبي عن مسلم بن جندب: ((كان من فصحاء أهل زمانه))^(١) وقال

عن عبدالله بن كثير: ((كان فصيحاً مفوهاً))^(١) وقال عن غلام خليل: ((كان فصيحاً معرباً))^(١)

وكان الفضل بن عيسى الرقاشي: ((من أخطب الناس، وكان متكلماً قاصّاً مُجيداً))^(١).

وقال ابن النجار عن محمد بن أسعد الحكيم: ((شرح المقامات، وسمعت منه شيئاً من شعره))^(١).

(/) : ()

(/) ()

(/) : (/) ()

(/) : (/) ()

(/) : ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

ومن أبرز فوائد هذه الصفة: التأثير على الناس والقدرة على التصرف بأساليب القص وتحقيق أهدافه بما يقتضي المقام من المقال في الترهيب والترغيب والحزن والسرور ونحو ذلك.

يقول زيد بن أسلم: ((كان عطاء بن يسار يقص علينا حتى نبكي ثم يحدثنا بالمُحْ حتى نضحك، ثم يقول مرة كذا ومرة كذا))^(١).

بل إن من الفُصَّاص من كان يجيد مع العربية- لغة أخرى.

قال الجاحظ عن موسى الأسواري القاص: ((ومن الفُصَّاص موسى الأسواري، فكان من أعاجيب الدنيا، كانت فصاحته بالفارسية وزن فصاحته بالعربية، وكان يجلس في مجلسه المشهور به، فيقعد العرب عن يمينه والفرس عن يساره... فلا يُدرى بأي لسان هو أبين))^(١).

وقد أشار بعض المعاصرين إلى أثر القصاص في تنويع الأساليب وتحسينها يقول الدكتور شوقي ضيف: ((وقد خطا خطباء القصص والمواعظ خطوات واسعة نحو الصقل والتجويد لأساليبهم وتلوين معانيهم وتفريعها... ولعلنا لا نبالغ إذا قلنا إن هؤلاء الوعاظ هم الذين ألانوا أساليب اللغة العربية وحسنوها))^(١).

((وقد عني مؤلفو كتب الأدب بتسجيل كثير من كلمات رؤوس هؤلاء القصاص... وقد نقل أبو نعيم في الحلية، وابن قتيبة في عيون الأخبار، وابن الجوزي في القصاص والمذكرين وفي صفة الصفوة، وابن عبد ربه في العقد الفريد أشياء من روائع أقوالهم))^(١).

(/) . ()

(/) . ()

(/) . ()

. ()

. ()

الفرع الثاني:

الصفات المذمومة

كما أن للقصاص صفات حسنة محمودة فإن لبعضهم الآخر صفات سيئة مذمومة، وقد ركز السلف على ذلك، وأبرزوه في مصنفاتهم. ومن هذه الصفات:

١- **الجهل:** تذكر كتب السلف نماذج متعددة دالة على جهل بعض القصاص وتحديثهم بلا علم، والفتوى المخالفة للصواب.

يقول ابن الجوزي-رحمه الله-: ((وعموم القصاص لا يتحرون الصواب، ولا يحترزون من الخطأ، لقلّة علمهم وتقواهم))^(١).

من ذلك ما يذكر أنه كان ببغداد قاص قيل له: ما تقول في المزابنة والمحاكمة؟ قال: المحاكمة حلق الثياب عند السمسار، والمزابنة أن تسمى أخاك المسلم زبوناً^(٢).

ومن جهلهم مصافحة بعضهم للنساء، قال ابن الجوزي: ((وكانهم ما سمعوا أن رسول الله ما صافح امرأة قط))^(٣).

ومن جهلهم اللحن أثناء القصّ، ذكر التوحيد أن ((أبا شيبة القاص كان من ألق الناس، وكان يقول في قصصه: حدثنا أبي إسحاق...، فسمعه رقبة بن مصقلة فقال: لو كان لحنك من الذنوب لكان من الكبائر))^(٤).

()

(/) :

(/)

()

(/)

(/)

ولابد أن أشير هنا إلى أن من الفُصّاص من كان عالماً فقيهاً مثل محمد بن كعب القرظي، فقد قال فيه ابن حبان-رحمه الله-: ((كان من أفاضل أهل المدينة علماً وفقهاً))^(١)، وأبو إدريس الخولاني الذي قال فيه مكحول: ((ما رأيت أعلم منه))^(٢) وأبو حازم الذي قال فيه الذهبي: ((عالم المدينة))^(٣). وقال ابن حبان عن مقاتل: ((كان فقيهاً))^(٤).

وقال عمرو بن ميمون: ((لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه))^(٥).

٢- **الكذب**: وهو صنيع كثير من زهاد القصاص ومتصوفتهم. يقول ابن القطان: ((ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن يُنسب إلى الخير والزهد))^(٦) وتعد هذه الصفة من أبرز الصفات السيئة التي وقفت عليها في كلام السلف في نعتهم للفُصّاص.

وأسوق هنا جملة من أقوال السلف المؤكدة على هذه الصفة في بعضهم:

قال يحيى بن معين: ((أبو حفص القاص الرازي كذاب))^(٧).

وقال الإمام أحمد عن عبدالمعمر اليماني: ((كان يكذب على وهب بن منبه))^(٨).

وقال ابن أبي حاتم عن عبد الوهاب بن الضحاك: ((كان يكذب))^(٩).

وقال الذهبي عن عبدالله بن أفلح البلوي: ((متهم بالكذب))^(١٠).

()

(/)

(/) ()

()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

وقال ابن حجر عن أبي سعد الأسترابادي: ((كان يقصّ ويكذب))^(١).

وسليمان بن داود النخعي كذبه الإمام أحمد^(٢).

وأبو طعمة القاص رماه مكحول بالكذب^(٣).

ومن أبرز النماذج المشهورة في ذلك ما حدث للإمام أحمد وابن معين مع قاص في جامع الرصافة^(٤) ببغداد: فقد صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين - رحمهما الله - في مسجد الرصافة، فقام قاص فقال: حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين قالوا: حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً قال: من قال: لا إله إلا الله، خلق الله من كل كلمة منها طيراً منقاره من ذهب، وريشه مرجان... وأخذ في قصة طويلة، فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إليه، فقال: أنت حدثته؟ قال: لا والله، فلما فرغ وأخذ قطعه - أي الدراهم - قال له يحيى: تعال.. من حدثك بهذا؟ فأنا ابن معين وهذا أحمد، فإن كان ولا بد فالكذب على غيرنا، فقال: أنت يحيى بن معين؟ قال: نعم، قال: لم أزل أسمع أنك أحمق ما علمت إلا الساعة كأنه ليس في الدنيا يحيى بن معين وأحمد بن حنبل غيركما، كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل غير هذا. فوضع أحمد بن حنبل كفه على وجهه فقال: دعه يقوم، فقام كالمستهزئ بهما^(٥).

وفي حادثة قريبة من هذه: ذكر أن قاصاً كان يكثير الحديث عن هرم بن حيان، فاتفق هرم معه مرة في المسجد وهو يقول: حدثنا هرم بن حيان، فقال له: يا هذا أتعرفني؟! أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط، فقال له القاص: وهذا من عجائبك أيضاً إنه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً اسم كل

() (/) : .
() (/) : (/) .
() (/) : .
() (/) : .
() (/) : (/)
() (/) (/) (/) : (/)
(/) (/) (/) (/)
(/) - - . (/)

رجل منهم هرم بن حيان فكيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك؟^(١).

ونحو ذلك ما حدث للكلبي مع مقاتل بن سليمان^(٢).

وقال عبد الله بن الزبير الحميدي: كنا قعودا مع سفيان بن عيينة في مسجد الخيف بمنى إذ قام رجل قاص، قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس، ثم أخذ في قصص طويل، فقام ابن عيينة فاتكأ على عصاه، فقال: (ق ق ج ج ج ج ج ج ج ج) ما حدثت بهذا قط ولا أعرفه^(٣).

٣- الضعف في الرواية وعدم العناية بالحديث: ولذلك أصبح غالب القصص من الضعفاء في رواية الحديث، بل إن من السلف من لا يحدث القصص، ومنهم من يقيمهم من مجلسه.

يقول الحافظ العراقي - رحمه الله -: ((ولقد كان القصاص - وإن اشتهر كل منهم بالزهد والصلاح - معروفين بالضعف في رواية الحديث))^(٤).

وقال حماد بن سلمة: ((كنت أسمع أن القصاص لا يحفظون الحديث))^(٥).

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ما يأتي:

قال الإمام أحمد عن النضر بن إسماعيل البجلي: ((لم يكن يحفظ الإسناد))^(٦).

وقال ابن عدي عن صالح المري: ((ليس هو بصاحب حديث))^(٧).

وقال ابن حبان عن يزيد الرقاشي: ((ممن غفل عن صناعة الحديث وحفظها))^(٨).

() (/) .

() : (/) .

() ()

() :

(/)

-

() .

() (/) .

() (/) .

() (/) (/) .

وسئل عنه ابن معين فقال: ((رجل صالح، لكن حديثه ليس بشيء))^(١).

وقال يحيى بن سعيد القطان: ((كنت عند شعبة ورجل يسأله عن حديث فامتنع، فقلت: لم لا تحدثه؟ قال: هؤلاء فُصَّاص يزيدون في الحديث))^(٢).

وسياتي في موقف العلماء من الفُصَّاص أسماء مشهورة من الفُصَّاص، ومع ذلك فهم ممن أُضعفوا في رواية الحديث.

٤- **الإتيان بالعجائب والمضحكات:** وهذا باب واسع والحوادث فيه متكاثرة والنماذج متعددة، أسوق هنا أقوال السلف في ذلك، وأرجى ذكر النماذج عند الحديث عن موقف العامة من الفُصَّاص:

قال ابن حبان عن عبدالله بن بجير: ((يروى العجائب))^(٣).

وقال ابن ماکولا: ((سيفويه القاص، مشهور، وله حكايات عجيبة مضحكة))^(٤).

وقال ابن حجر عن أبي مرحوم الحجام: ((ذكره الكرابيسي فقال: بغدادى، كان يقص فذكر له أشياء مضحكة))^(٥).

وقال القاسم بن مسرور عن صالح المري: ((...في قصصه وكلامه شيئاً عجيباً))^(٦).

وقال الذهبي عن هناد النسفي: ((الغالب على روايته الغرائب))^(٧).

وقال ابن العماد: ((هناد بن إبراهيم النسفي صاحب عجائب))^(٨) بل إن من السلف من كان يسمي "العجائب": ((متاع الفُصَّاص))^(٩).

(/) ()
 . ()
 . (/) ()
 . ()
 . (/) ()
 (/) : (/) ()
 . (/) ()
 (/) : (/) ()
 (/) ()
 ()
 (/)

المطلب الثاني:

صفات القصّاص في مجلس القصّ:

دوّنت كتب التاريخ والتراجم وغيرهما شيئاً من صفات القصّاص التي كان جلهم يتصف بها، منها ما هو صفات قولية، ومنها ما هو صفات عملية، ومنها ما هو خاص بملابس القاص وهيئته وغير ذلك، أسوقها في الفروع الآتية:

الفرع الأول:

صفات القاص عند ابتداء القص

لما كانت مقدمات القصص هي أول ما يقرع أسماع المدعوين، فتحفزهم على المتابعة والاسترسال، أو تدفعهم إلى الانصراف والإعراض؛ فقد اعتنى بعض القصّاص بمقدمات قصصهم ومواعظهم عناية شديدة، حتى أصبحت هذه الصفة أمراً مألوفاً، وقد قامت جملة من القصص على مقدمات رئيسة. ومن أبرز ما وقفت عليه أن بعضهم كان يبدأ بالبسملة كمنصور بن عمّار^(١) وبعضهم كان يستهل قصصه بحمد الله-تعالى- والثناء عليه، ثم يصلي ويسلم على النبي ﷺ كصنيع محمد بن السّمّاك^(٢)، وبعضهم كان يبدأ بالدعاء وينتهي به كفعل عمر بن ذر^(٣) وبعضهم ربما دعا لشخص معين كصالح المري الذي مات في مجلسه فتى فكان يذكره في مجلسه كثيراً ويدعو الله له^(٤).

وفي تفصيل أدق يقول ابن دقماق-رحمه الله-في وصف القاص عند بداية قصّته: «إذا سلّم من صلاة الصبح ذكر الله وحمده ومجده، وصلى على

() :

(/) .

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

النبى ﷺ، ودعا للخليفة، ولأهل ولايته ولحشمه ولجنوده، ودعا على أهل حربته وعلى المشركين كافة^(١). والحمدلة من الأمور المندوبة للتيمن والبركة، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ ((كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع))^(٢).

قال النووي-رحمه الله-((يستحب البداءة بالحمد لكل مصنف ودارس ومدرس وخطيب وخطب، وبين يدي جميع الأمور المهمة))^(٣). وحرص بعض القصاص على تحريك مشاعر الناس وإثارة عواطفهم، مثل صنيع عمر بن ذر، فقد كان أول ما يجلس للقص يقول: ((أعيروني دموعكم))^(٤).

وكان بعضهم يطرح استفهاماً وسؤالاً ليجلب إليه الأنظار.

فعن ابن شهاب قال: ((جلست إلى أبي إدريس الخولاني يوماً وهو يقصّ فقال: ألا أخبركم بمن كان أطيّب الناس طعاماً؟ فلما رأى الناس قد نظروا إليه قال: يحيى بن زكريا كان أطيّب الناس طعاماً، إنما كان يأكل مع الوحش كراهة أن يخالط الناس في معاشهم))^(٥).

وبعضهم كان يبدأ بالقرآن عند بداية القصّ، فقد ((كان صالح المري إذا قصّ قال: هات جونة^(٦) المسك والترياق المجرب يعني: القرآن))^(٧).

فبيدأ مجلس القصّ بقراءة شيء من القرآن تيمناً بذلك، ولما تولى القصص أبو بكر محمد ابن عبد الله بن مسلم الملطي، عزم على القراءة في المصحف في كل يوم^(٨).

()

(/)

()

(/)

()

(/)

(/)

(/)

()

(/)

()

()

:

()

:

(/)

()

(/)

(/)

الفرع الثاني:

صفات القصاص أثناء القص

أذكر أولاً الصفات والعادات التي يفعلها غالب القصاص، ومنها:

١ - **القيام:** ذكر السبكي رحمه الله أن من عادة القاص أن يقص قائماً، وقد يجلس أحياناً^(١).

فقد كان أبو قبيلة مرثد بن وداعة يقص قائماً^(٢).

وكان محمد بن مصعب الدعاء يقص ويدعو قائماً^(٣).

() : (/) .

() :

() : (/) .

وسليم بن عتر كان يقصّ وهو قائم^(١)، وسليمان التجيبي^(٢)، وغير ذلك كثير^(٣).

بل إن أول قاص في الإسلام تميم بن أوس الداري^(٤) استأذن عمر^(٥) أن يقص على الناس قائماً^(٦).

وهذا هو الغالب كما قال السبكي، وإلا فمن الفصّاص من كان يجلس على كرسي كما سيأتي في صفات مجلس الفصّاص.

٢- أن يقصّ من حفظه: أصبحت طريقة الإلقاء الشفهي من الحفظ أساساً يقوم عليه القاص، فقد ذكر الإمام السبكي-رحمه الله- أنه كان من عادة القصاص من السلف

أن يقرأ القاص من حفظه^(٧).

قال الصفي عن الحسن الزنجاني ((كان يحفظ كثيراً من الحكايات))^(٨).

وقال المزني عن عمر بن حبيب: ((كان حافظاً متقناً))^(٩).

وقال عنه ابن حجر: ((قاص حافظ))^(١٠).

٣- رفع الصوت وحسنه: اعتاد الفصّاص على رفع أصواتهم ليسمع أكبر عدد ممكن، وهي مزية مطلوبة في تلك الفترة التاريخية لكي يصل القصص إلى المستمعين سواء كان ذلك في المسجد أم في ساحة القتال.

قال إبراهيم بن هاني: ((من تمام آلة القصص أن يكون القاص ... بعيد مدى الصوت))^(١١). ومن نماذج ذلك:

(/) : (/) (/) (/)

(/) : (/) (/)

(/)

(/) : (/) (/)

(/) : (/)

(/)

(/) (/)

(/) (/)

(/) (/)

(/) (/)

يقول أيوب: ((كنت مع أبي قلابة في جنازة، فسمعنا صوت قاص ارتفع صوته وصوت أصحابه))^(١).

مع العناية بتحسين الصوت ليكون أكثر قبولاً للمتلقين .
قال ابن عدي: ((كان صالح المري إذا قص حسن الصوت))^(١). وكان محمد الدعاء حسن التلاوة للقرآن^(١).

وقال الذهبي عن محمد بن حبش القاص ((كان يعظ ويقرأ بصوت شجي يقع في القلوب))^(١)، وبعضهم كان يقوم بتلحين قراءته وقصصه^(١).

٤ - الخشوع: وهذا ديدن الصادقين منهم.

قال السمعاني عن أحمد بن أبي الأحمد الطبري: ((كان من أخشع الناس قلباً إذا قصّ، فمن ذلك ما يحكى عنه أنه كان يقصّ على الناس بطرسوس، فأدركته روعة ما كان يصف من جلال الله وعظمته، وملكته خشية ما كان يذكر من بأسه وسطوته، فخرّ مغشياً عليه وانقلب إلى الآخرة لاحقاً باللطيف الخبير))^(١).

أما صالح المري فيقول عنه عفان بن مسلم: ((كنا نأتي مجلس صالح المري وهو يقصّ، وكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يفرّك أمره وكثرة بكائه كأنه ثكلى))^(١) وعن عبدالرحمن بن مهدي قال: ((قال سفيان: أما لكم مذكر؟ قال: قلت: بلى، لنا قاص، قال: فمُرّ بنا إليه، قال: فذهبت به ما بين المغرب والعشاء، فلما انصرف قال: يا عبدالرحمن تقول: قاص! هذا نذير قوم— يعني صالح المري—))^(١).

وخطاب بن بشر قال فيه الخلال: ((كنت إذا سمعت كلامه كأنه نذير قوم))^(١).

()	(/)	.
()	(/)	:
()	(/)	.
()	(/)	:
()	(/)	:
()	(/)	:
()	(/)	:
()	(/)	:
()	(/)	.
()	(/)	.
()	(/)	.
()	(/)	.
()	(/)	.
()	(/)	.

وكان يزيد الرقاشي يبكي إذا قصّ، ويقول في بكائه: ((يا يزيد من يبكي بعدك عنك؟ من يترضى ربك لك؟))^(١).

٥- **رفع اليد:** وهذه الصفة يستعملها القصاص كوسيلة تعبيرية من وسائل الإلقاء والدعاء، ولها تأثير معروف في أنفس المستمعين. ويبدو أن رفع اليد عند القصاص و الوعاظ كان وسيلة شائعة من وسائل الأداء كما يقول الكندي^(١).

قال يزيد بن إبراهيم التستري: ((رأيت الحسن يرفع يديه في قصصه))^(١). وكذلك كان يفعل سليم التجيبي، فقد ((كان يقصّ على الناس وهو قائم، ويرفع يديه في قصصه))^(١).

وكان عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- إذا جلس إلى قاص: يرفع يديه إذا رفع^(١). ولعل هذا كان في أثناء دعاء القاص. هذه أبرز الصفات التي يشترك فيها غالب القصاص، وهناك ما يفعله القلة منهم مثل:

- **تغطية الوجه:** يقول ابن الجوزي: ((ورأيت قاصاً كان إذا صعد المنبر غطى وجهه))^(١).

- **استعمال بعض ما يزيد في البكاء:** يقول ابن الجوزي: ((إن في القصاص من يتبخر بالزيت والكمون ليصقّر وجهه، وبلغني أن منهم من يمسك معه ما إذا شمه سال دمه))^(١).

- **التمثيل:** والمراد أن يمثل القاص شيئاً قاله، يقول أبو الحسين الخياط: ((مررت بأبي عبدالله غلام خليل وهو في مجلسه، وقد قام على أربع، فقلت لبعض أهل المجلس: ويحكم ما شأن أبي عبدالله؟ قال: يحكي عبدالرحمن

()

() :

() (/) (/) .

() :

() (/) :

()

()

بن عوف على الصراط يوم القيامة. قال: ومررت به يوماً آخر في مجلس له وهو مادّ يديه قد حنى ظهره، فقلت لبعضهم: ما حاله؟ قال: يحكي كيف يُلقى الله كنفه على عبده يوم القيامة^(١).

- **فعل بعض الحركات:** مثل الصعود والنزول عند قراءة البسمة، والإيقاع بالقدم^(٢)، والتصفيق، وتمزيق الثياب^(٣) ونحو ذلك.

ومنهم من عمد إلى تعظيم كور عمامته، وإطالة لحيته، وإظهار مزيد من التخشع^(٤).

وأخيراً، فقد كان الجاحظ ممن عني بتصوير حال بعض القصّاص، يقول: ((لو ذهب مالي لجلست قاصّاً، وطففت الأفاق مكدياً اللحية وافرة بيضاء، والحلق جهير والسمت حسن إن سألت عيني الدمع أجابت.... إلخ))^(٥)

المطلب الثالث

صفات مجلس القصّاص

وسأتحدث هنا عن وصف مكان القاص والحضور أجناسهم وأعدادهم.

(الفرع الأول)

وصف مكان القاص

سبق في تاريخ القصّاص ذكر أماكن القصّاص، وأنها تتنوع ما بين المساجد والأسواق والمدارس والمنازل والطرقات وغيرها، وإن كان المسجد هو المكان الذي اشتهر بأن تُعلن فيه الدعوة إلى الله-تعالى-ويُبين فيه أحكام

()

: ()

: ()

: (/) .

()

الكتاب والسنة، وترقق فيه القلوب بالقصص المؤثرة والمواظب البليغة، وقد أوحى هذا الارتباط الوثيق بين القصص والمسجد لدى بعض الباحثين بتسميته: "القصص المسجدي"^(١).

والحديث هنا عن صفة مكان القاص أثناء قصصه، والذي يظهر أن الغالب على القصص هو الوقوف، وإن كان هناك من القصص من وضع له كرسي فهو لا يقص إلا عليه.

يقول ابن الحاج-رحمه الله-: ((وقد قسم بعض العلماء المتكلمين ثلاثة أقسام فوصفهم بأماكنهم فقال: المتكلمون ثلاثة: أصحاب الكراسي وهم القصاص ...^(١))).

ومنهم من يقص على منبر قائماً، ويبدو أن بعضهم لم يكتف بالمنبر مجرداً بل ألبسوه وكسوه الخرق الملونة وغيرها، يقول ابن الجوزي -رحمه الله-: ((فإنهم أحدثوا لباس المنبر الخرق الملونة كأنها المنثور، وتعليق المصلي على الحائط فتضرب له المسامير في حائط المسجد...، فيوجب في القلوب هيبة للقائل أكثر من هيبة من هو على خشبة مُعرّاة))^(١).

كما يروى عن بعضهم أنه كان ينصب المصحف الذي يقرأ منه في مؤخرة الجامع، وقد فعل ذلك محمد بن الحسن السوسي القاص في المسجد العتيق، ثم أصبح عادة دارجة لدى القصاص^(١).

وقد ذكر الفاكهي-رحمه الله-أن للقاص في مكة منذ القرن الأول الهجري مجلساً معروفاً في المسجد الحرام، استمر فيما بعد يتوارثه قصاص مشهورون^(١).

() :
(/) : (/)
(/)

(/) .

(/) : ()

(/) : ()

(الفرع الثاني)

وصف الحضور في مجلس القصاص

١- أعدادهم: اشتهر القصاص بكثرة الحضور حتى أصبحوا مضرب المثل في ذلك. فعن أبي عمر محمد بن يوسف قال: ((كنت أحضر دار المقتدر وأنا غلام حدث بالسواد مع أبي وهو يومئذ قاضي القضاة، فكنت أرى في بعض المواكب القاضي أبا جعفر يحضر بالسواد، فإذا رآه أبي عدل إلى موضعه فجلس عنده فيتذاكران بالشعر والأدب والعلم حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير كما يجتمع على القصاص))^(١).

وقد جعل أبوطالب المكي -رحمه الله- فروقاً بين العالم والقاص، ذكر منها: أن عدد الحضور عند العالم قليل، وعند القاص كثير، والسبب في ذلك كما يقول: ((أن العلم مخصوص لقليل، وأن القصاص عام لكثير))^(٢).

٢- طريقة جلوسهم: كان الغالب في جلوس الحضور عند القصاص أن يتحلقوا حول القاص، ولاسيما إن كان جالساً على الكرسي.

ويدل على ذلك أن عمر رضي الله عنه خرج يوماً إلى المسجد فرأى حلقاً في المسجد فقال: ما هؤلاء؟ فقالوا: قصاص^(٣).

وعن نافع قال: ((كان قاص الجماعة يقص فيتحلق حوله حلقة))^(٤).

وكان أبو إدريس الخولاني-رحمه الله-في زمن عبد الملك يجلس إلى بعض العمد، فكلما مرت حلقة بآية سجدة بعثوا إليه يقرأ بها، فأنصتوا له وسجد

() (/) (/) .

() (/) .

() : (/) .

() : (/) (/) .

بهم، وسجدوا جميعاً بسجوده، وربما سجد بهم اثنتي عشرة سجدة، حتى إذا فرغوا من قراءتهم قام أبو إدريس يقص^(١).

وقد يحصل عند بعض القصاص لاسيما المتأخرين منهم الاختلاط؛ وذلك لشدة الزحام، فيجتمع الرجال والنساء، ويكثر صياح النساء وخاصة عند الدعاء^(٢).

٣- **أجناس الحضور:** ليس هناك جنس معين للحضور أو خصوصية لأحد ما، فالجميع لهم أن يحضروا؛ ولذا كان القصاص يحضر عندهم العلماء والعامّة، والأغنياء والفقراء، والرجال والنساء، والكبار والصغار.

وقد عقد ابن الجوزي باباً في ذكر من كان يحضر من الأكابر من العلماء والأمراء عند القصاص^(٣)، ثم أورد طائفة من الآثار في ذلك.

كما أن من أجناس الحضور: المحتسبين، (فلا يدع الرجال يختلطون بالنساء، ويجعل بينهم ستارة، فإذا انفض المجلس خرج الرجال وذهبوا في طريق، ثم تخرج النساء ويذهبن في طريق آخر)^(٤).

المبحث الأول

موضوعات القصاص

موضوعات القصاص كثيرة ومتعددة، بل إنها تستجد في كل زمان ومكان، ولكن ثمة موضوعات رئيسة يدور القص في فلكها مهما امتدت الأزمان وتغيرت الأماكن.

وهذه الموضوعات مقسمة في مطالب كما يأتي:

(/) : ()

: ()

: ()

()

المطلب الأول:

ذم التعلق بالدنيا

كثيراً ما كان القصاص يركزون عند تذكير الناس بحقارة هذه الدنيا الفانية، والإكثار من ذكر الموت، وذلك من خلال تناول أمرين مهمين:

١- كثرة الحديث عن الزهد، وتهوين شأن الدنيا، ومن نماذج ذلك:

قال ثابت البناني - رحمه الله -: ((كنت أطوف بالبيت ليلاً فإذا أنا بجارية وهي تقول: اللهم اعصمني حتى لا أعصيك، وارزقني حتى لا أسأل غيرك، قلت لها: ممن سمعت هذا؟ قالت: من أبي طاووس، فقلت لها: هل لك في زوج؟ فقالت: والله لو كنت ثابتاً ما فعلتُ قال: فقلت: فأنا ثابتٌ، فقالت: يا ثابت أما كان في ذكر الموت ما يشغلك عن النساء؟! وكبرتُ وجعلتُ تصلي))^(١).

ودخل محمد بن كعب القرظي على عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - فقال له عمر: عطني، فقال: ((يا أمير المؤمنين.. إن الدنيا عطن^(٢) مهجور، وأكل منزوع، وعرض بلاء، ومستقر آفات، يحيط به الذل، ويفنيها التكل^(٣)، لكل فرحة منها ترحة، ولكل سرور منها غرور، قد رغب عنها السعداء، وانتزعت من أيدي الأشقياء، فكن منها يا أمير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على شدة الدواء لما يرجو من الشفاء))^(٤).

وقال - رحمه الله -: ((إذا أراد الله ﷻ بعبده خيراً زهّده في الدنيا))^(٥).

وقال وهب بن منبه - رحمه الله -: ((مثل الدنيا والآخرة كمثل رجل له ضرطان، إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى))^(٦).

()

() : (/) .

() : (/) .

()

()

()

(/)

وقال سليم بن منصور بن عمار-رحمه الله-: ((سمعت أبي يقول في مواعظه وقصصه: بادروا يا عبيد الآجال، ويا عبيد الأموال، ويا جنود الأشغال أباالله تغترون أم إياه تخادعون؟ أم عليه تجترون أم على اللعب واللهو تتنافسون؟ أمرتم بطلاق الدنيا فخطبتموها، ونهيتهم عن طلبها فطلبتموها، وأنذرتهم الكنوز فكنزتموها، دعتمكم إلى هذه الغزارة^(١) دواعيها، فأجبتهم مسرعين مناديهما، كأن قد جذبكم الرحيل وانقطع بكم الزاد القليل، وبين أيديكم سفر طويل، وليس لأحد منكم بديل، أتى لكم من الله الفرار، أين التذكر والاستغفار؟))^(٢).

٢- الإكثار من ذكر الموت، والتخويف مما بعده، لاسيما القبر، والاستعداد له بعمل الصالحات.

قال كعب الأحبار: ((من ذكر الموت هانت عليه المصائب))^(٣).

وقال-رحمه الله-: ((جاء ملك الموت إلى إبراهيم عليه السلام ليقبض روحه فلم يصادفه في البيت، فجاء إبراهيم عليه السلام فرآه في البيت، فقال من أنت؟ قال أنا ملك الموت، قال: كذبت إن لملك الموت علامة تعرف، فقلب ملك الموت وجهه إلى قفاه فنظر إليه إبراهيم عليه السلام فخر مغشيا عليه، فلما أفاق بكى ملك الموت، وبكى إبراهيم عليهما السلام، وبكت سارة، وبكى إسحاق. فرجع إلى ربه، فقال يا رب بعثتني إلى قبض روح لا خير لأهل الأرض بعده، قال أنا أعرف بعبيد منك، اذهب فاقبض روحه. فأتى، فأدخله إبراهيم البستان، فجعل يأكل العنب وماء العنب يسيل على شذقيه فقال له إبراهيم: كم أتى عليك من السنين؟ قال: كذا وكذا نحو من سني إبراهيم، فكأن إبراهيم انتهى الموت، فقبض عليه السلام))^(٤).

قال عمر بن عبدالعزيز لأبي حازم: ((عظني، فقال: اضطجع، ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن يكون فيك تلك الساعة فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة فدعه الآن))^(٥).

() : . : (/) .

() (/) .

()

(/) ()

()

قال بلال بن سعد-رحمه الله-: ((بلغني أن المؤمن إذا مات وحُمِلَ قال: أسرعوا بي، فإذا وضع في لحدّه كلمته الأرض فقالت له: إن كنت لأحبك وأنت على ظهري فأنت الآن أحب إلي))^(١).

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم: ما لنا نكره الموت؟ فقال أبو حازم: ((لأنكم أخربتم أخراكم وعمّرتم دنياكم، فأنتم تكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب))^(٢).

وكان بعضهم يخاطب الأموات في قبورهم، وكانهم أحياء، يكلمهم ويسألهم

قال بعضهم: ((مررتُ ببيزید الرّقاشيّ وهو جالسٌ بين المدينة والمقبرة، فقلت له: ما أجلسك ها هنا؟ قال: أنظر إلى هذين العسّكرين، فعسّكر يقذف الأحياء وعسّكر يلتقم الموتى، ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل القبور الموحّشة، قد نطق بالخراب فناؤها، ومُهّد بالتراب بناؤها، فمحلها مقترّب، وساكنها مغترّب، لا يتواصلون تواصل الإخوان، ولا يتزاورون تزاور الجيران، قد طحنهم بكلكله^(٣) البلى، وأكلتهم الجنادل والثرى))^(٤).

وكان بعضهم يخاطب ابنه لمّا مات وكأنه حي يسمعه، من ذلك ما قاله عمر بن ذر القاص لمّا مات ابنه ذرّ قال-رحمه الله-: ((رحمك الله يا بني، والله لقد كنت بي باراً، ولقد كنت عليك حدياً^(٥)) وما بي إليك من وحشة، ولا إلى أحد بعد الله فاقة، ولا ذهبت لنا بعزّ، ولا أبقيت علينا من ذلّ، ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، يا ذر لولا هول المطلع ومحشره لتمنيت ما صرت إليه، فليت شعري يا ذر ما قيل لك وماذا قلت؟!))^(٦).

(/) ()

(/) (/) ()

(/) () : . ()

-

(/)

(/) () : . : ()

(/) ()

وقد كثر ذكر الزهد والموت عند فُصَّاص الخوارج، الذين يدعون في قصصهم إلى الترامي على الموت غير أبهين بالحياة، لأنها حياة زائفة، وهم يريدون الحياة الأخرى^(١).

ومن أشهر من عُرف عنه ذلك: صالح بن مسرح الخارجي، فقد قال مرة وهو يقصّ على أصحابه: ((أوصيكم بتقوى الله، والزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وكثرة ذكر الموت، وفراق الفاسقين، وحب المؤمنين. فإن الزهادة في الدنيا ترغب العبد فيما عند الله وتفرغ بدنه لطاعة الله. وإن كثرة ذكر الموت تخيف العبد من ربه. حتى يجأ إليه، ويستكين له))^(١).

المطلب الثاني:

الحث على فعل الطاعات والتحذير من ارتكاب المحرمات:

وهو مسلك عظيم، أراد القصاص من خلاله حث الناس على فعل أنواع الطاعات وشتى القربات، كالصلاة والزكاة والصوم والجهاد وبر الوالدين وصلة الأرحام والذكر، وغير ذلك من الأعمال الصالحة.

نصح محمد بن قيس رجلاً فكان مما قاله له: ((أقم الصلاة المكتوبة، وآت الزكاة المفروضة، وصم رمضان، واجتنب الكبائر وأبشر))^(١).

وقال مالك بن دينار-رحمه الله- وهو يحث على صيام التطوع: ((.....أن قوماً من أهل البصرة اشتروا جارية قرب شهر رمضان فرأتهم يشترون المأكول والمشروب، فقالت لهم: ما تصنعون بهذا؟ فقالوا لها: لشهر رمضان، فقالت لهم: أنا كنت لقوم كان دهرهم كله شهر رمضان فوالله لا أقيم عندكم))^(١).

() :

(/)

()

()

وقال بلال بن سعد-رحمه الله-: ((أدركتهم يضحك بعضهم إلى بعض ، فإذا كان الليل كانوا رهباناً))^(١).

وجلس كعب الأحبار يوماً يقصّ بدمشق فقال: ((إننا نريد أن ندعو فمن كان منكم يؤمن بالله وكان قاطعاً إلا قام))^(٢).

وكان عمر بن ذر يحث في قصصه على الجهاد^(٣)، بل إن من القصاص من سُمي بقاصّ الجند مثل عثمان بن أبي العاتكة^(٤)؛ لأنه كان يصحب الجند في المعارك. وبعضهم سُمي بقاصّ المغازي مثل شمعون الأزدي^(٥).

أما الذكر فكان يسميه بعضهم: ((حظ القصاص))^(٦).

وكان بلال بن سعد يردد كثيراً مقولة أبي الدرداء وأن ابن راحة - رضي الله عنهما - أخذ بيده مرة وقال: ((تعال نؤمّن ساعة))^(٧).

ويقول كعب الأحبار - رحمه الله - في التحذير من عقوق الوالدين: ((إن الله ليعجلّ هلاك العبد إذا كان عاقاً لوالديه، وإن الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه، يزيده برّاً وخيراً))^(٨).

وقال عبيد بن عمير - رحمه الله - وهو يتحدث عن أهمية العمل الصالح: ((كان لرجل ثلاثة أخلاء، بعضهم أخص له من بعض، فنزلت به نازلة، فلقي أخص الثلاثة به، فقال: يا فلان إنه نزل بي كذا وكذا، وإني أحب أن تعينني، قال: ما أنا بالذي أفعل. فانطلق إلى الذي يليه في الخاصة، فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا، وأنا أحب أن تعينني، قال: فانطلق معك حتى تبلغ المكان الذي تريد، فإذا بلغت رجعت وتركتك. قال: فانطلق إلى أخص الثلاثة، فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا فأنا أحب أن تعينني قال: أنا أذهب معك حيث ذهبت وأدخل معك حيث دخلت. قال: فالأول ماله خلفه في أهله ولم يتبعه منه شيء. والثاني أهله

()

() (/) .

() : (/) (/) .

() : (/) .

() : (/) .

() -

() : (/) .

() .

() (/) .

وعشيرته ذهبوا معه إلى قبره. ثم رجعوا وتركوه والثالث هو عمله، وهو معه حيث ما ذهب، ويدخل معه حيث ما دخل^(١).

ومن جهلة القصاص من يذكر أحاديث موضوعة مرغبة في الذكر، كالقصة المشهورة التي حدثت للإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين -رحمهما الله-، فقد صلى أحمد بن حنبل ويحيى بن معين يوماً في مسجد الرصافة، فقام قاصاً وقال: ((حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين ... قال النبي ﷺ: من قال لا إله إلا الله خلق الله من كل كلمة منها طيراً منقاراً من ذهب وريشه مرجان ...)) وأخذ في قصة طويلة مكذوبة^(٢).

ومنهم من يحث على صيام شهر معين بلا دليل كصيام شهر رجب^(٣)وقد أغرى القصاص والمتزهدون على صومه^(٤).

المطلب الثالث:

الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والتحذير من مساوئها

كان القصاص في الغالب يتحدثون عن أخلاق متعددة في قصة واحدة. من ذلك قول كعب-رحمه الله:- ((قلة النطق بحكمة، فعليكم بالصمت فإنه رعة^(٥) حسنة، وقلة وزر وخفة من الذنوب: فأحسنوا باب الحلم فإن باب الصمت، والصبر فإن الله تعالى يبغض الضحاك من غير عجب، والمشاء إلى غير أرب،

() (/) . - -)):

((

: (/)

(/)

(/) (/) (/) (/) (/)

(/)

(/) (/)

: (/) (/) (/) (/) (/)

ويحب الوالي الذي كراع لا يغفل عن رعيته. واعلموا أن كلمة الحكمة ضالة المسلم، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع، ورفعته أن تذهب رواته^(١).

وقال-رحمه الله-: ((قال لقمان لابنه: يا بني إنما مثل الأدب الحسن كمثل طاق^(٢) في جدار، بين كل طبقتين خشب مغروس. فكلما تحات طبقة أمسكه خشبة بإذن الله^(٣))).

وقال ذو النون -رحمه الله-: ((علامة أهل النار خمسة: سوء الخلق، وقلب قاس، وارتكاب المعاصي، ولسان غليظ، ووجه عبوس^(٤))).

وقد يتحدث بعضهم عن خلق معين حنئاً عليه، فقد عزى ابن السماك رجلاً فقال له: ((عليك بالصبر فيه يعمل من احتسب، وإليه يصير من جزع^(٥))).

وقال مالك بن دينار: ((ما من أعمال البر شيء إلا ودونه عقيبه، فإن صبر صاحبها أفضت به إلى الروح، وإن جزع رجع^(٦))).

وقال عبيد بن عمير: ((ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السيئ والظن السيئ^(٧))).

ولما كان العزاء على المصائب أحد المواطنين التي يتجلى فيها الصبر، فقد كان للفصّاص الدور الفاعل فيه، من ذلك:

أن محمد بن كعب القرظي جاء إلى رجل لتعزيته فقال: ((إنه كان في بني إسرائيل رجلٌ فقيه عالمٌ عابدٌ مجتهدٌ، وكانت له امرأة، وكان بها معجباً ولها محبباً، فماتت، فوجد عليها وجداً شديداً، وتأسف عليها تأسفاً شديداً، وإن امرأة سمعت به فجاءته فقالت: إني استعرت من جارة لي حُلِيًّا وكنيت ألبسه وأعيره،

(/) ()

() : . : ()

(/) ()

: ()

(/) .

()

(/) ()

()

فلبث عندي زماناً، قال: فذاك أحق لردك إياه لهم، قالت: أفتتأسف على ما أعارك الله ثم أخذه منك وهو أحق به منك؟ فأبصر ما هو فيه، ونفعه الله بقولها^(١).
وقد يتحدث عن خلق معين تحذيراً منه كالكذب، فعن صالح المري - رحمه الله - قال: ((ما دنس الأخلاق إلا الكذب))^(١).

المطلب الرابع:

الحديث عن اليوم الآخر

أولى الفصّاص هذا الموضوع عناية كبيرة، وتناولوه من جوانبه المتعددة، وذلك في الحديث عن عذاب القبر ويوم القيامة وما فيه من الأهوال والجنة والنار، ونحو ذلك.

لقد وجد القصاص في هذه القضية رافداً عظيماً للقصص والموعظة، ولهذا يكثر استعمال التذكير باليوم الآخر بكل جزئياته.

فعن حصين بن عبدالرحمن قال: كان كردوس يقول - وهو يقصّ علينا - ((إن الجنة لا تُنال إلا بعمل، فاخبطوا الرغبة بالرغبة))^(١).

وقال مجاهد في وصف الجنة: ((إن أرض الجنة من الورق، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وورق، وأفنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والورق والتمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه، وذلت قطوفها تذليلاً))^(١).

وكثيراً ما كان القصاص يتحدثون عن ذلك عند لقاء العدو في ساحات القتال ((ليقصوا على المقاتلين أخبار الشهداء وفضائلهم، وما وعدوا به في الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت))^(١).

()

()

(/) (/)

()

()

((وعليه فإن أولئك الفُصَّاص... كانوا يعظون المسلمين، ويقصون عليهم
حكايات عن الجنة والنار والحياة الآخرة، وما يجب أن يفعله الإنسان لكي يصبح
ممن يستحقون الجنة))^(١).

إن في القصص تخويفاً من الآخرة، ((فإذا تكررت الأقصيص على
السمع، فلا بد أن يلين القلب وتخضع النفس، وتزول العداوة، ويحصل في القلب
خوف))^(٢).

لقد عوّل القصاص كثيراً على الحديث عن اليوم الآخر، وكان أساس ذلك
التحذير من الدنيا والانخداع بمظاهرها وشهواتها، فقد رأوا أن في الإقبال على
الدنيا والانغماس فيهل تقيلاً من تذكّر اليوم الآخر، وأنه كلما أقبل المرء على
الدنيا زاد اهتمامه بها وانشغاله فيها .

المطلب الخامس:

التفكر في سير السابقين من الصالحين وغيرهم

في سماع سير الصالحين حتّ للنفوس على العمل والاجتهاد، وفي سماع
سير غيرهم الحذر من التأسّي بفعلهم، وقد أكثر القصاص من تناول هذا الجانب.

قال مالك بن دينار-رحمه الله- عن بعض الصالحين: ((كان كلامهم دواء
للخاطئين أما رأيتموهم؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: بلى، والله لقد رأيناهم؛ الحسن
وسعيد بن جبير وأشباههم، الرجل منهم يُحيي الله بكلامه الفئام^(٣) من الناس))^(٤).

ومن نماذج ذلك:

()

() (/) .

() : . : () (/) .

() (/) (٤)

قول وهب بن منبه - رحمه الله -: ((كان جبار في بني إسرائيل يقتل الناس على أكل لحوم الخنازير، فلم يزل الأمر حتى بلغ إلى عابد من عبادهم، قال: فشق ذلك على الناس، فقال له صاحب الشرطة: إني أذبح لك جدياً فإذا دعاك الجبار لتأكل فكل، فلما دعاه ليأكل أبي أن يأكل، قال: أخرجوه فاضربوا عنقه، فقال له صاحب الشرطة: ما منعك أن تأكل وقد أخبرتك أنه جدي، قال: إني رجل منظور إليّ، وإني كرهت يتأسى بي في معاصي الله، قال: فقتله))^(١).

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: ((كنت عند بلال بن أبي بردة وهو في قبة له فقلت: قد أصبت هذا خالياً فأبي قصص أقص عليه؟!، فقلت في نفسي: ماله خير من أن أقص عليه ما لقي نظراؤه من الناس، فقلت له: أتدري من بنى هذا الذي أنت فيه؟ بناها عبيد الله بن زياد، وبنى البيضاء^(٢) وبنى المسجد، فولى ما ولي فصار أمره أن هرب فطُلب فقتل، ثم ولي البصرة بشر بن مروان فقالوا: أخو أمير المؤمنين فمات بالبصرة فحملوه وحشد الناس في جنازته، ومات زنجي فحملة الزنج على طن^(٣) من قصب، فذهب بأخي أمير المؤمنين فدفنوه، وذهب بالزنجي فدفنوه، ثم جعلت أقص عليه أميراً أميراً حتى انتهيت إليه، فقلت في نفسي: قد بنيت داراً بالكوفة فلم ترها حتى أخذت فسجنت فعذبت حتى قتل فيها))^(٤).

وإن أكثر ما وقفت عليه في هذا المجال ذكر سير السابقين فيما له علاقة بالتوبة والرجوع إلى الله ﷻ، والندم على ما فات من فعل المعاصي، والتقصير في حق الله ﷻ^(٥).

()

() : (((/) .

() : () (/) .

() (/) .

() :

المطلب السادس:

الحث على شكر الله تعالى وتذكر نعمه

لما كانت نعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى أخذ الفصّاص في الإكثار من ذكر ذلك، والترهيب من كفر النعمة وجحودها.

قال كعب - رحمه الله -: ((ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله إلا أعطاه الله تعالى نفعها في الدنيا، ورفع له بها درجة في الجنة. وما أنعم على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله تعالى نفعها في الدنيا، وفتح له طبقاً من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه))^(١).

وقال بلال بن سعد - رحمه الله -: ((أربع خصال جاريات عليكم من الرحمن مع ظلمكم أنفسكم وخطاياكم: أمّا رزقه فدارّ عليكم، وأمّا رحمته فغير محجوبة عنكم، وأمّا ستره فسابع عليكم، وأمّا عقابه فلم يعجل لكم، ثم أنتم على ذلك لاهون تجترئون على إلهكم))^(١).

وقال أبو حازم - رحمه الله -: ((كل نعمة لا تقرب إلى الله فهي بلية))^(١).

وقال أيضاً: ((نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا، أعظم من نعمته عليّ فيما أعطاني منها، إني رأيتُه أعطاهم قوماً فهلكوا))^(١).

(/) ()

(/) ()

()

-

(/) ()

وقال محمد بن السّمَاك: ((كتبْتُ إلى محمد بن الحسن حين ولي القضاء: أما بعد.. فلتكن التقوى من بالك على كل حال، وخف الله في كل نعمة عليك لقلة الشكر عليها مع المعصية بها، فإن النعمة حجة وفيها تبعه، فأما الحجة فيها بالمعصية بها، وأما التبعه فيها فقلة الشكر عليها))^(١).

وقد تناول القصاص هذا الموضوع من عدة جوانب، منها:

١- التذكير بالنعم ، من ذلك:

دخل محمد بن السّمَاك-رحمه الله- على مريض مدنف^(٢) فسأله: عن حاله، ثم

انصرف وهو يقول:

مايعرف المرء إذا لم يصب
والميت لا يألم ما مضه^(٣)
بنكبة ما موقع العافية
ومستريح صاحب الواقعة^(٤)

٢- شكر الحواس ، من ذلك:

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيرا أعلنته، وإن رأيت بهما شرا سترته. قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرا وعيته، وإن سمعت بهما شرا أخفيته. قال: فما شكر اليد؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقا لله هو فيهما. قال: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفله طعاما، وأعلاه علما. قال: فما شكر الفرج؟ قال: كما قال الله عز وجل: (ف فُفِّقْ فُفِّقْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ جِجْ) ^(٥) قال: ما شكر الرجلين؟ قال: إن رأيت خيرا أغبطته استعملت بهما عمله، وإن رأيت شرا مكففتهما عن عمله وأنت شاكر لله عز وجل^(٦).

٣- الترهيب من جحود النعم ، من ذلك

قال أبو حازم-رحمه الله-: ((مَنْ شَكَرَ اللهُ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَشْكُرْ بِجَمِيعِ أَعْضَائِهِ فَمَثَلُهُ مِثْلُ رَجُلٍ لَهُ كِسَاءٌ، فَأَخَذَ بِطَرْفِهِ. وَلَمْ يَلْبِسْهُ، فَلَمْ يَنْفَعَهُ ذَلِكَ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ وَالتَّلْجِ وَالْمَطَرِ))^(٧).

()

() : (/)

() : (/)

(/) ()

() ()

(/) ()

(/) ()

المطلب السابع:

الحث على التوبة والتحذير من المعصية

أخذ هذا الموضوع حيزاً كبيراً في مجالس الفصّاص وله شواهد متعددة من ذلك.

قال كعب الأحبار -رحمه الله- قال: ((انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم فدخل أحدهما وجلس الآخر خارجاً، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله، فكتب صديقاً))^(١).

وقال مالك بن دينار -رحمه الله-: ((دخلت مكة فإذا أنا بجويرية متعبدة الليل أجمع، تطوف حول البيت، وكلما طافت سبعة أشواط وقفت حذاء الملتزم، ثم تقول بصوت حزين: يا رب كم من شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعتها))^(٢).

وقال -رحمه الله-: ((كان لي جار يتعاطى الفواحش فأتى إليّ الجيران يشكون منه فأحضرناه وقلنا له: إن الجيران يشكونك فسبيلك أن تخرج من المحلة. فقال: أنا في منزلي لا أخرج. قلنا: تبيع دارك؟ قال: لا أبيع ملكي. قلنا: نشكوك إلى السلطان. قال: أنا من أعوانه. قلنا: ندعو الله عليك. قال: الله أرحم بي منكم. قال: فلما أمسينا قمت وصليت ودعوت عليه، فهتف بي هاتف: لا تدع عليه فإنه من

()

()

أولياء الله تعالى. فجئت إلى باب داره، ودققت الباب، فخرج فظن أنني جئت لأخرجه من المحلة فتكلم كالمعتذر. فقلت: ما جئت لهذا، ولكن رأيت كذا وكذا، فوقع عليه البكاء، وقال: إني تبت بعد ما كان هذا، ثم خرج من البلد، فلم أراه بعد ذلك. واتفق أنني خرجت إلى الحج، فرأيت في المسجد الحرام حلقة، فتقدمت إليهم، فرأيتهم مطروحا عليلا، فلم ألبث أن قالوا: مات الشاب رحمه الله^(١).

وقال—رحمه الله—:((البكاء على الخطيئة يحط الخطايا كما تحط الريح الورق اليابس))^(١).

وقال محمد بن كعب القرظي—رحمه الله—:((ما عبَدَ الله بشيءٍ قط أحبَّ إليه من ترك المعاصي))^(١).

وقال صالح المري—رحمه الله—:((إن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام ليلة))^(١).

وعن صالح المري—رحمه الله— قال:((مرَّ عتبةُ الغلامُ في بعض سكك المدينة—يعني البصرة— مع نفر من أصحابه، فوقع عليه الرعدة، واخضر لونه واصفر، فقيل له: مالك؟ فقال: كنت عصيت الله ﷻ في هذا الموضع))^(١).

المبحث الثاني

مصادر القصص

()

()

()

()

()

استفاد القصاص في وعظهم وتذكيرهم من مصادر متعددة، منها الصحيح الذي لا يعترضه الشك وهو الكتاب والسنة، ومنها ما هو دون ذلك؛ ولذا فالحديث عن مصادر القصص سيكون في المطالب الآتية من دون الحديث عن حكم تلك المصادر، وحكم الاستشهاد بها في الدعوة إلى الله، فقد أرجأت تفصيل ذلك إلى الدراسة التحليلية:

المطلب الأول:

المصادر الأصلية

وأعني بها الكتاب والسنة، فقد وجد القصاص في قصص الكتاب والسنة ومواعظهما مجالاً رحباً للوعظ والتذكير، وساعد على ذلك أن نشأة القصاص كانت في بيئة ترتبط بالكتاب والسنة وتنطلق منهما، وسأتناول هذه المصادر في الفروع الآتية:

الفرع الأول

القرآن الكريم

حوى القرآن الكريم أحسن القصص وأصدق موعظة، وأوجزه عبارة، لذا كان القرآن الكريم مادة خصبة للقصاص الذين وجدوا فيه قصص الأنبياء والمرسلين -عليهم الصلاة والسلام-، والمؤمنين الصادقين، ونبأ المعاندين الجاحدين، ومصير السابقين.

لقد عدّ بعض الباحثين^(١) القرآن الكريم سبباً في نشأة طبقة القصاص مستدلاً على ذلك بالمساحة الواسعة التي شكّلت القصة القرآنية في كتاب الله والتي قاربت الربع.

ومن نماذج ذلك: أن صالح المري -رحمه الله- كان إذا قص قال: ((هات جونة المسك -يعني القرآن- فلا يزال يقرأ و يدعو ويبيكي حتى ينصرف))^(٢).

ولما استأذن تميم الداري رضي الله عنه عمر رضي الله عنه في أن يقص، قال له عمر: ((تقول ماذا؟)) قال: ((أقرأ عليهم القرآن))^(٣).

() :

() (/) .

()

وكان لبعضهم عناية بالقرآن، وحسن الترتيل، فعبده بن كثير قاص الجماعة كان أحد القراء السبعة^(١).

وشيبة بن ناصح قاص أهل المدينة كان ((ممن عني بالقرآن))^(٢).

وكان مصعب الدعاء ((حسن التلاوة للقرآن))^(٣).

وقال عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله -: ((من أحب أن يسمع القرآن فليسمع قراءة مسلم بن جندب))^(٤).

وأبو علي الأسواري كان يجعل للقرآن نصيباً في قصصه^(٥).

ومن أمثلة استشهاد الفصّاص بالقرآن أثناء وعظهم وجعله مصدراً لهم قول سعيد بن جبير - رحمه الله -: ((لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعطه الأنبياء قبلهم وهو: (جججج) ^(٦)، ولو أعطيه الأنبياء لأعطيه يعقوب إذ يقول: (وؤؤ) ^(٧))).

وعن قتادة - رحمه الله - أنه تلا قوله تعالى: (كُذِّبَتْ سُنَّةٌ لَكَ لَمْ يُصِرُّوا لَكَ عِندَ اللَّهِ) ^(٨) ثم قال: ((هذا مثل ضرب به الله لمن عرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله، وتركه))^(٩).

وتطور الأمر بعد ذلك، فبدأ بعض الفصّاص يجعلون من قراءة القرآن في مجالسهم حجة ومجالاً لتفسيره، ولاسيما أن منهم علماء في التفسير.

() : (/) .
()
() : (/) .
() : (/) .
() : (/) .
() : () .
() : () .
() : (/) .
() : () .
() : (/) .

مخصوصة... لعدم عدالة ناقلها وزيادة القصاص^(١) وعُدَّ من هذه الكتب تفسير مقاتل بن سليمان^(٢) وهو من أشهر القصاص الذين سبقت ترجمتهم.

() (/) :

() :

الفرع الثاني

السنة النبوية

وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وتأتي في المرتبة الثانية بعد كتاب الله تعالى من حيث الاحتجاج بها .

وقد سلك القصاص في اتخاذهم للسنة مصدراً لهم بالاستشهاد الصريح والضمني.

فمن نماذج الاستشهاد الصريح: حديث أبي قتيلة مرثد بن وداعة وهو يتحدث عن فضل الشام قال: قال رسول الله ﷺ: سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة فجند بالشام وجند باليمن وجند بالعراق فقال رجل: خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك قال: عليك بالشام فإنها خيرة الله من أرضه يجتبي إليها خيرته من عباده فإن أبيتم فعليكم بيمنكم وأسقوا من غدركم فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله^(١).

ومن نماذج الاستشهاد الضمني: قول عبيد بن عمير وهو يتحدث عن أهل النار قال: ((إن أدنى أهل النار عذابا الذي نعلاه من نار يخرج أحشاء جنبيه من رجليه))^(٢).

وقول كعب-رحمه الله-: ((يُحشر الجبارون يوم القيامة مثل الذرّ في صور رجال يغشاهم الذلّ أوقال يأتهم من كل مكان يسلكون في نار الأنيار^(٣) يسقون من طينة الخبال: عصارة أهل النار))^(٤)

وغالب ما يذكر القصاص قصص السنة النبوية بأسلوب الواعظ، وليس كما يصنع المحدثون في رواياتهم وكتبهم .

(/) ()

(/)

(/)

(/)

(/)

()

(/)

)):

()

(/) ((

(/)

()

(/)

ﷺ

من ذلك ما قصه أحدهم قال: ((بينما رجل فيمن كان قبلكم في قوم كفار، وكان فيما يليهم قوم صالحون فقال الرجل: طالما كنت في كفري، والله لأتبن هذه القرية -يعني الصالحة- فأكونن رجلاً منهم، فانطلق فأدركه أجله، واحتج فيه الملك والشيطان، قال هذا أنا أولى به، وقال هذا أنا أولى به، فقيض الله لهما بعض جنوده، فقال: قيسوا ما بين القريتين فإلى أيتهما كان أقرب فهو من أهلها، فقاسوا ما بينهما فكان أقرب إلى القرية الصالحة بشبر فكان منهم))^(١).

وهي في الأصل: حديث الرجل الذي قتل مائة نفس^(١).

المطلب الثاني:

المصادر الفرعية

وهي ما عدا الكتاب والسنة وقد اعتمد القصاص على مصادر فرعية متعددة، منها الصحيح ومنها الباطل. وسيكون الحديث عنها في الفروع الآتية:

الفرع الأول

الإسرائيليات

الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل لقب لنبي الله يعقوب عليه السلام^(١).

()

() (/) () ()

(/) () .

والمقصود بالإسرائيليات: ((هي القصص والأخبار والحكايات الدخيلة على تفسير القرآن الكريم والحديث، مصدرها أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما من الملل السابقة الأخرى))^(١).

وقد حوت الإسرائيليات كمًّا هائلاً من قصص الأنبياء—عليهم السلام—وقصص بني إسرائيل، وقد انتشرت هذه القصص بين القصاص وتداولوها، واشتهر طائفة من السلف بجمعها وروايتها، كوهب بن منبه وكعب الأحبار—رحمهما الله تعالى—الذين لا يكاد كتاب في التفسير أو التاريخ يخلو من ذكرهما والنقل عنهما.

ويرجع ذلك إلى علاقتهم بعلماء يهود اليمن قبل إسلامهما، وكثرة ما نظرا في الكتب السماوية حتى قيل: إن وهب بن منبه كان يقول: ((قرأت من كتب الله تعالى اثنين وسبعين كتاباً))^(١)، وكان كعب إذا قصّ قال: ((قرأته في كتب الأنبياء))^(١).

لقد استعان القصاص كثيراً وبصورة غير محدودة بذكر الإسرائيليات في رواياتهم، ويندر أن تجد عزواً لكتاب ما أثناء النقل عن وهب أو كعب—رحمهما الله—، ((ولذلك أصبح هذا خير معين للقصاص يستمدون منه مع التزويد والمبالغة المقصودة التي تطعم بها القصص الإسلامية))^(١). ومن نماذج ذلك :

قال كعب الأحبار—رحمه الله—: ((انطلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم فدخل أحدهما، وجلس الآخر خارجاً، فجعل يقول: ليس مثلي يدخل بيت الله وقد عصيت الله فكتب صديقاً. قال: وأصاب رجل من بني إسرائيل ذنباً فحزن عليه وجعل يجيء ويذهب ويجيء ويقول: بم أرضي ربي؟ بم أرضي ربي؟ بم أرضي ربي؟ فكتب صديقاً))^(١).

() :

()

() (/) .

() (/) .

()

() : (/) .

وقال مالك بن دينار-رحمه الله-: ((كان حبر من أحبار بني إسرائيل يغشى منزله الرجال والنساء فيعظهم ويذكرهم بأيام الله. قال: فرأى بعض بنيه يوماً غمز النساء فقال: مهلاً يا بني قال: فسقط عن سريره فانقطع نخاعه، وأسقطت امرأته، وقُتل بنوه في الجيش، فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم عليه السلام أن أخبر فلاناً الحبر أني لا أخرج من صلبك صديقاً أبداً ما كان غضبك لي إلا أن قلت: يا بني مهلاً))^(١).

وقال-رحمه الله-: ((إن قوماً من بني إسرائيل كانوا في مسجد لهم، فجاء شاب حتى قام على باب المسجد فقال: ليس مثلي من يدخل معكم، أنا صاحب كذا، أنا صاحب كذا يزري على نفسه. فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم: إن فلاناً صديق))^(١).

ومن ذلك أن قاصداً يكئى أبا عقيل بالرقعة^(١)، فلكثر ما يورده عن بني إسرائيل كان بعضهم يختبره ظناً منه أنه يكذب^(١).

الفرع الثاني

الكتب السماوية السابقة

(/) ()
()
(/) : ()
(/)
(/) : ()

أفرد ابن مفلح - رحمه الله - فصلاً في كتابه "الآداب الشرعية"، وجعل عنوانه "فصل في قراءة التوراة والإنجيل والزيور ونحو ذلك، كما يفعله بعض القصاص". ثم ساق بعض النماذج على اعتماد بعض القصاص على هذه الكتب أثناء قصهم^(١).

وقد كانت التوراة والإنجيل أبرز هذه الكتب التي أكثر القصاص من النقل منها^(٢)

قال رياح القيسي: ((قرأت في التوراة أن عيسى عليه السلام قال: يا معشر الحواريين كلموا الله كثيراً، وكلموا الناس قليلاً. قالوا: كيف نكلم الله كثيراً؟ قال: اخلوا بمناجاته اخلوا بدعائه))^(٣).

وقال كردوس بن هاني: ((كنت أجد في الإنجيل: إن الله ليصيب العبد بالأمر لينظر كيف تضرعه))^(٤)

واشتهر جملة من القصاص بقراءة هذه الكتب، وكثرة الاطلاع عليها، مثل نوف البكالي^(٥)

ومالك بن دينار^(٦)

الفرع الثالث

الأحاديث الضعيفة والموضوعة

اتخذ بعض القصاص من الأحاديث الضعيفة والموضوعة مصدراً رئيساً لهم أثناء وعظهم وتذكيرهم للناس.

() (/)
((:))
: :
: ()
(/) . ()
(/) . ()
(/) . ()
(/) . ()

((ويمكن القول: إن ظاهرة الفُصَّاص التي تفتشت في المجتمع الإسلامي في بعض عصوره ما هي إلا أثر من آثار الوضع؛ ذلك لأن الموضوعات هي الركن الذي عليه يقومون، واللسان الذي به ينطقون))^(١).

وبغض النظر عن الباعث من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة^(٢)؛ فإن الناظر إلى بعض مواضع الفُصَّاص يرى فيها عدداً ليس باليسير من هذه الأحاديث، واشتهر جملة من الأحاديث الموضوعة بين الفُصَّاص، وأصبحت عبارة "اشتهر بين القصاص" أو "اشتهر على لسان القصاص" ونحو ذلك عبارة دارجة في كتب الموضوعات من ذلك مثلاً:

يقول اللكنوي: ((وقد اشتهر بين الفُصَّاص حديث: أول ما خلق الله نوري، وهو حديث لم يثبت))^(٣).

ويقول: ((اشتهر على لسان القصاص والعوام حديث: لولاك لما خلقت الأفلاك))^(٤).

ويقول: ((اشتهر على ألسنة الفُصَّاص حديث: كنت نبياً وأدم بين الماء والطين))^(٥).

ويقول القاري-رحمه الله-: ((ما يذكره الفُصَّاص من أن القمر دخل في جيب النبي -عليه الصلاة والسلام- وخرج من كفه فليس له أصل))^(٦).

وقد صنف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً في "أحاديث الفُصَّاص"، وهو عبارة عن جملة من الأحاديث التي يكثر الفُصَّاص من إيرادها في وعظهم، بلغت (٧٩) حديثاً، سُئل فيها شيخ الإسلام -رحمه الله- فأجاب بالحكم عليها. وجلها باطل أو ضعيف.

كما سُئل شيخ الإسلام أيضاً بسؤال هذا نص مقدمته: ((ما تقول السادة العلماء -رضي الله عنهم أجمعين- في أناس قصاصين ينقلون مغازي النبي ﷺ

()

()

()

()

()

()

()

وقصص الأنبياء - عليهم السلام - تحت القلعة في الجوامع والأسواق ...^(١)، ثم ساق السائل مجموعة من النماذج، كمجيء ملك للنبي ﷺ في زي أعرابي، وتزويج النبي - عليه الصلاة والسلام - ابنته لبلال، وقتال علي ﷺ للجن في البئر، وغير ذلك.

فأجاب - رحمه الله - عن هذه الأحاديث وأطال النفس في ذلك - تركت ذكرها طلباً للإيجاز - ومفاد جوابه أنها مكذوبة باطلة لا يجوز نسبتها للنبي ﷺ.

قال ابن الجوزي - رحمه الله - : ((وفي القصاص من يسمع الأحاديث الموضوعية، فيرويها ولا يعلم أنها كذب، فيؤذي بها الناس، وربما سمعها من أفواه العوام، فرواها، وربما سمع كلام الحسن أو سري السقطي، فقال: قال رسول الله))^(١).

ثم تطور الأمر كثيراً، فأصبح بعض جهلة القصاص هم القائمين بمهمة وضع الأحاديث المكذوبة منسوبة إلى النبي ﷺ.

يقول ابن حجر وهو يتحدث عن فضل الصلاة على النبي ﷺ: ((وأما ما وضعه القصاص في ذلك فلا يحصى كثرة))^(١)، من ذلك ما كان يفعله القاص أحمد الباهلي البصري المعروف بـ غلام خليل من وضع الأحاديث.

قال الذهبي - رحمه الله - : ((كان يرى وضع الحديث، نسأل الله العافية))^(١).

ومن نماذج ذلك:

يقول ابن الجوزي - رحمه الله - : ((حديث إنه قيل للنبي ﷺ أين كنت وأدم في الجنة؟ قال: في صلبه، وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، موضوع وضعه بعض القصاص))^(١).

ويقول - رحمه الله - : ((حديث إن أبا بكر ﷺ قال لعلي ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: على الصراط عقبة لا يجوزها أحد إلا بجواز من علي بن أبي

() (/) .

() .

() (/)

() (/) .

() (/) (/) (/) .

() (/) :

طالب، فقال علي: سمعت رسول الله ﷺ يقول لي: يا علي لا تكتب جوازاً لمن سب أبا بكر وعمر. رواه الخطيب وقال موضوع من عمل القصاص^(١).

وقال-رحمه الله-: ((ولقد حكى لي فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا، وكان يظهر النسك والتخشع أنه حكى لهما عن يوم عاشوراء فقال: قال رسول الله: (من فعل اليوم كذا فله كذا، ومن فعل كذا فله كذا، إلى آخر المجلس، فقالا له: ومن أين حفظت هذه الأحاديث؟ فقال: والله ما حفظتها ولا أعرفها بل في وقتي قلتها))^(١).

وقال الخطيب البغدادي-رحمه الله- عن حديث (أنا خاتم النبيين، وأنت يا علي خاتم الأنبياء): ((موضوع من عمل القصاص))^(١).

وإن مما ينبغي ذكره هنا أن جل من تحدث عن وضع الأحاديث يكون القصاص من أبرز الموضوعين وأكثرهم في مصنفاتهم^(١).

قال ابن الجوزي -رحمه الله-: ((معظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القصاص؛ لأنهم يريدون أحاديث ترقق، والصحاح يقل فيها هذا))^(١).

ويقول الدكتور محمد الصباغ: ((وقد قضيت جزءاً من الوقت في دراسة الأحاديث الموضوعية، فتبينت أن نصيب القصاص في وضع الحديث كان كبيراً))^(١).

()
(/)
(/) : (/) ()
(/) (/) : (/)
(/) (/)
(/) (/) (/) (/)
(/) : (/)

:

(/) ()

كما أن للقصاص زيادات ضعيفة على أحاديث صحيحة.

قال القاري-رحمه الله:- ((وأن ما يزداد بعد قوله -عليه الصلاة والسلام-: اللهم أنت السلام ومنك السلام، من نحو: وإليك يرجع السلام فحيّنا ربنا بالسلام وأدخلنا دارك دار السلام، فلا أصل له، بل هو مختلق من بعض القصاص))^(١).

الفرع الرابع

الرؤى والمنامات

يعتمد بعض القصاص على ما يراه في منامه، ((ويُدّعي بعضهم أن النبي ﷺ أذن له أن يتكلم على الناس، ويجزم بأنه حق))^(١).

قال منصور بن عمّار: ((قال لي هارون: كيف تعلمت هذا الكلام؟ قال: قلت: يا أمير المؤمنين رأيت النبي ﷺ في منامي وكأنه تفل في فيّ، وقال لي: يا منصور قل. فأنطقت بإذن الله))^(١).

والنماذج هنا متوافرة:

()

() ()

(/) (/) :

()

(/) (/) (/) (/) (/)

قال صالح المري-رحمه الله-: ((قال لي في منامي قائل: إذا أحببت أن يستجاب لك فقل: اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون المبارك الطهر الطاهر المطهر المقدس. قال فما دعوت به في شيء إلا تعرفت الإجابة))^(١).

ويقول يزيد الرقاشي: ((رأيت في نومي كأنني قرأت على النبي ﷺ سورة، فلما فرغت قال لي: أو قيل له: هذه القراءة فأين البكاء؟!))^(٢).

الفرع الخامس

كتب السيرة والرقائق

ومن أبرز الكتب التي كان يستقي منها القصاص شيئاً من مواعظهم وقصصهم كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي، وكتب الحارث المحاسبي. قال ابن الجوزي: ((وقد صنف من لا علم له بالنقل كُتِّبَ فيها الموضوع والمحال؛ فترى القصص يوردون منها، ويزيدون فيها ما يوجب تحسیناً لها، وممن صنف لهم في هذا الحارث المحاسبي، وأبو طالب المكي، وأبو حامد؛ فإيَّهم أدرجوا في كتبهم أحاديث باطلة ولا يعلمون أنها كذب))^(٣).

أما السيرة ((فالذي لاشك فيه أنها قد أثرت في القصص العربي، فكانت من أهم الروافد التي أمدت القصاص))^(٤) حتى عدَّ بعض الباحثين السيرة النبوية مرحلة انتقالية بين الشكل القصصي الذي عرفه العرب قبل الإسلام، وبين شكلها الذي تطور فيما بعد إلى القصص العربي الإسلامي^(٥).

من ذلك أن عبد المنعم بن إدريس القاص كان يشتري كتب السيرة فيرونها^(٦).

(/) ()

(/) ()

(٣)

()

: ()

(/) : ()

الفرع السادس

الشعر

من المصادر التي اعتنى بها القصاص واستأنسوا بها إيراد الشعر في قصصهم سواء أكان ذلك من منظومه أو من منقوله.

فقد كان صالح المري كثيراً ما ينشد في قصصه ومواعظه:

فبات يروي أصول الفسيل ** فعاش الفسيل ومات الرجل^(١).

وكان الأسود بن سريع يردد قول الشاعر:

فإن تتج منها تتج من ذي عزيمة ** وإلا فإني لا إخالك ناجيا^(٢).

وقال أحمد بن إسحاق الحضرمي: ((سمعت صالحا المري يتمثل بهذا البيت في قصصه:

وغائب الموت لا ترجون رجعته ** إذا ذوا غيبة من
سفرة رجعوا^(٣))

وكان ابن السماك ينشد:

يا مدمن الذنب أما تستحي ** والله في الخلوة ثانيكا

غرك من ربك إمهاله ** وستره طول

مساويكا^(٤))

وكان أبو حازم ينشد:

الدهر أدبني والصبر رباني ** والقوت
أقنعني واليأس أغناني

(/)

: ()

: ()

(/) ()

(/) : ()

وأحكمتني من الأيام تجربة
قد كان ينهاني^(١) ** حتى نهيت الذي

وكان الحسين بن عمر القاص ينشد:

إنما العيش والحياة غرورٌ ** كل حي إلى الممات يصيرُ
حكم الموت بينهم حكم عدل ** فتساوى غنيهم والفقيرُ
رحلتهم عن الديار المنايا ** فحوتهم بعد القصور القبورُ
وإذا كان غاية الحي موت ** فطويل الحياة عندي قصيرُ
كل شيء يفنيه كر الليالي ** ليس يبقى إلا اللطيف الخبيرُ^(٢).

وكان ذو النون المصري كثيراً ما ينشد:

منع القران بوعدده ووعيدده ** مقل العيون بليلها أن تهجع
فهموا عن الملك الكريم كلامه ** فهما تذل له الرقاب
وتخضع^(٣)

المبحث الأول

أصناف القصص

بعد سبر جملة كبيرة من تراجم الفصّاص، أستطيع أن أضع عدة تصنيفات يندرج تحتها الفصّاص في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

(/) : ()

(/) : ()

(/)(/) (/) : ()

أصناف القصّاص من الناحية المكانية

اشتهر عدد من القصّاص بأنهم اقتصوا بالقصّ في مدينة معينة أو بلد معين، حتى إن منهم من أصبح لا يُعرف إلا بهذه الصفة^(١).

وممن وقفت عليه

- ١- أبو إدريس الخولاني، قاصّ أهل الشام^(٢).
- ٢- أبو ریحانة الأزدي، قاصّ بيت المقدس^(٣).
- ٣- الجلاح المصري أبو كثير، قاصّ الإسكندرية^(٤).
- ٤- درّاج المصري أبو السمح، قاصّ مصر^(٥).
- ٥- سعيد بن حسان المخزومي، قاصّ أهل مكة^(٦).
- ٦- سلمة بن دينار أبو حازم، قاصّ أهل المدينة^(٧).
- ٧- شيبه بن نصاح القارئ، قاصّ أهل المدينة^(٨).
- ٨- عبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري، قاصّ أهل المدينة^(٩).
- ٩- عبدالرحمن بن القاسم، قاصّ مكة^(١٠).
- ١٠- عبدالله بن كثير، قاصّ مكة^(١١).
- ١١- عبدالوهاب بن الضحاك السلمي، قاصّ أهل سلمية^(١٢).

(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()

- ١٢- عبید بن عمیر اللیثی، قاصّ أهل مكة^(١).
- ١٣- عثمان بن أبی العاتكة، قاصّ دمشق^(٢).
- ١٤- عطاء بن یسار، قاصّ أهل المدينة^(٣).
- ١٥- عمر المرهبي، قاصّ أهل الكوفة^(٤).
- ١٦- كثير بن السائب، قاصّ أهل فلسطين^(٥).
- ١٧- مسلمة بن جندب الهذلي، قاصّ أهل المدينة^(٦).
- ١٨- موسى بن وردان، قاصّ أهل مصر^(٧).
- ١٩- يوسف بن يعقوب، قاصّ أهل اليمن^(٨).

				(/)	:	()
	(/)		(/)		:	()
				(/)	:	()
(/)	(/)	(/)			:	()
		(/)			:	()
			(/)		:	()
				(/)	:	()
					:	()
				(/)	:	()
					:	()
				(/)	:	()

المطلب الثاني:

أصناف القصاص من الناحية المذهبية

ولا أعني بالمذهبية هنا: المذاهب الأربعة المشهورة، وإنما أعني الطوائف والفرق العقديّة التي اشتهرت في العهود الثلاثة، كالشيعة والقدرية والخوارج وغيرهم^(١).

فقد اشتهر عددٌ من القصاص لكل فرقة مما سبق، أذكر بعضاً مما وقفت عليه في الفروع الآتية:

الفرع الأول

القصاص من الخوارج

وسمّي الخوارج بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب عليه السلام، وذلك بشأن تحكيمه أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما - في الفتنة التي حصلت بين علي ومعاوية رضي الله عنهما - وسمّوا بالحرورية لنزولهم أرضاً تسمّى حروراء^(١)، ومن عقائدهم: تكفير أصحاب الكبائر، وجواز الخروج على الولاة الجائرين^(٢).

()

()

(/)

()

(/)

وقد اقترن القُصَّاصُ منذ نشأتهم— بالخوارج، قال ابن سيرين —رحمه الله—: ((القصص أمر محدث أحدثه هذا الخلق من الخوارج))^(١)، وفي رواية أخرى قال: ((إن أول ما أحدث الحرورية: القصص))^(٢). بل من أسباب كراهة السلف للقصص: عدم التشبه بالخوارج.

قال العراقي: ((ولما أظهرت الخوارج القصص وأكثرت منه كره التشبه بهم))^(٣).

وأشير هنا إلى أن نسبة ابتداع القصص إلى الخوارج وقصره عليهم راجعٌ لنوع من القصص وهو القصص الديني المعادي للحكام، ولاسيما مع حكام الدولة الأموية، بالإضافة إلى موقف الخوارج المعادي للمسلمين بعامّة بتكفيرهم ومحاربتهم، وإلا فإن القصص والقُصَّاص كان منتشرًا ومتداولًا بين العديد من الفرق والحركات الإسلامية كما سيأتي.

ومن أبرز قصّاص هذه الفرقة:

١- سلم بن عبدالرحمن النخعي^(٤).

٢- شبيب بن يزيد الشيباني^(٥).

٣- شقيق الضبي^(٦).

٤- صالح بن مسرح التميمي^(٧).

الفرع الثاني

القُصَّاص من الشيعة

()	(/) .	()
()	.	()
()	.	()
()	(/) .	()
()	(/) .	()
()	(/) .	()
()	(/) .	()

والشيعة: هم الذين ناصرُوا عليَّ بنَ أبي طالبٍ ﷺ، وقالوا بإمامته وخلافته، وأنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده^(١).

ومنهم الرافضة: الذين رفضوا إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما - وهم مجمعون على أن النبي ﷺ نصَّ على استخلاف عليٍّ ﷺ بعده^(٢).

وقد كان لفصّاص الشيعة الدور الكبير في مناصرة آل البيت وتأييدهم.

ومن أبرز فصّاص هذه الفرقة:

- ١- أبان بن تغلب الربعي^(٣).
- ٢- رفاعة بن شدّاد البجلي^(٤).
- ٣- عدي بن ثابت الكوفي^(٥).
- ٤- عمرو بن شمر الجعفي^(٦).
- ٥- مصدع الأعرج أبو يحيى المعرقب، قيل لسفيان: ((في أي شيء عرقب^(٧)؟ قال: في التشيع))^(٨).
- ٦- يونس بن خباب^(٩).

() : (/) .

() :

:

() : (/) .

() : (/) .

(/) (/) (/) (/) :

(/) (/) (/) (/) :

(/) () : .

:

(/) .

(/) : (/) ()

(/) : (/) ()

الفرع الثالث

القصاص من القدرية

والقدرية: فرقة تقول بتكذيب ما قدره الله من الأشياء، وأن كل عبد خالق فعله، ولا يرون الكفر والمعاصي بتقدير الله تعالى^(١).

ومن أبرز قصاص هذه الفرقة:

١- عبدالواحد بن زيد^(٢).

٢- الفضل بن عيسى الرقاشي^(٣).

٣- قتادة بن دعامة السدوسي^(٤).

٤- موسى الأسواري^(٥).

(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	(/) (/) (/)
(/)	:	()
(/)	:	()

الفرع الرابع

القصاص من المرجئة

والمرجئة: هم الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، ولا ينفع مع الكفر حسنة. وإن من كان من أهل الجنة فلا يدخل النار، ومن دخل النار فهو خالدٌ مخلدٌ فيها (١).

ومن أبرز قصاص هذه الفرقة:

- ١- جواب بن عبيد الله التيمي (١).
- ٢- عمر بن ذر المرهبي (١).

(/)	(/)	:	()
	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()

الفرع الخامس

القصاص من الجهمية

والجهمية: فرقة تنتسب إلى جهم بن صفوان الذي يقول بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال، وأنكر الاستطاعات كلها، وزعم أن الجنة والنار تفنيان، وأن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وأنه لا عمل ولا فعل لأحد غير الله، وأن نسبة الأعمال إلى المخلوقين على المجاز^(١).

ومن أبرز قصاص هذه الفرقة:

منصور بن عمّار^(٢).

الفرع السادس

القصاص من المعتزلة

والمعتزلة: فرقة ترى أن عقيدتها تقوم على خمسة أصول: التوحيد، والعدل، والمنزلة بين المنزلتين، وإثبات الوعد والوعيد، والأمر بالمعروف

() :
(/) : (/) .

والنهي عن المنكر. ويُسمّون أصحاب العدل والتوحيد، وقد افتقرت إلى عشرين فرقة، كل فرقة تُكفر سائر الفرق الأخرى^(١).

ومن أبرز الفُصّاص من هذه الفرقة:

عيسى بن صبيح الملقب بالمردار، وإليه تنسب طائفة المردارية من المعتزلة
(١)(١)

المطلب الثالث:

أصناف الفُصّاص من حيث التطوع والتعيين

كان القصّ من بداية ظهوره تطوعاً واحتساباً من قبل الفُصّاص؛ إذ لم يكن هناك أجر أو راتب لأحد منهم.

بل إن معاوية رضي الله عنه لما طلب منه أحد الفُصّاص أن يجري له مالاً غضب، وقال له: ((اجلس في بيتك))^(١).

إلا أنه ولأسباب متعددة أصبح من الفُصّاص من يأخذ مالاً من الحاكم؛ ذلك أنّ القصّ أصبح وظيفة رسمية من قبل الدولة.

وتفصيل ذلك في الفرعين الآتيين:

(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()

الفرع الأول

القاص المتطوع

وهو الذي يقصّ على الناس تطوّعاً واحتساباً رغبة في الثواب والأجر من الله ﷻ، سواء أخذ الإذن من الحاكم أم لم يأخذ^(١).

وقد دونت كتب السلف نماذج متعددة من رفض القصاص للأعطيات سواء أكانت من الحكام أم من سائر الناس.

من ذلك: ما حدث في قصص أبي حازم سلمة بن دينار للخليفة سليمان ابن عبد الملك، وفيها: ((أن سليمان بعدما استمع لموعظة أبي حازم بعث إليه بمائة دينار، وكتب إليه أن أنفقها، ولك عندي مثلها كثير، فردّها أبو حازم عليه وكتب إليه: يا أمير المؤمنين أعيدك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً، أو ردي عليك باطلاً، وما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي؟!))^(١).

قال وهب بن منبه — رحمه الله —: ((كان أهل العلم فيما مضى يضمنون بعلمهم عن أهل الدنيا، فيرغب أهل الدنيا في علمهم فيبذلون دنياهم، وإن أهل العلم اليوم بذلوا علمهم لأهل الدنيا، فزهد أهل الدنيا في علمهم، فضنوا عليهم بدنياهم))^(١).

()

(/) .

(/) .

الفرع الثاني

القاصّ المعين

وهو الذي يقيمه إمام المسلمين أو الأمير أو الوالي، ويعينه قاصّاً على الناس يعظّمهم ويذكرهم^(١) سواء أكان بأجر أم بدونه.

وكان غالب القصاص المعينين على الأقاليم والمدن الإسلامية يتقاضون رواتب ثابتة شهرية أو سنوية مقابل قصصهم، وكان ذلك جزءاً من مخصصاتهم، فالقاصّ كان يمثل وظيفة رسمية تتولى مصاريفها الدولة وتنفق عليها.

من ذلك: أن عبد الملك بن مروان لما جمع القضاء والقصاص وبيت المال لعبد الرحمن بن حنبل الخولاني كان نصيبه من القصاص مائتي دينار^(٢).

ولما عين الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله مسلم بن جندب الهذلي قاصّاً لأهل المدينة أجرى له راتباً شهرياً مقداره ديناران^(٣).

ثم جعله هشام بن عبد الملك ستة دنانير في السنة^(٤).

وتبرز هنا مسألة مهمة وهي: حكم أخذ الأجرة على القاصّ، وهي مسألة خلافية مشهورة. أذكر ما وقفت عليه من أقوال^(٥) بإيجاز شديد:

القول الأول: الجواز مطلقاً، وهو قول مالك والشافعي وأحمد وأبي ثور، وجمهور الفقهاء.

القول الثاني: المنع مطلقاً، وهو قول الزهري وأبي حنيفة، وأصحاب الرأي.

القول الثالث: يجوز للفقير دون الغني، وهو قول في مذهب أحمد.

() : (/) .

() : .

() : (/) .

() : (/) .

() : (/) (/)

(/) (/) (/) .

القول الرابع: يجوز من بيت مال المسلمين لا من عامة الناس، وعلل ذلك شيخ الإسلام بأن: ((ما يؤخذ من بيت المال ليس عوضاً وأجرة، بل رزق للإعانة على الطاعة))^(١).

القول الخامس: يجوز دون مشاركة، فإن اشترط لم يجز، وهو قول الحسن وابن سيرين والشعبي.

والراجح - والله أعلم - أن من لديه الاستطاعة على تعليم الناس ووعظهم والقصّ عليهم بلا أجرة فهو الأولى والأفضل بلا شك، بل هو الأقرب لإخلاص القاصّ وصدق نيته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن ذلك إنه: ((من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام))^(٢).

فالأولى لمن أغناه الله أن يتعفف عن أخذ شيء مقابل نصح الناس ووعظهم وإرشادهم. وإن دعت الحاجة ((أخذ بقدر الضرورة من بيت مال المسلمين؛ لأن الظاهر أن المأخوذ من بيت المال من قبيل الإعانة لا من قبيل الأجرة))^(٣).

وقبل تجاوز هذه المسألة أشير إلى أن ثمة فروقاً بين القاصّ المتطوع والقاصّ المولى، شأنها شأن الفروق بين المحتسب المتطوع والمحتسب المولى، ومنه استقيت غالب هذه الفروق، وهي:

١- أنه لا يجوز للقاصّ المولى التشاغل عن القصّ والتذكير بغيرهما من الأمور، أما القاصّ المتطوع فله ذلك.

٢- أن القاصّ المولى يُسأل عن تقصيره وتقااعسه، أما المتطوع فلا.

٣- أنه يحق للقاصّ المولى أخذ أجرة - كما سبق - من بيت مال المسلمين.

٤- أن القاصّ المولى أبعد عن الخيلاء والتكلف، وهذا بنص الحديث النبوي: (لا يقصّ إلا أمير أو مأمور أو مختال)، وفي رواية: (أو مرأى)، وفي رواية: (أو متكلف) قال الخطابي - رحمه الله -: ((المختال هو الذي نصب نفسه

()

(/) .

(/) .

()

(/) .

-

لذلك دون أن يؤمر به، ويقصّ على الناس طلباً للرياسة، فهو الذي يرأى بذلك ويختال^(١).

المطلب الرابع:

أصناف القصّاص من حيث المستمع إليهم

يمكن القول بأن مستمعي القصّاص غالبهم من عامة الناس وبعض الحكام ومن في حكمهم، ويندر أن يخرج عن ذلك، ويتضح ذلك في الفرعين الآتيين:

الفرع الأول

قصّاص العامة

وهم الذين يتوجهون بقصّصهم ووعظهم لعامة الناس، بل إن بعضهم جعل نفع القصّاص للعامة أكثر من العلماء .

قال ابن الجوزي: ((فالعوام ينتفعون بهم ما لا ينتفعون بالعالم الكبير))^(١) وذلك أن قصصهم غالباً ما تركز على ذكر الآخرة، والإكثار من العبادة، والأعمال الصالحة، والزهد في الدنيا. وكان ذلك يلقي رواجاً بين العامة، بل إن من صالحى الخلفاء من كان يجلس عندهم . من ذلك أن عمر بن

(/) .

()

عبدالعزیز-رحمه الله-كان يجلس إلى قاص العامة بعد الصلاة، ويرفع يديه إذا رفع^(١).

ويُسمّى أيضاً قاص الجماعة، وقد اشتهر عند السلف جملة من القصاص هذا شأنهم، ومن أبرزهم:

١- إدريس بن يحيى، قال ابن ماكولا: ((كان قاص الجماعة))^(١).

٢- رجاء بن حيوة، قال الحكم بن عتيبة: ((كان قاص العامة))^(١).

٣- سليمان بن عمرو أبو الهيثم، قال عنه يعقوب بن سفيان: ((قاص الجماعة))^(١).

٤- عبدالله بن كثير، قال ابن عيينة: ((رأيت عبدالله بن كثير، وسمعت قصصه وأنا غلام، وكان قاص الجماعة))^(١).

٥- كردوس بن عباس التغلبي، قال البخاري: ((كان قاص الجماعة))^(١).

٦- كردوس بن قيس، قال ابن كثير: ((كان قاص العامة بالكوفة))^(١).

كما كان من قصاص العامة نساء، فقد روي أن أم الحسن البصري - رحمها الله - كانت تقصّ على النساء^(١).

() : (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) : (/) (/) .

() (/) :

() (/) : (/) (/)

() : (/) (/) .

الفرع الثاني

تُصَّاصُ الْخَاصَّةُ

وهم الذين يتم تعيينهم تُصَّاصاً للحكام فقط فيأتي قصصه في مجلس الحاكم، أو في قصره أو لأمر ما يحدده الحاكم كقاصّ الغزوات، ونحو ذلك.

ومن أبرز القُصَّاص في هذا ما يأتي:

١- سليمان بن حبيب المحاربي، قاصّ هشام بن عبد الملك^(١).

٢- عائذ الله المجاشعي، قاصّ عبد الملك بن مروان^(٢) ثم قاصّ سليمان ابن عبد الملك^(٣).

٣- عبدالله بن زيد، قاصّ مسلمة بن عبد الملك^(٤).

٤- محمد بن قيس، قاص عمر بن عبدالعزيز^(٥).

وعُيِّن بعضهم لأعمال خاصة، كحث الجنود على القتال، وبيان ما أعدّه الله للمجاهدين في سبيله^(٦) ومن أبرز أولئك:

١- سليم بن عتر^(٧).

٢- عبدالله بن زيد^(٨).

٣- عثمان بن أبي العاتكة^(٩).

وقد وُصف كل واحد منهم بأنه قاص الجند

()	:	()	:	()	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()
()	:	(/)	:	(/)	:	()

ومنه من عُيِّن للقصّ في المحافل والتعازي كالحسن بن علي
الزنجاني^(١).

المبحث الثاني

أهداف القصّاص

الهدف في اصطلاح أهل العلم: هو المطلب والغرض الذي يسعى
للوصول إليه^(١).

وأهداف القصّاص هي: المطالب التي يسعى القصّاص إلى تحقيقها،
ويسعون من أجلها.

وهي أهدافٌ متعددة، منها المحمود، ومنها المذموم؛ لذا فإن هذا المبحث
ينتظم في مطلبين:

() : (/) .

() :

المطلب الأول:

الأهداف المأمودة

عند تلمّس هدف أفضل القصّاص و غايتهم التي يرجونها من وراء قصّهم ووعظهم يتضح أنهم مدفوعون بدوافع خيرة كدعوة المسلمين إلى التوبة، وتوجيههم نحو مثل عليا، وقيم فاضلة، وأخلاق نبيلة.

((لقد حاول القصّاص في جميع العصور تبرير القصّ بالغاية الوعظية، وقد حرص المسلمون الأوائل على هذه الناحية بالذات، ولاسيما أن جميع مظاهر النشاط الفكري والأدبي في أول الإسلام كان هدفها الأول خدمة المعاني الإسلامية. ولقد شجّع استغلال القصص في سبيل أغراض الموعظة الدينية: الأمثلة القصصية في القرآن الكريم التي كانت الغاية منها الدرس والموعظة أيضاً، كما شجّع على اتساع نطاق القصّاص في الحياة الإسلامية فيما بعد ارتباط الدين بالحياة العامة ارتباطاً وثيقاً))^(١).

إن التكبس وحب الظهور من وراء القصص لم يحل دون وجود بعض القصّاص الذين ظلوا على التزامهم بضوابط القصّ وأصوله وأهدافه؛ ولذا ظهر شيء من آثار ذلك على المدعوين، ومن نماذج ذلك:

أن كعب الأخبار — رحمه الله — ((جلس يوماً يقصّ بدمشق حتى إذا فرغ قال: إننا نريد أن ندعو فمن كان منكم يؤمن بالله وكان قاطعاً إلا قام عنّا، فقام فتى من القوم فولّى إلى عمّة له كان بينه وبينها محرم فدخل عليها فصالحها، فقالت: ما بدا لك؟ قال: سمعت كعباً يقول: كذا وكذا))^(١).

وقال أبو سليمان الداراني: ((اختلفت إلى مجلس قاصّ فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي شيء، فعدت ثانياً فسمعت كلامه، فبقي في قلبي كلامه في الطريق ثم زال، ثم عدت ثالثاً فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، وكسرت آلات المخالفات، ولزمت الطريق))^(١).

قال بشر بن منصور: ((رأيت من يأتي الفقهاء والقصّاص أرق قلباً ممن لا يأتي القصّاص))^(١).

()

(/) .

(/) .

(/) .

وقد ذكر المستشرق جولد زيهر أن القصاص ((كانوا يخدمون غاية دينية هامة))^(١).

ومع ذلك فقد بدا واضحاً على بعض القصاص أن الرغبة في ترهيب الناس من المعاصي، وترغيبهم في الطاعات، وترقيق قلوبهم يمثل الهمّ الأكبر لديهم، ولكنهم سلكوا من أجل ذلك طرقاً متعرجة ومسالك خاطئة، من ذلك: وضع الأحاديث.

يقول ابن الجوزي-رحمه الله-: ((إن قوماً منهم القصاص كانوا يضعون أحاديث الترغيب والترهيب، ولبسَ عليهم إبليس بأننا نقصد حث الناس على الخير، وكفهم عن الشر، وهذا إفتئات منهم على الشريعة))^(١).

لقد فعل بعضهم ذلك تقرباً إلى الله تعالى، واحتساباً للأجر، وحمل الناس على العبادة، والاشتغال بالفضائل بزعمهم. فهذا أحمد بن محمد البصري القاصّ المعروف بـغلام خليل لما سُئل عن الأحاديث التي يحدث بها الناس قال: ((وضعناها لنرقق قلوب العامة))^(١)، قال عنه الذهبي: ((كان يرى وضع الحديث. نسأل الله العافية))^(١).

وقال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((ولقد حكى لي فقيهان ثقتان عن بعض قصاص زماننا، وكان يظهر النسك والتخشع أنه حكى لهما قال: قلت يوم عاشوراء: قال رسول الله ﷺ: (من فعل اليوم كذا فله كذا، ومن فعل كذا فله كذا) إلى آخر المجلس، فقالا له: ومن أين حفظت هذه الأحاديث؟ فقال: والله ما حفظتها ولا أعرفها، بل في وقتي قلتها))^(١).

يقول توماس أرنولد: ((وقد ظهرت في ذلك الوقت قصص دينية خرافية حلّت محل الحقائق التاريخية الجديدة، وذلك بصدد تحول الناس إلى الإسلام))^(١) ثم ساق بعضاً من هذه القصص.

()

()

(/) (/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

المطلب الثاني:

الأهداف المذمومة

ومن أبرز ما وقفتُ عليه في هذا الشأن أمران :

الأول: حب الظهور والشهرة، فقد ابْتُلِيَ قوم من القصاص بحب الظهور بين العامة، وأن يشار إليه بالبنان، وهو داء خطير ينافي الإخلاص في العلم، وهو ما حذر منه النبي ﷺ بقوله: ((من طلب العلم ليما ربي به السفهاء أو يكاثر به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار))^(١).

وقد حذر الخليفة الراشد علي بن أبي طالب عليه السلام بعض القصاص من هذه الصفة، فقد مرّ على أحدهم وهو يقص بالكوفة، فقال له: ((من أنت؟ فقال: أبو يحيى، فقال: لست بأبي يحيى، ولكنك اعرفوني اعرفوني))^(٢).

(/) ()

(/) () .

() :

(/) (/) .

ورأى ابن عمر رضي الله عنهما ومعه ابن له قاصاً يقص في المسجد الحرام، فقال له ابنه: أي شيء يقول هذا؟ قال: هذا يقول: اعرفوني اعرفوني^(١).

وقد شكى الماوردي رحمه الله ضياع الأمانة العلمية في زمانه، وحب الشهرة فقال: ((لقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحققوا بالعلم تحقق المتكلمين، واشتهروا به اشتهار المتبحرين، إذا أخذوا في مناظرة الخصوم ظهر كلامهم، وإذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت أفهامهم؛ حتى إنهم ليخبطون في الجواب خبط عشواء، فلا يظهر لهم صواب، ولا يتقرر لهم جواب، ثم لا يرون ذلك نقصاً))^(١).

يقول الجاحظ: ((وقفت أنا وأبو حرب على قاص، فأردت الولع به فقلت لمن حوله: إنه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه، فتفرقوا، فقال لي: حسبيك الله، إذا لم ير الصياد طيراً كيف يمد شبكته؟))^(١).

ولذا أصبح من الفُصَّاص من يدّعي سماع من لم يسمعه، ويحدث عن من لم يره^(١) بل ويضع الأحاديث على النبي ﷺ، كل ذلك رغبة في لفت الانتباه وحب الظهور، ولهذا يجب التفريق بين وضع الفُصَّاص للأحاديث ووضع غيرهم لها، ذلك أنه لم تكن لهم صفة سياسية أو مذهبية أو حزبية.

لقد أصبح بعضهم من شدة شغفه بالظهور لدى الناس مصاباً بالغيرة والحسد على أقرانه من الفُصَّاص، فأصبح لا يريد أن يكون في المسجد ولا في المدينة قاصاً إلا هو، فنشأ بين الفُصَّاص التنافر والبغضاء حتى صار من الأمثلة الجارية: ((إن القاص لا يحب القاص))^(١).

الثاني: التكسب المادي من وراء القصص، فقد سلك بعض الفُصَّاص مسلك المبالغات في القصص والمواعظ بغرض التكسب وجمع الأموال والعطايا.

(/) :

()

(/) (/) (/) ()

(/) (/) ()

:

(/) (/)

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: ((وأما المقاصد فجمهور القوم يطلبون الدنيا، ويحتالون بالقصص والوعظ عليها، وربما امتنع أحدهم من أخذ العطاء تصنعاً ليقال: زاهد؛ ليأخذ أكثر مما ردّ))^(١).

وقد ذكر الجاحظ عن خالد بن يزيد المشهور بخالويه أنه ((كان قاصاً متكلماً بليغاً داهية... وهو الذي قال لابنه عند موته... إن هذا المال لم أجمعه إلا من القصص... ولو ذهب مالي لجلست قاصاً))^(١).

وقد عرف الأبيشي القصاص بأنهم: ((الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام))^(١).

لقد جعل بعض القصاص من القصص معاشاً يستمنحون به الأمراء والعامّة، ويتكسبون به في سائر البلدان، ومن نماذج ذلك:

- أن منصور بن عمّار قدم مصر، وجلس يقصّ على الناس، فسمع كلامه الليث ابن سعد فاستحسن قصصه وفصاحته، فقال له الليث: ما الذي أقدمك إلى بلدنا؟ فقال منصور: طلبت أكتسب بها ألف دينار، فقال له الليث: فهي لك على رصين كلامك هذا الحسن ولا تتبذل. فدفع إليه الليث ألف دينار، ودفع إليه بنو الليث أيضاً ألف دينار^(١).

وسئل أبو الفضل بن ناصر عن محمد بن أسعد القاصّ فقال: ((هو قاصّ يتسوّق بهذا عند العوام))^(١).

لقد أصبح جمع المال عند بعض القصاص غاية وهدفاً تذلّ أمامها كل العقبات، وترتكب من أجلها شتى المحرمات.

قال السمعاني عن القاصّ أبي سعد الاسترأبادي: ((كان يقصّ، ويكذب على الله وعلى رسوله، ويجمع الذهب والفضة))^(١).

()

(/) .

()

(/)

(/) (/) (/) :

(/) .

(/) .

وفي الحادثة المشهورة التي حصلت للإمامين أحمد بن حنبل ويحيى بن معين مع القاصّ في جامع الرصافة، جاء في آخرها: أنه لما فرغ من قصصه أخذ القطيعات^(١).

وقد أشار الديلمي إلى أن بعض الأحاديث الموضوعية قد وضعها القصاص من أجل أن ينالوا بها القطيعات^(٢).

قال الخطيب البغدادي-رحمه الله:- ((وتلك الأحاديث إنما يسمعها العوام من القصاص يطرفونهم بها، ويتوصلون إلى نيل ما في أيديهم بروايتها))^(٣).

لقد بلغ من جشع بعض القصاص أنه يسأل الناس أن يزيدوا في عطائه، من ذلك أن رجلاً جاء إلى قاصّ فأعطاه فلساً وقال له: ((ادع الله أن يردّ عليّ ابني. فقال: وأين ابنك؟ قال: بالصين، قال: أيرده من الصين بفلس؟! هذا مما لا يكون))^(٤).

وكان بعضهم يكتفي بطلب إطعامه فقط، فقد قام أبو مرحوم القاصّ بالبصرة ليقص على الناس فلما فرغ من قصصه قال: من يطعمنا أرزة في الله، فقام شاب من

المجلس فقال: أنا...^(٥).

وكانت طريقتهم في جمع المال أنهم يكلفون واحداً بالجمع للقاصّ، وكان يسمى من يقوم بالجمع: المكوز، ويحث القاصّ الحاضرين على إعطائه، فإذا تفرق الناس تقاسموا ما أعطوه^(٦).

وأشير هنا إلى أن بعض المعاصرين يرى أنه لا يضير القاصّ أخذ شيء من المال، شأنه في ذلك شأن الشعراء والأدباء، لاسيما إذا كان متفرغاً لذلك، والناس معتادون على فعله^(٧).

() :

() :

(/) .

(/) ()

(/) () .

(/) () .

(/) () :

المبحث الأول

موقف العلماء من القصاص

إن الناظر في عبارات السلف تجاه القصاص يرى اختلافاً واضحاً، وفرقاً بيناً ما بين مدح وقادح، ومجوز وكاره.
وقد كان سبب تأليف ابن الجوزي لكتابه "القصاص والمذكرين" هو هذا الخلاف.

قال—رحمه الله—: ((سأل سائل فقال: نرى كلام السلف يختلف في مدح القصاص وذمهم، فبعضهم يحرض على الحضور عندهم، وبعضهم ينهى عن ذلك، ونحن نسأل أن تذكر لنا مقالاً يكون فصلاً لهذا الأمر. فأجبت—والله الموفق—أنه لا بد من كشف حقيقة هذا الأمر ليبين المحمود منه والمذموم))^(١).

إلا أن المتأمل يتبين له أن الذم قد غلب على المدح، وأن النهي فاق الأمر، وأن الزجر تجاوز الحث، والله المستعان.

وسيكون هذا المبحث في مطلبين على النحو الآتي:

() :

()

المطلب الأول:

موقف العلماء من القصاص المحمودين

لاشك أن ذكر القصاص في الأصل أمر محمود بل مشروع؛ لما في إيراده من العظة والعبرة، قال تعالى: (بِئْسَ مَا كَفَرْنَا بِهِ) (١).

والقصاص-كما سبق-لا يُذمّون من حيث الاسم؛ لأن الله تعالى يقول: (عَنْ كَثِيرٍ مِّنْهُمْ) (٢).

وقد سبق إيراد أقوال السلف الدالة على مشروعية ذلك متى ما التزمت بالضوابط الشرعية.

وسأتناول موقف العلماء من القصاص المحمودين في الفروع الآتية:

الفرع الأول

الثناء عليهم

وهذا الثناء راجع لما يحويه كلام بعض القصاص من موضوعات هادفة، وعبارات صادقة.

قال المروزي-رحمه الله-: ((سمعت أبا عبد الله يقول: يعجبني القصاص؛ لأنهم يذكرون الميزان وعذاب القبر)) (٣).

وقال-رحمه الله-: ((يعجبني القاص في هذا الزمان؛ لأنه يذكر الشفاعة والصراط)) (٤).

() () .

() () .

() (/) .

وقال الحسن البصري-رحمه الله-:((القصص بدعة ونعمت البدعة، كم من دعاء مستجاب وأخ مستفاد))^(١).

فالحاصل أن القصّ ليس مذموماً لذاته، وإنما لما قد يختلط به من الكذب والمبالغة، والجرأة على الدين .

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:((والقصص لا يُدَمَّون من حيث هذا الاسم،فأما إذا كان القصص صدقا ويوجب وعظا فهو ممدوح))^(١).

وكان من ضمن الثناء عليهم توثيق أكابر الحفاظ لبعضهم في رواية الحديث مما يدلّ على أن القصّ ليس بقادح في ذاته .
فمن وثق من الفصّاص:

١- إبراهيم بن موسى الجرجاني، وثقه الذهبي^(١).

٢- أحمد بن عبدالله بن عياض المخزومي، قال عنه ابن أبي حاتم: ((كان حافظاً))^(١).

٣- ثابت البناني قال أحمد: ((ثابت يتثبت في الحديث، وكان يقصّ))^(١).

٤- زياد بن علاثة، وثقه ابن معين^(١).

٥- سعيد بن حسان المخزومي، وثقه ابن معين وأبو داود والنسائي^(١).

٦- سلم بن عبد الرحمن النخعي، وثقه ابن معين^(١).

٧- عبدالرحمن بن إبراهيم القارئ، وثقه ابن معين^(١).

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) (/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

- ٨- عبدالله بن بحير اليماني، وثقه ابن معين^(١).
- ٩- عبيد بن عمير، وثقه ابن أبي حاتم وابن معين^(٢).
- ١٠- عمر بن ذر، وثقه ابن حبان^(٣).
- ١١- محمد بن ميسرة والد أسباط، وثقه ابن أبي حاتم^(٤).
- ١٢- النضر بن إسماعيل، قال عنه يحيى بن معين: ((كان صدوقاً))^(٥).
- ١٣- وهب بن منبه، قال الذهبي: ((ثقة مشهور))^(٦).

وكان من العلماء من يخص بالثناء قاصاً بعينه من حيث موضوعاته التي يطرقها، أو هدفه الذي يرمي إليه وإخلاصه لله تعالى، مثل ما روي عن الخلال في ثنائه على خطاب بن بشر، حيث قال -رحمه الله-: ((وأحسب أنه آخر الفصّاص الذين يفرح، بهم ويعتد بقولهم))^(٧).

وقال النخعي عن إبراهيم التيمي: ((إني أحسبه يطلب بقصصه وجه الله))^(٨).

	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
	(/)	:	()
	(/)	:	()
	(/)	:	()
	(/)	:	()
	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
	(/)	:	()

الفرع الثاني

الحضور عند القصاص والحث على مجالستهم

لمّا كان العلماء كخيرهم من الناس بحاجة للتذكير والوعظ؛ أثر عن جماعة منهم أنهم كانوا يحضرون مجالس القصاص لأجل الانتفاع والاتعاظ. قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((وقد كان جماعة من الأمراء والعلماء يحضرون عندهم-أي القصاص-ويسمعون منهم، وييكون لو عظمتهم))^(١).

فعن يوسف بن ماهك قال: ((رأيت ابن عمر -رضي الله عنهما- عند عبيد ابن عمير وهو يقصّ وعيناه تهرقان دموعاً))^(٢).

وجلس سفيان الثوري عند صالح المري وهو يقصّ، فأخذ يبكي وقال: ((ليس هذا بقاصّ، هذا نذير قوم))^(٣).

وكان ابن عُلَيّة يجلس إلى محمد بن مصعب الدعاء وهو يقصّ في المسجد^(٤).

()

(/) (/) ()

(/) (/) (/) (/) ()

وكان الفضل بن عيسى الرقاشي يجلس إليه كثير من الفقهاء^(١).

كما ورد عن بعض العلماء حث الناس على الجلوس عند الفصّاص والاستفادة من مواظهم وقصصهم؛ لما فيها من ترقيق القلوب، وإقبال النفوس وحثها على أنواع الطاعات .

فقد شكّا رجل إلى الإمام أحمد الوسوسة فقال: ((عليك بالفصّاص، ما أنفع مجالسهم))^(١).

وشكّا إليه آخر بأنه منذ خمس عشرة سنة قد ولع به إبليس، فنصحه بمجالسة الفصّاص^(١).

وقيل له مرة: ((أترى الذهاب إليهم؟ فقال: أي لعمرى إذا كان صدوقاً))^(١). ولما ترك أبو مجلز الجلوس عند الفصّاص وأخبر ابن سيرين بذلك قال- رحمه الله:- ((قعد إليه من هو خير منه))^(١).

بل أثر عن بعضهم الاستشهاد بأقوالهم على سبيل الثناء. قال حماد بن زيد- رحمه الله:- ((كان لنا قاص يقول في قصصه: الوقوف عند الشبهة، خير من الاقتحام على الهلكة))^(١).

وكان بعضهم يرى أن الانشغال بالكلام والقاص يقصّ مما يوجب النصيحة للمتكلم^(١).

() : (/) .

() : (/) .

() (/) .

() :

() .

() (/) .

()

(/)

() : (/)

الفرع الثالث

الحث على القص والتواصي به

كان بعض العلماء ينصح غيره أن يقصّ. ويرى أن ذلك من الوصايا الأخوية التي يرغب في أجرها ويسعى إليه. فقد أمر أنس بن مالك زياداً النميري أن يقصّ^(١).

وعن حماد بن سلمة قال: ((أخذ إياس بن معاوية بيدي وأنا غلام فقال: لا تموت حتى تقصّ، أما إنني قد قلت هذا لخالك -يعني حميد الطويل- فما مات حتى قصّ، فقبل لحماد: أقصصت أنت؟ قال: نعم))^(٢).

وأوصى سفيان الثوري ابن السّمّك بالألا يموت حتى يقصّ^(٣).

وعن موسى الجهني قال: ((رأيت عطاء بن أبي رباح دعا بخمسة فُصّاص فقال: قصّوا في المسجد الحرام))^(٤).

المطلب الثاني:

موقف العلماء من القصاص المذمومين

(/) . : ()

(/) . (/) : ()

. : ()

. : ()

حدّر العلماء من الفُصّاص ذوي الأهواء والكذب بتحذيرات متعددة وأساليب متنوعة، وقد علّل ابن جوزي هذا الموقف من العلماء تجاه الفُصّاص فقال: ((إنما ذم الفُصّاص؛ لأن الغالب منهم الاتساع بذكر القصص دون ذكر العلم المفيد))^(١).

وسأتناول هذا الموقف عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول

ذم جهلة القصاص وتوجيههم

يظهر -والله أعلم- أن الذمّ الوارد من العلماء تجاه القصاص إنما هو خاص بالجهلة منهم، وهذا ما يبرر ما مرّ من الثناء على الفُصّاص وتوثيق بعضهم.

قال أبو إدريس الخولاني -رحمه الله-: ((لأن أرى في ناحية المسجد ناراً تأجج أحب إليّ من أن أرى فيها رجلاً يقصّ ليس بفقير))^(١).

وقال أبو قلابة -رحمه الله-: ((ما أمت العلم إلا الفُصّاص، يجالس الرجل الرجل القاص سنة فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس إلى العالم فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء))^(١).

وقد كان من العلماء من ينصح الفُصّاص ويرشدهم ويوجههم، فقد قال أنس ابن مالك ليزيد الرقاشي وزياد النميري: ((لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه، يقصّ أحدكم وعظه على أصحابه، ويسرد الحديث سرداً. إنما كنا نقعد فنذكر الإيمان، وتدبر القرآن، ونتفقه في الدين))^(١).

ومرّ عمران بن حصين على قاصّ يقصّ، فلما فرغ سأله مالاً، فقال عمران: ((إنا لله وإنا إليه راجعون. سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((اقرأوا القرآن واسألوا الله به قبل أن يأتي قوم يقرؤون القرآن يسألون به الناس))^(١).

()

()

(/)

(/)

(/)

(/) ()

(/)

()

(/)

الفرع الثاني

ترك مجالستهم والتحذير منهم

كان بعض العلماء ينكرون على تلاميذهم وأبنائهم الجلوس إلى القصاص، ولا سيما الجهلة منهم وأصحاب البدع.

قال عاصم بن بهدلة: ((كنا نأتي أبا عبدالرحمن السلمي ونحن غلمان أيفاع^(١) فيقول: لا تجالسوا القصاص غير أبي الأحوص))^(٢).

وقال شجاع بن مخلد: ((مرّ بي بشر بن الحارث وأنا جالس في مجلس منصور ابن عمار القاصّ وأنا في آخر الناس، فمرّ بشر مطرقاً رأسه، فنظر إليّ فمضى وهو يقول: وأنت أيضاً يا أبا الفضل، وأنت أيضاً يا أبا الفضل!!))^(٣).

وقال أبو عامر العضدي: ((أنا كنت سبب عبدالرحمن بن مهدي في الحديث كان يتبع القصاص، فقلت له: لا يحصل في يدك من هؤلاء شيء))^(٤).

() : (/) ()

() (/) .(/)

() (/) (/) .(/)

() (/) .

لقد بلغت شدة التحذير من مجالسة القصاص إلى هجر من يجالسهم
وضربه.

قال الفضل بن مهران: ((قلت ليحيى بن معين: أخ لي يقعد إلى القصاص،
قال: انه، قلت: لا يقبل، قال: عظه، قلت: لا يقبل، قال: اهجره، قلت: نعم))^(١).

وكان عبد الرحمن بن القاسم ألزم شيءٍ لأبيه ، ففقدته ذات ليلة ثم جاءه
فقال: ((أين كنت؟ فقال: كنت عند قاص، قال: خير إن شاء الله يا بني، ولا تعد مرة
أخرى))^(١).

وعن عبدالله بن خباب بن الأرت قال: ((مرّ بي أبي وأنا عند رجل يقصّ،
فلم يقل شيئاً حتى أتيت البيت، فاتزر وأخذ السوط يضربني))^(١).

وقد كان من السلف من يطبق الهجر عملياً، فإذا دخل المسجد ووجد
قاصاً يقصّ خرج من المسجد.

فقد دخل قاص مسجد سيّار بن وردان الواسطي فجعل يقصّ، فقام سيّار
وقعد على باب المسجد يستاك، وكان القاص يعجب منه، فقال له سيّار: ((أنا في
سنة وأنت في بدعة))^(١).

وقال الأعمش: ((أتيت يزيد الرقاشي وهو يقصّ، فجلست في ناحية
أستاك، فقال لي: أنت ها هنا؟!، قلت: أنا ها هنا في سنة وأنت في بدعة))^(١).

الفرع الثالث

(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()
(/)	()

الإنكار عليهم

اشتد نكير العلماء -رحمهم الله- على جهلة الفُصّاص، وقد كان هذا الإنكار على درجات متعددة، من ذلك:

١- توبيخ العلماء للفُصّاص:

فقد مرّ علي بن أبي طالب عليه السلام على قاص في مسجد الكوفة وهو يقص، فقال: من أنت؟ قال: فلان، فقال: لست بفلان، ولكنك اعرفوني اعرفوني^(١).

وقال صلة بن الحارث لسليم بن عتر لما رآه يقص: ((ما تركنا عهد نبينا حتى قمت أنت وأصحابك بين أظهرنا))^(٢).

٢- الإنكار باللسان:

من ذلك أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دخل مسجد دمشق، وإذا كعب يقص، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال))، فبلغ ذلك كعباً، فما رئي يقص بعد ذلك^(٣).

وقد كان من علماء السلف -رحمهم الله- يتواصون بالإنكار على جهلة الفُصّاص، لاسيما من يروي الأحاديث الموضوعية والأخبار الكاذبة.

قال أبو بكر القارئ: ((حجبت في بعض السنين، وحج في تلك السنة أبو القاسم عبدالله بن محمد البغوي، فلما صرنا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاءني أبو القاسم فقال لي: يا أبا بكر ها هنا رجل ضرير قد جمع حلقة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقعد يقص، ويروي الكذب من الأحاديث الموضوعية والأخبار المفتعلة، فإن رأيت أن تمضي بنا إليه لننكر عليه ذلك ونمنعه منه))^(٤).

وقال محمد بن يونس الكديمي: ((كنت بالأهواز^(٥)) فسمعت شيخا يقص، فقال لما زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا فاطمة أمر الله شجرة طوبى أن تنثر اللؤلؤ الرطب يتهداه

(/) .

(/) (/) /)

(/) (/) (/) . (/)

(/) (/) . (/)

(/) : . : (/)

أهل الجنة بينهم في الأطباق. فقلت له: يا شيخ هذا كذب على رسول الله ﷺ. فقال: ويحك اسكت، حدثنيه الناس))^(١).

٣- الإنكار باليد:

تطاول بعض القصاص حتى نال من صحابة رسول الله ﷺ فقام من العلماء من أنكر عليه باليد غيراً لصحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-. قال الجنيد بن عبد الرحمن المري: ((دخلت من حوران^(١) أخذ عطائي، فصليت الجمعة ثم خرجت إلى باب الدرج فإذا عليه شيخ يقال له: أبو شيبه القاصّ يقصّ على الناس فرعب، فرغبنا. وخوف، فبكينا. فلما انقضى حديثه قال: اختموا مجلسنا بلعن أبي تراب، فلعنوا أبا تراب -عليه السلام^(٢)-. فالتفت عن يميني، فقلت له: فمن أبو تراب، قال: علي بن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأول الناس إسلاماً، وأبو الحسن والحسين، فقلت: ما أصاب هذا القاص، فقمت إليه -وكان ذا وفرة- فأخذت وفرته بيدي وجعلت أطم وجهه وأنطح برأسه الحائط... إلخ))^(٣).

ولقد ساءت سمعة القصاص في أوقات مضت. حتى إن والد إبراهيم التيمي طرد ابنه إبراهيم من بيته لما علم أنه قص^(٤) مع جلاله قدر التيمي - رحمه الله-.

٤- الإنكار على القصاص في أخطاء معينة:

إن أشد ما كان يحرص عليه العلماء في إنكارهم: الأخطاء العقديّة التي يقع فيها بعض القصاص إما جهلاً أو قصداً، وكذلك رواية الأحاديث الباطلة، فكان العلماء -رحمهم الله- ينكرون ذلك ويبينون وجه الحق والصواب، ومن نماذج ذلك:

- () (/) .
- () : (/) .
- (/)
- () : (الكفارة) - - :-))
- () (الكفارة) (الكفارة)
- (/) .
- () (/) .
- () : (/) .

أن ابن مسعود رضي الله عنه مرّ على قاصّ يذكرّ الناس فقال: ((لا تُقنط الناس، ثم قرأ: (هُدًى هَدَاهُ رَبُّهُ فَهُوَ سَعِيدٌ))^(١).

وسمع الشعبي قاصّاً يقول: حدثني فلان عن فلان يبلغ به النبي صلى الله عليه وآله: أن الله تعالى خلق صورين، له في كل صور نفختان، نفخة الصعق ونفخة القيامة، قال الشعبي: ((فلم أضبط نفسي أن خفت صلاتي، ثم انصرفت فقلت: يا شيخ اتق الله، ولا تحدثن بالخطأ، إن الله لم يخلق إلا صوراً واحداً، وإنما هي نفختان: نفخة الصعق ونفخة القيامة))^(١).

وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل: ((كنت أنا وأبي عابرين في المسجد، فسمع قاصّاً يقص في حديث النزول، فقال: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل الله - عز وجل - إلى السماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال، فارتعد أبي - رحمه الله - واصفر لونه، ولزم يدي فأمسكته حتى سكن، ثم قال: قف بنا على هذا المتخرص، فلما حاذاه قال: يا هذا: رسول الله صلى الله عليه وآله أغير على ربه منك. قل كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله. وانصرف))^(١).

ودعا مرة منصور بن عمار، فقال مالك بن أنس: ما هذا اللغو؟! قل: اللهم أسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل^(١).

وعن علي بن أبي حملة قال: ((كنا على ساقية بأرض الروم والناس يمرون وذلك في الغلس، وفينا رجل يقص يكنى أبا شيبه، فدعا فقال فيما يقول: اللهم ارزقنا طيباً، واستطعمنا صالحاً. فقال مكحول وهو في القوم: إن الله لا يرزق إلا طيباً))^(١).

وكان لبعض العلماء أساليب أخرى في الإنكار، من ذلك أن الإمام البغوي-رحمه الله-((وجد شيخاً أعمى يقص على الناس أخباراً موضوعاً مكذوبة، فقال البغوي: ينبغي الإنكار عليه. فقال له بعض أصحابه: إنك لست

() ()

() :

(/) .

() .

()

() : (/) .

() (/) (/) .

ببغداد يعرفك الناس إذا أنكرت عليه، ومن يعرفك هنا قليل، والجمع كثير، ولكن ترى أن تأمر أبا بكر الأدمي فيقرأ. فأمره، فاستفتح فقرأ، فلم يتم الاستعاذة حتى انجفل^(١) الناس عن ذلك الأعمى، وتركوه وجأؤوا إلى أبي بكر البغوي، ولم يبق عند الضرير أحد. فأخذ الأعمى بيد قائده، وقال له: اذهب بنا، فهكذا تزول النعم^(٢).

٥- تأليف الكتب في التحذير من جهلة القصاص:

قام بعض العلماء بالتصدي لكذب بعض القصاص وكشف شيء من عيوبهم وبيان جهلهم، وذلك بتأليف المصنفات الموضحة لأنواع التجاوزات التي يقع فيها القصاص.

ومن أبرز الكتب^(١) في ذلك:

١/ القصاص والمذكرين لابن الجوزي.

٢/ أحاديث القصاص لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٣/ الباعث على الخلاص من حوادث القصاص للعراقي.

٤/ تحذير الخواص من أكاذيب القصاص للسيوطي.

يضاف إلى ذلك ما هو مبثوث في بطون الكتب؛ حيث تعرض بعض العلماء لذلك كالغزالي في الإحياء، وابن مفلح في الآداب الشرعية، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، وغيرهم^(٢).

الفرع الرابع

التشبيه بهم على وجه الذم

(/) ()	:	:	()
	:	(/)	()
	:		()
(/)	(/)		()
:	():	()	
	:		:
)):		:	:
	(/)	«	

اتخذ بعض العلماء بعض الأساليب للطعن في بعض الرواة، من ذلك كونه شبيهاً بالفُصَّاص، أو أن مسلكه مسلك الفُصَّاص أو نحو ذلك.

فقد ترجم ابن أبي حاتم لعبدالعزیز بن حوران، فكان مما قاله فيه: ((كان ضعيفاً يشبه الفُصَّاص))^(١).

وقال العقيلي في ترجمة حكامه بنت عثمان: ((أحاديث حكامه تشبه حديث الفُصَّاص ليس لها أصول))^(٢).

وقال المزني في ترجمة أحمد بن عبدالرحمن بن بكار: ((شبهه قاص))^(٣).

ولما ذكر ابن حبان قصة زواج علي بفاطمة - رضي الله عنها - قال: ((وقد روي في تزويجها أخبار فيها طول تؤدي إلى مسلك الفُصَّاص، فتنكبت عن ذكرها))^(٤).

الفرع الخامس

تضعيف حديثهم

سبق ذكر جملة من الفُصَّاص الثقات الذين حظوا بتوثيق كبار الحفاظ لهم، إلا أن جماعة أخرى منهم لم يكونوا كذلك، وأسوق هنا أسماء جملة من الفُصَّاص الذين ضعّفوا من قبل أئمة الجرح والتعديل:

١- أبو توبة البصري، قال الدارقطني: ((ضعيف))^(٥).

٢- أبو اليسر القاص، قال الحاكم: ((زاهب حديثه بمرّة))^(٦).

(/)	:	(/)	(/)
(/)	:	(/)	(/)
(/)	:	(/)	(/)
(/)	:	(/)	(/)
(/)	:	(/)	(/)

- ٣- أبو طعمة القاصّ مولى عمر بن العزيز، رماه مكحول بالكذب^(١).
- ٤- أحمد بن عبدالله المكي، قال الذهبي: ((له مناكير))^(١).
- ٥- إسماعيل بن رافع المدني، قال الإمام أحمد: ((ضعيف الحديث))^(١)، وقال ابن معين: ((ليس بشيء))^(١).
- ٦- حميد بن عطاء الأعرج، قال ابن معين: ((ليس حديثه بشيء))^(١).
- ٧- حنظلة التيمي، قال ابن معين: ((لا يكتب حديثه))^(١).
- ٨- سليمان بن داود النخعي، كدّبه أحمد^(١).
- ٩- صالح بن بشير المري، قال البخاري: ((منكر الحديث))^(١).
- ١٠- عبدالرحمن بن إبراهيم القاصّ، ضعفه الدارقطني^(١).
- ١١- عبدالله بن أفح البلوي، قال الذهبي: ((متهم بالكذب))^(١).
- ١٢- عبدالمنعم بن إدريس اليماني، قال الإمام أحمد: ((كان يكذب على وهب ابن منبه))^(١)، وقال الذهبي: ((ليس يعتمد عليه))^(١).
- ١٣- عثمان بن أبي العاتكة، قال يعقوب الفسوي: ((ضعيف الحديث))^(١).

(/) ()

(/) : ()

(/) ()

(/) ()

()

(/) ()

(/) ()

(/) : ()

(/) (/) ()

(/) (/) : ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

١٤- علي بن أحمد بن علي الشرواني، قال ابن حجر: ((كذاب))^(١).

١٥- عمر بن مدرك، قال ابن معين: ((كذاب))^(١).

١٦- محمد الدعاء، قال ابن معين: ((ليس بثقة))^(١).

١٧- النضر بن إسماعيل البجلي، قال أبو زرعة: ((ليس بقوي))^(١)، وقال الإمام أحمد: ((لم يكن يحفظ الإسناد))^(١).

١٨- نفيع بن الحارث الهمداني، قال الذهبي: ((واه))^(١).

١٩- النهاس بن قهم، قال الحاكم: ((لين الحديث))^(١).

٢٠- يحيى بن يعقوب الأنصاري، قال البخاري: ((منكر الحديث))^(١)، وقال الذهبي: ((واه))^(١).

بل لعلني لا أكون مبالغاً حينما أقول: إن وصف راوٍ ما بأنه قاصّ – عند بعض العلماء – كافٍ لتضعيف روايته وردّ حديثه، ومن نماذج ذلك:

أن ابن أبي حاتم سأل أباه عن عبدالوهاب بن الضحاك السلمي قاصّ أهل سلمية، فقال: ((لا يكتب عنه، هذا قاص))^(١).

وسئل ابن معين عن إبراهيم الجرجاني فقال: ((ما يدري، ذاك قاص))^(١).

() (/) :

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) .

() (/) :

() (/) .

وقال بعض العلماء: ((نعم الرجل فلان لولا أنه يقصّ))^(١).

وقد سبق ذكر بعض الأحاديث التي ضَعُفَت بسبب القُصَّاص، إما لوجود قاصّ ضعيف في الإسناد، أو لوضع أحد القُصَّاص لهذه الأحاديث^(٢).

ولكن عند التحقيق يتبين بأن وصف راوي بأنه قاص لا يلزم منه توثيق ولا تجريح، فقد كان من القصاص الرواة الثقات، كما كان منهم الضعفاء كما رأيت .

وإن مما ينبغي أن يذكر هنا أن موقف المحدثين تحديداً كان أكثر من غيرهم شدة على القُصَّاص؛ وذلك نابع من غيرتهم على الحديث النبوي وصيانتهم له، وخشيتهم من أن تشيع الأحاديث التي يضعها بعض القُصَّاص التي ربما نظر بعض المبتدئين إليها؛ فيظن أنها عين الشريعة، فيضل وهو يريد الهداية.

ومن الباحثين من يعلل شدة المحدثين على القُصَّاص بأن السبب في ذلك ((هو استعانة القصاص بأسانيد المحدثين... فمقاتل يزيد أحاديثه برجال السند ليرضي سامعيه، لكنه أثار سخط المحدثين))^(٣). ولعلّ من ينظر إلى أخبار القُصَّاص، ويرى تلك الأسانيد يتصور أن ذلك مصدر قوة لها؛ غير أن هذا التصور ليس سليماً. فأسانيد القصاص في الغالب لا تتقارب مع أسانيد الأحاديث النبوية التي بذل فيها المحدثون جهداً عظيماً في تمحيصها، ودرسوا حال روايتها من حيث عدالتهم وضبطهم، وغير ذلك؛ مما يتصل بعلم الجرح والتعديل. وقد ميّز شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - بين أسانيد القصاص وأسانيد المحدثين^(٤). ولذلك ترك بعض المحدثين تحديث القُصَّاص، ومنعهم بأن يرووا عنه.

قال يحيى بن سعيد القطان: ((كنت عند شعبة ورجل يسأله عن حديث فامتنع، فقلت: لم لا تحدّثه؟ قال: هؤلاء قُصَّاص يزيدون في الحديث))^(٥).

وفي رواية أنه سأله: ((أقاصُّ أنت؟ قال: نعم، قال: اذهب، فإننا لا نحدث القُصَّاص، فقيل له: لم يا أبا بسطام؟ قال: يأخذون الحديث منا شبراً فيجعلونه ذراعاً))^(٦).

(/) ()

: ()

()

(/) : ()

. (/) ()

ولم يقف الأمر عند الحديث فقط، بل طال الأمر تضعيفهم، وعدم الأخذ منهم في تفسير القرآن .

يقول الثعالبي بعد أن ساق جملة من الروايات في تحديد هوية بعض الأشخاص في بعض القصص قال-رحمه الله-: ((وقد روى المفسرون والقصاص في تأويل هذه الآيات أخباراً لم نجد في نقلها طائلاً، إذ كانت النفس لا تثق بخبرهم، ولا تسكن إلى صحة نقلهم))^(١).

وها هنا تساؤل قد يطرأ: إذ كيف الجمع بين ثناء العلماء على القصاص وتوثيقهم، وبين قرح البعض الآخر وتضعيفهم؟!

والذي يظهر -والله أعلم- أن المعيار الذي احتكم إليه العلماء في موقفهم من القصاص هو: التزام القصاص للضوابط الشرعية أثناء القص، ولا سيما "العلم".

فالمنع والتحذير والزجر والهجر والطرْد إنما كان موجهاً للقصاص الجهلة وأهل البدع والمحتالين الذين أساؤوا استعمال القصص، وخرجوا به عن غايته، ولم يكن قصدهم الدعوة إلى الله تعالى .

أما من أثنى عليه العلماء، وجالسوه، وحثوا على مجالسته، والاستفادة من قصصه ومواعظه فهو لعلمه والتزامه بالمنهج الشرعي في ذلك. والله أعلم.

قال الدكتور محمد الصباغ-حفظه الله-: ((...ليس من شك عندي في أن هناك قوماً صالحين فيهم، يتهجون في قصصهم المنهج السليم، فلا يوردون إلا ما صحّ من القصص، أو ما لا يتعارض وأحكام الشريعة))^(١).

(/) .

()

()

()

المبحث الثاني

موقف الحكام من القصاص

إن الناظر في كتب التاريخ الإسلامي يلحظ بروز كثير من القصاص الذين ساندوا الدولة وأيدوها، ولم تخل فرقة من الفرق الموجودة آنذاك من قاصٍّ أو أكثر منضوين تحت رايتها ومعبرين عنها، فكان لهم الحظوة والشأن الكبير لدى الحكام.

وفي المقابل كان لبعض الحكام رأي مغاير، فتم منع بعضهم، وضبط البعض الآخر وإرشادهم. وسأتناول هذا المبحث في المطالب الآتية:

المطلب الأول:

منع جهلة القصاص

لقد رأى بعض الحكام أن للقصاص أثراً سلبياً على الناس، فقام بمنعهم والتحذير من الجلوس عندهم.

المطلب الثاني:

المنع إلا لمن أذن له

كان بعض الحكام يسأل القاص إن كان أخذ الإذن بالقص أم لا، كما كان يفعل معاوية رضي الله عنه، فإن كان أخذ الإذن وإلا منعه ووبّخه.

فقد أخبر معاوية رضي الله عنه بقاص يقص على أهل مكة، فسأله معاوية: ((أمرت بهذا القصص؟ قال: لا، قال: فما حملك على أن تقص بغير إذن؟ قال: ننشر علماء علمناه الله عزّ وجلّ قال: لو كنتُ تقدمتُ إليك لقطعتُ منك طابقاً))^(١).

وقد جرى خلاف بين أهل العلم في القص: هل هو من الولايات الدينية التي يشترط فيها الإذن من الحاكم أم أنها ليست كذلك؟^(٢).

ومجمل الأقوال في هذه المسألة ترجع إلى قولين:

القول الأول: أن القصص من الولايات الدينية التي يشترط فيها إذن الحاكم وتوليته، واستدل أصحاب هذا القول بأدلة منها:

١- حديث عوف الأشجعي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقص إلا أمير أو مأمور أو مختال)، وفي رواية (أو مرء)، وفي رواية (أو متكلف).

قال الطيبي -رحمه الله-: ((وكل من وعظ وقصّ داخل في غمارهم، وأمره موكل إلى الولاية))^(٣).

وهذا الحديث دالّ على أن القصص من الولايات الدينية من عدة أوجه:

الأول/ أن النفي الوارد في الحديث في قوله: (لا يقص) بمعنى أنه لا يصدر هذا الفعل إلا من هؤلاء الثلاثة: الأمير، والمأمور، والمختال، والمعنى

() (/) ()

(/) () :

() :

(/) () :

(/) .

كما يقول ابن الأثير: ((أي لا ينبغي ذلك إلا للأمير يعظ الناس ويخبرهم بما مضى ليعتبروا، أو مأمور بذلك فيكون حكمه حكم الأمير، ولا يقص تكسباً، أو يكون القاص مختالاً))^(١).

وقال المناوي-رحمه الله-في بيان دلالة هذا الحديث: ((دل على اختياله، وفيه إشعار بأن قص الإمام أو مأذونه محبوب مطلوب))^(١).

الثاني/ أنه جاء في الحديث نم لمن تصدى للقصص دون تولية وتنصيب من الأمير، وتعت بنعوت ذميمة منها (مختال) و(مراء) و(متكلف).

الثالث/ أن القصص والوعظ من الأمور المهمة التي ينبغي ألا يليها إلا مَنْ كان من المؤهلين، وإلا صار ضرر القاص أكبر من نفعه.

قال في عون المعبود: ((وقيل: بل القصاص والوعاظ لا ينبغي لهم الوعظ والقصص إلا بأمر الإمام، وإلا لدخلا في المتكبر، وذلك لأن الإمام أدرى بمصالح الخلق، فلا ينصب إلا من لا يكون ضرره أكثر من نفعه بخلاف من نصب نفسه فقد يكون ضرره أكثر، فقد يفعل ذلك تكبراً ورياسة))^(١).

٢- كما استدل أصحاب هذا القول بقصة استئذان تميم الداري عمر بن الخطاب في القصص، فقد جاء في حديث السائب بن يزيد قال: ((إنه لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر حتى كان أول من قص تميم الداري، استأذن عمر بن الخطاب ﷺ أن يقص على الناس فأذن له)).

قال الحافظ العراقي-رحمه الله-بعد أن أورد هذا الحديث: ((إن هذا يدل على أنه ليس لأحد الرعية أن يقص إلا بإذن من ولي أمور المسلمين إن كان يعلم من يصلح لذلك، كالخلفاء الراشدين وعمر بن عبدالعزيز، وإن كان متولي أمور المسلمين لا يعلم من يصلح لذلك فيكون ذلك بإذن من أقامه لذلك من الحكام والعلماء))^(١).

٣- واستدل أصحاب هذا القول أيضاً بقصة معاوية مع قاص مكة.

(/) ()

(/) ()

(/) ()

() ()

قال العراقي - رحمه الله -: ((ومما يدل على أن القصاص الذين هم أهل لذلك ليس لهم الكلام على الناس إلا بإذن ولاة الأمر قصة معاوية مع قاص مكة))^(١).

القول الثاني: أن القصاص ليس من الولايات الدينية، ولا يشترط فيه إذن الحاكم، واستدل أصحاب هذا القول بأمور منها:

الأول/ أن القصاص من الطاعات ومن شأن الطاعة أنها لا تتوقف على إذن الإمام.

الثاني/ أن اشتراط إذن الإمام فيه تضيق قد يؤدي إلى تعطيل القصاص والوعظ.

الثالث/ أن السلف -رحمهم الله- كانوا يقصون ويعظون ويذكرون دون إذن من الإمام أو الحاكم^(٢).

والراجح -والله أعلم- وجوب استئذان الأمير أو من ينبيهه في القصاص والوعظ والتذكير، ويترجح هذا لما يلي:

أولاً: أن الأدلة الصحيحة الصريحة دالة على ذلك، والقول بجواز القصاص والوعظ مطلقاً دون إذن الإمام قول فيه نظر؛ لأنه معارض للأدلة، بل هو قول قائم على الاستحسان.

ثانياً: فعل الصحابة واستئذانهم في الوعظ والقصاص.

ثالثاً: أن المصلحة الشرعية المتمثلة في حفظ دين الناس من عبث العابثين وتخليط الجاهلين يستوجب النظر في أحوال القصاص والوعاظ ومنح الإذن للمؤهلين منهم، والله أعلم .

المطلب الثالث:

()
() : (/) .

النصح والتوجيه

كان بعض الفُصّاص لديه أخطاء متعددة في الجانب العلمي، أو الدعوي، أو غير ذلك، فرأى بعض الحكام وجوب توجيههم ومناصحتهم، ووضع ضوابط تحد من هذه التجاوزات.

من ذلك ما جاء عن عمر بن عبدالعزيز-رحمه الله- أنه كتب لعامله: ((أن ناساً من الفُصّاص قد أحدثوا في الصلاة على أمرائهم ومواليهم عدل ما يصلون على النبي ﷺ، فإذا جاءك كتابي هذا فمرهم أن تكون صلاتهم على النبيين خاصة، ودعاؤهم للمسلمين عامة))^(١).

أما الخليفة القائم بأمر الله فقد جعل شيئاً من الضوابط للقصاص، فأصدر أمراً بالألأ يورد أحد من الفُصّاص حديثاً حتى يعرضه على الخطيب البغدادي، فما أمرهم بإيراده أو ردوه، وما منعه منه ألغوه^(٢).

المطلب الرابع:

تقريب القصص والاستفادة منهم

حظي جملة من الفُصّاص في عهود مختلفة بالكثير من الحفاوة والتقريب، وكان من الحكام من يدعو القاص إلى مجلسه إذا علم تميز هذا القاص أو ذاك بقوة التأثير، وحسن الأداء، وبلاغة العبارة.

وليس من شك في أن تلك المكانة الرفيعة التي حظي بها بعض القصاص عند الحكام ما كانت لتنتهياً لو لم يكن الحكام صالحين في أنفسهم إلا فيما ندر،

(/) (/) ()

(/) .

(/) (/) : () .

وبذلك أتاحوا المجال للقصاص بأن يقولوا كلمة الحق، وأن يأمرهم بالعدل والإنصاف في الرعية، ويحذروهم من مغبة الظلم والجور .

من ذلك أن معاوية رضي الله عنه كان كثيراً ما يجالس القصاص، بل كان الاستماع إلى مروياتهم وأخبارهم جزءاً من عمله اليومي، ويؤكد ذلك ابن الأزرق حيث يصور يوماً من حياة معاوية فيقول: ((كان يظهر في اليوم واللييلة خمس مرات، فكان إذا صلى الصبح جلس للقاص حتى يفرغ من قصصه...))^(١) ويظهر من هذا النص مدى عناية معاوية رضي الله عنه بالقصاص وملازمته لهم يومياً حتى ينتهوا من قصصهم.

ويذكر الخطيب البغدادي -رحمه الله- أن معاوية رضي الله عنه سافر مرة عشرة أيام، معه القصاص يقصون في كل يوم، يحثون أهل الشام عند وقت كل صلاة^(٢).

وكان بعض الحكام ينتهزون الفرص التي تجمعهم بالقصاص ليطلبوا منهم موعظة أو تذكيراً، وما أكثر أن نجد في سيرة عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله- قوله لبعض القصاص: ((عظني يا فلان))^(٣)، وروي أنه كان يجلس إلى قاص العامة^(٤).

وكذا كان يقول سليمان بن عبد الملك لأبي حازم^(٥) وهشام بن عبد الملك لأبي حازم^(٦)، وهارون الرشيد لابن السماك القاص^(٧).

وكان المتوكل مولعاً بذي النون المصري يفضله على العباد والزهاد^(٨).

وبنى الخليفة الواثق مدرسة لمحمد بن أسعد الحكيم القاص ليقصّ على الناس^(٩)

()

(/) .

(/) : ()

(/) (/) (/) : ()

(.

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

وقد سبقت الإشارة إلى صنيع بعض الحكام من تخصيصه قاص له، وهم من كانوا يُسمون بـقُصّاص الخاصة، وإن كان بعض الأدباء كأبي الحسن بن لنكك يرى أن ذلك ليس منقبة للحاكم، فكان يقول:

أو ما رأيت ملوك عسرك أصبحوا ** يتجملون بكل قاصّ
أحمق (١)

ومرّ أن القصص أصبح من الأعمال الرسمية، يتم بتعيين من الحاكم، ويتولاه رجال متخصصون يأخذون عليها رزقاً وأجرأ من بيت المال، وحُدّد لهم وقتٌ معينٌ للقصّ، وأن عدداً كبيراً من القُصّاص كانوا قضاة، وأئمة مساجد، وقادة للجيش، وغير ذلك من مظاهر الاهتمام؛ للاستفادة منهم.

(/) : ()

(/) : ()

المبحث الثالث

موقف العامة من القصاص

بلغت مكانة القصاص عند كثير من العامة المكانة الرفيعة، والقبول التام، فأقبلوا على مجالسهم بأعداد كبيرة وأوقات متفاوتة، واعتقدوا في علمهم وفضلهم، وفضلوهم على كبار العلماء والفقهاء.

قال الذهبي عن غلام خليل القاص: ((وكانت تميل إليه والدة الموفق، وكذلك الدولة والعوام))^(١) ولمّا مات عُثقت الأسواق وخرج الرجال والنساء للصلاة عليه^(٢). وقال عن محمد بن أسعد القاص: ((كان له القبول التام في الوعظ بدمشق))^(٣). وقال عن بلال بن سعد: ((كان نقاعاً للعامة))^(٤).

وقال الخطيب عن محمد بن حبش القاص: ((كان مقبولاً عند الناس))^(٥)

وقال السبكي عن أبي الفتوح الطوسي: ((مالت إليه قلوب الناس وأحبوه..... وظهر له القبول التام))^(٦).

() (/) .

() : (/) .

() (/)

() (/) .

() (/)

() (/)

ولاشك أن هذه الثقة الكبيرة التي منحها الطبقة العريضة من عامة الناس كان لها أبعاد الأثر في انصراف القصاص إلى كل ما من شأنه إقبال الناس عليه، وتحقيق رغبته، والوصول إلى هدفه، سواء أكان هدفاً دينياً أم دنيوياً؛ ولاسيما وأن من القصاص من لا يتخرج من اتخاذ أي وسيلة لجذب العامة إليه.

قال ابن الجوزي: «القصاص والوعاظ ترسموا بهذا الأمر لخطاب العوام»^(١).

وسأتحدث في هذا المبحث عن أمرين مهمين في هذين المطلبين :

المطلب الأول:

أسباب إقبال العامة على القصاص

اتخذ القصاص طرقاً متعددة وأساليب متنوعة استنطاعوا من خلالها لفت الأنظار إليهم وجذب الناس نحوهم، فأصبح القاص محبوباً عند العامة، فهو الذي يعظم ويقص عليهم، وهو الذي يفتي لهم في مسائلهم، إلى غير ذلك.

أو كما يقول بعض المعاصرين: إن الذي (شجع على اتساع نطاق القصاص في الحياة الإسلامية فيما بعد ارتباط الدين بالحياة العامة ارتباطاً وثيقاً)^(١).

ويمكن تحديد هذه الأسباب في الفروع الآتية:

الفرع الأول

إيراد الغريب والعجيب في القصاص

()

()

لقد حرص الفصّاص على الإتيان بالغرائب والعجائب في قصصهم؛ وذلك لإدراكهم حب العامة لذلك واستحسانهم له؛ إذ من شأن العامة الولع والإعجاب بالخرافة والاستمتاع بالغرائب.

قال ابن قتيبة رحمه الله - عن الفصّاص إنهم: ((يميلون وجوه العوام إليهم، ويستندرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث. ومن شأن العوام القعود عند القاصّ ما كان حديثه عجيباً خارجاً عن فطر العقول))^(١).

ثم يذكر ابن قتيبة شيئاً من المبالغات التي اشتهر بها القصاص في وصف نعيم الجنة مثلاً، فيقول: ((إذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، ويبيوئ الله تعالى وليه قصرأ من لؤلؤة بيضاء فيه سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، في كل قبة سبعون ألف فراش، على كل فراش سبعون ألف كذا، فلا يزال في سبعين ألف كذا وسبعين ألفاً كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها))^(٢) ثم يعود - رحمه الله - ليبين الرابط بين القاص والسامع فيذكر أنه ((كلما ازداد العجب، وطال الجلوس، كان العطاء أسرع))^(٣).

ومن نماذج ذلك ما ذكره مسروق بن الأجدع قال: ((كنا عند عبد الله بن مسعود جلوساً وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصّاً عند أبواب كندة يقص، ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام. فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال: يا أيها الناس اتقوا الله، فمن علم شيئاً فليقل بما يعلم ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم))^(٤).

وقال أبو حاتم عن عبد الله بن بجير: ((يروى العجائب))^(٥).

وقال الذهبي عن إسماعيل بن محمد الإستراباذي ((وكان له سوق ونفاق عند العامة، وكان صاحب غرائب وعجائب))^(٦).

وقال عن هناد النسفي: ((الغالب على روايته الغرائب))^(٧).

() : (/) .

() .

() .

() (/) .

() (/) (/) .

() (/)

() (/) : (/)

وقال أبو القاسم بن مسرور عن صالح المري: ((...كان في قصصه وكلامه شيئاً عجيباً))^(١).

وكان بعض السلف يسمي العجائب: ((متاع الفصّاص))^(١).

وكلما كانت القصة غريبة ومخالفة للمألوف كان إعجاب الحاضرين بها أكبر، واهتمامهم بها أعظم.

الفرع الثاني

استثارة العواطف وترقيق القلوب

اهتم الفصّاص في مجالس وعظهم بإثارة العواطف وترقيق القلوب، وتسويغ القصّ بالغاية الدينية.

قال ابن قتيبة: ((ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب، ويستغزر العيون))^(١).

إن التخويف من الموت والنار، أو الترغيب في الجنة مثلاً هو أحد الموضوعات الأكثر تناولاً عند الفصّاص كما سبق، والأكثر تردداً على ألسنتهم. ولعل استعمال هذا الموضوع وأمثاله كان معيناً لجذب أسماع الناس، والاحتفاظ بعدد أكبر من العامة في مجالسهم، ولاسيما أنهم يرون التأثير الواضح سواء على القاصّ أم على الحاضرين.

فمن الفصّاص من يبكي وهو يقص، بل منهم من وصف بأنه من البكائين كيزيد الرقاشي^(١)، ومنهم من وصف بكائه برجل مذعور^(٢) ومنهم من قيل فيه: ((كأنه

() (/) .

() : (/) .

() .

() : (/) .

() : (/) (/) .

تكلّى إذا قصّ^(١)، ومنهم من وصف بأن كلامه ((يقطع القلب))^(٢)، ومنهم من ((يرفع صريعاً من مجلسه))^(٣)، بل منهم من مات وهو يقصّ^(٤).

قال ابن الجوزي - رحمه الله - عند ترجمته لعبد الواحد بن زيد القاصّ: ((كان متعبداً كثير البكاء يقصّ على أصحابه؛ فيموت في المجلس جماعة))^(٥).

وكان إبراهيم التيمي يقص في بيت أبي وائل، فكان أبو وائل ينتفض انتفاض الطير^(٦).

ولذا قال بشر بن منصور: ((رأيت من يأتي الفقهاء والقصاص أرق قلباً ممن لا يأتي القصاص))^(٧).

ومع ذلك فقد كان لجهلة القصاص طرق سيئة سلكوها رغبة في التأثير على العامة، كان من أبرزها وأشهرها وضع الأحاديث.

قال ابن الجوزي عن حديث وضعه أحد القصاص: ((هذا حديث موضوع... وضعه جهلة القصاص ليكون سبباً في تبكية العوام والنساء))^(٨).

على أنه كان من قصاص السلف من يزر الباكي عند القصص خشية أن يدخل قلبه العجب، أو أن يكون الحامل له على البكاء هو الرياء، من ذلك ما قاله عبدالله ابن حبيب: ((رأيت محمد بن كعب يقصّ، فبكى رجل، فقطع قصصه، وقال من الباكي؟ قالوا: فلان بن فلان، قال: فكأنه كره ذلك))^(٩).

ولا شك بأن التأثير عند سماع المواعظ والقصص من بكاء ونحوه؛ إن كان صادراً من صدق لا رياء فيه فهو معفو عنه، أما الصراخ والعيويل وتكلف البكاء فهو مذموم ومظنة الرياء والسمعة.

(/) ()

(/) ()

(/) : ()

(/) (/) : ()

(/) . ()

(/) : ()

(/) ()

(/) ()

()

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((والذي عليه جمهور العلماء: أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً عليه لم يُنكر عليه، وإن كان حال الثابت أكمل منه..... والأحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن، وهي وجل القلوب، ودموع العين، واقشعرار الجلود.... وكلا طرفي هذه الأمور ذميم))^(١).

إن العاطفة وسيلة معينة اتخذها القصاص لكسب ثقة العامة ولفت أنظارهم، وتختلف قوة هذه العاطفة حسب طبيعة الموضوع الذي يتحدث عنه؛ لأن بعض الموضوعات لها سمة تأثيرية تستجلب الرقة، وتستدعي الانتباه؛ كما هو الشأن في قصص اليوم الآخر، والتعازي، ونحو ذلك .

وأثر هذه العاطفة يختلف لدى المدعو حسب الاستعداد والقابلية للموضوع المطروح، ومصداقية القاص، فما خرج من القلب وقع في القلب .

الفرع الثالث

التعالم وجهل العوام

كان بعض القصاص لا يتردد عن الإجابة على كل سؤال يوجه إليه؛ لأن اعترافهم بالجهل من شأنه أن يززع ثقة العامة بهم، فزعم بعضهم أنه يعرف اسم العجل الذي عبده قوم موسى-عليه السلام-. وذكر أبو كعب القاص اسم الذئب الذي زعم أنه أكل يوسف -عليه السلام- فلما قيل له: إن يوسف لم يأكله الذئب قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف^(١).

(/) ()

(/) : ()

بل منهم من يحث العامة على سؤاله لإدراكهم حب العامة لمن يفعل ذلك ويتصدى له، من ذلك: أن مقاتل بن سليمان جلس في مسجد بيروت فقال: لا تسألوني عن شيء مما دون العرش إلا نباتكم به^(١).

وكان القاصّ أبو مرحوم الحجام يقول وهو في أحد مساجد بغداد: ((سلوني عن التفسير، وتفسير التفسير))^(١). ومن مجازاته أنه كان يفتي الناس بحلق لحاهم، قال الحسين الكرابيسي: ((وأنا قاعد ذات يوم على باب داري مرّ بي شيخ مخلوق الرأس واللحية، فقلت: يا شيخ لم حلقت رأسك ولحيتك؟ قال: حكم الكتاب والسنة، فقلت: أيش من حكم الكتاب والسنة؟ قال لنا أبو مرحوم: يا إخواني إن هذا الشعر نبت على ضلالة فاحلقوه حتى ينبت على الطاعة. قال الكرابيسي: فحمل الناس على حلق لحاهم))^(١).

ولما سأله أحد الحاضرين في مجلسه عن المزابنة والمحاكمة لم يتردد في الإجابة فقال: ((المحاكمة حلق الثياب عند السمسار، والمزابنة أن تُسمي أخاك المسلم زبوناً))^(١).

لقد أدرك بعض القصاص جهل العامة وضعفهم، فاستغل ذلك لأغراضه الدنيوية والدينية. قال الخطيب البغدادي-رحمه الله: ((...وباعث القصاص على ذلك معرفتهم نقص العوام، وجهلهم، ولو صدقوا الله فيما يُلقونه إليهم لكان خيراً لهم))^(١).

(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()
(/)	:	()

المطلب الثاني:

مظاهر ثقة العامة بالقصاص

اكتسب القصاص ثقة العامة من نواح متعددة، ومن جهات متنوعة. ويكفي أن من القصاص من كان يسمى بـ: قاص العامة، وهو الذي يتوجه بقصصه لعامة الناس، ويُسمى أيضاً: قاص الجماعة، ومن أشهرهم كردوس بن عباس^(١) وإدريس بن يحيى^(٢)، وأبو الهيثم سليمان بن عمرو^(٣) وعبدالله بن كثير^(٤)، وكردوس بن قيس^(٥).

وقد جعل ابن الجوزي سبب كثرة القصاص رغبة العوام فيهم، يقول- رحمه الله-: ((ولما كان جمهور العوام يميلون إلى القصاص كثر القصاص))^(٦).

قال أبوطالب المكي: ((مثل القصاص في العلماء مثل أهل السواد في أهل المدن))^(٧).

ويمكن تحديد هذه المظاهر في الفروع الآتية:

الفرع الأول

(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()
(/)	(/)	:	()

استفتاء القصاص وطلب الدعاء منهم

لقد مُنح القُصَّاص من الثقة من قبل العامة حتى فيما هو من اختصاص العلماء والفقهاء من المسائل العلمية والفتاوى الشرعية.

ومما يروى في هذا الشأن أن والدته أبي حنيفة النعمان صاحب المذهب المعروف حلفت يميناً ثم حنثت، فسألت ابنها فأجابها، ولكنها لم تفتنع وقالت: لا أقبل إلا ما يقول زرعة القاص، فجاء بها أبو حنيفة إلى زرعة فقال: هذه أُمِّي تستفتيك في كذا وكذا، فقال: أنت أعلم مني وأفقه فأفتها أنت، فقال أبو حنيفة: قد أفتيتها بكذا وكذا، فقال زرعة: القول كما قال أبو حنيفة، فرضيت وانصرفت^(١).

وفي رواية أن أبا حنيفة أسرّ لزُرعة أن يفتيها بكذا وكذا، فأفتها، فرضيت^(٢).

وحضر رجل إلى قاص فأعطاه فلساً، وقال له: ادع الله أن يرد لي ابني^(٣).

ودفع أحدهم قطعة إلى قاص، وقال: ادع لي ولأبوي بالمغفرة^(٤).

ولمّا انتهى منصور بن عمّار من خطبة الاستسقاء طلب من المصلين أن يتصدقوا، ((فجعل الناس يتصدقون ويعطوني ويلقون على الكساء حتى جعلت المرأة تلقي خرصها^(٥) وسخابها^(٦)؛ حتى فاض الكساء من أطرافه))^(٧).

إن هذه الحوادث وأمثالها توضح ما وصلت إليه مكانة القصاص عند العامة والبسطاء، فأقبلوا على مجالسهم، واقتنعوا بعلمهم وفضلهم.

() :
() : (/) .
() : (/) .
() : (/)
() : (/) () : .
() : (/) () : .
() : (/)

الفرع الثاني

كثرة الحضور

ذكر أبو طالب المكي - رحمه الله - جملة من الفروق بين العالم والقاصّ من أبرزها: أن عدد الحضور عند العالم قليل وعند القاص كثير، والسبب في ذلك كما يقول: ((أن العلم مخصوصٌ لقليل وإن القاصص عام كثير))^(١).

لقد أصبح عدد الحضور عند القصاص مضرب المثل في الكثرة، قال أبو عمر محمد ابن يوسف: ((كنت أحضر دار المقتدر... حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير كما يجتمع على القصاص استحسانا لما يجري بينهما))^(٢).

ولما أراد الإمام البغوي أن ينكر على أحد القصاص قال له أبو بكر القارئ: ((إن كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الكثير والخلق العظيم))^(٣).

قال السبكي - رحمه الله - في ترجمة أحمد الطوسي القاص: ((دخل بغداد... وظهر له القبول التام، وازدحم الناس على حضور مجلسه))^(٤).

() (/) .

() (/) (/)

() (/) .

الفرع الثالث

ضرب العامة لمن يتعرض للقصاص

تعرض بعض العلماء الغيورين لأذى بدني نتيجة لإنكارهم على جهلة القصاص، إذ لم يكن عامة الناس على استعداد لسماع أي اعتراض على قاصمهم، فكانوا ينافحون عنه ويغضبون لغضبه، ومن ذلك: أن الجنيد بن عبد الرحمن لما أنكر على أبي شيبه القاص لما طلب من الحضور ختم المجلس بلعن علي بن أبي طالب عليه السلام اجتمع الناس وربطوا قدميه ويديه، وذهبوا به إلى هشام بن عبد الملك^(١).

ولما أنكر الشعبي - رحمه الله - على أحد القصاص قال له القاص: يا فاجر، إنما حدثني فلان عن فلان وتردّ علي!! ثم رفع نعله وضربه، فقتل الناس على ضربه^(٢).

(/) ()

(/) ()

. : ()

الفرع الرابع

خشية بعض العلماء من الإنكار على القصاص

أمام هذه الشهرة الكبيرة والحفاوة العظيمة للقصاص أثر فريق من العلماء السكوت عن الإنكار إثارة للعافية، وطلباً للسلامة، وخوفاً من سوء العواقب.

قال جعفر بن الحجاج المعضلي: ((قدم علينا في الموصل⁽¹⁾) محمد بن عامر السمرقندي وحدثنا بأحاديث منكرة، فاجتمع جماعة من الشيوخ وصرنا إليه لننكر عليه، فإذا هو في خلق من العامة، فلما بصر بنا من بعيد علم أننا جننا لننكر عليه، فقال: حدثنا قتيبة عن ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال: (القرآن كلام الله غير مخلوق)، فلم نجسر أن نقدم عليه خوفاً من العامة ورجعنا⁽²⁾).

(/) : .
(/) (/) (/) : (/)

- (/) (/) : -
(/) .

التمهيد

وفيه إجراءات الدراسة التحليلية

إجراءات الدراسة التحليلية:

بعد أن فرغتُ من الجانب النظري في الباب الأول أنتقل الآن إلى الباب الثاني وهو الجانب التحليلي وبما أن هذا البحث يهدف إلى دراسة مضامين قصص

القصاص اخترت طريقة العينة العشوائية المنتظمة، حيث بلغت القصاص (٢٠٣) قصة على النحو الآتي:

(٣٢) قصة في عهد الخلفاء الراشدين .

(٧٢) قصة في العهد الأموي .

(٩٩) قصة في العهد العباسي .

وتم تحليل محتواها وإجراء الدراسة عليها ، وقمتُ بتحديد فئات التحليل، وهي من أهم خطوات تحليل المحتوى باعتبارها نقطة تجمع يضع الباحث بها مادته؛ ليقوم بتحويلها إلى صياغة رقمية حتى يتمكن من عدّ الجوانب ذات الدلالة في المضمون وقياسها ومقارنتها. وفي ضوء التساؤلات قمتُ بتصميم استمارة، فبلغ إجمالي عدد الفئات الرئيسية في استمارة التحليل أربع فئات.

ثانياً: أسلوب القياس:

استخدام هذا الأسلوب يساعد في تحديد وحدات قصص القصاص وفئاتها كميًا، وتحويل المحتوى إلى أرقام وأعداد يمكن من خلالها الوصول إلى نتائج كمية تسهم بشكل كبير في تحقيق أهداف الدراسة والاستدلال عليها، وذلك من خلال استخدام وحدات القياس التي تتطلبها طبيعة الكمية لأسلوب تحليل المضمون. والقياس يعدّ من الخصائص الأساسية المميزة لتحليل المضمون حتى يمكن الوصول إلى الرصد الكمي لتكرارات الفئات المختلفة، الأمر الذي يتطلب تحديد وحدات القياس، وقد استخدمت عدداً من وحدات القياس تبعاً لطبيعة الفئات المستخدمة في التحليل على النحو الآتي:

١- المصادر:

المصادر جمع مصدر، و المصدر في اللغة يقوم على ثلاثة حروف أصول هي الصاد والادال والراء. قال ابن فارس: «إنهما أصلان صحيحان أحدهما يدل على خلاف الورد، والآخر صدر الإنسان وغيره فالأول قولهم: صدر عن الماء، وصدر عن البلاد، إذا كان وردها ثم شخص عنها»^(١) وقال الفيروز آبادي: «الصدر أول كل شيء»^(٢).

وفي الاصطلاح: هو كل وعاء يمكن الاستفادة منه سواء أكان مصدراً أصلياً أم فرعياً.

والمقصود بفئة المصادر؛ أي: الأوعية التي استفاد منها القصاص في قصصهم، واستقوا منها مواعظهم.

وتشتمل هذه المصادر

() (/) .

() (/)

١- القرآن الكريم: وهو كلام الله المنزل على محمد ﷺ بواسطة جبريل، الموجود بين دفتي المصحف^(١).

٢- السنة النبوية: وهي ما أثر عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته^(٢). وهذا هو تعريف المحدثين، وهو ما أريده هنا، وإلا فإن الفقهاء لهم تعريف آخر: فهم يطلقون السنة، ويريدون بها ما ثبت عنه ﷺ من حكم دون الفرض والواجب^(٣). كما أن السنة تطلق فيما يقابل البدعة، فتكون شاملة للدين سواء أكان اعتقاداً أم عملاً أم قولاً^(٤).

٣- الإسرائيليات: وهي: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل لقب لنبي الله يعقوب عليه السلام^(٥).

والمقصود بالإسرائيليات: ((هي القصص والأخبار والحكايات الدخيلة على تفسير القرآن الكريم والحديث، مصدرها أساطير قديمة منسوبة في أصل روايتها إلى مصدر يهودي أو نصراني أو غيرهما من الملل السابقة الأخرى))^(٦).

٤- أقوال الصحابة: والصحابي هو: ((من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام))^(٧) وأقوال الصحابة هي: ما أثر عن الصحابة في الاعتقاد أو التشريع أو الأخلاق أو غيرها.

(/) : ()

(/) : ()

(/) : ()

(/)

: ()

(/)

: ()

()

()

(/) .

٥- أقوال العباد وأفعالهم: أي ما ينقله القاص من أقوال أو أفعال عمن اشتهر بالعبادة والزهد .

٦- الكتب: والمراد بها كتب الأنبياء السابقين كالطورا والإنجيل، أو غير ذلك من كتب الحكم والمواعظ.

٧- الشعر: وهو ((الكلام الموزون المقفى))^(١) .

٨- الرؤى والمنامات: وهي ما يرى أثناء النوم^(٢) .

٩- قصص الغرائب: وهو ما يسوقه القاص من أحداث خارجة عن المعقول .

١٠- قصص الصوفية: ويُقصد به سرد القاص لأحداث معينة منسوبة لرجال الصوفية .

-

القضايا جمع مفرد لها قضية. وأصلها من مادة قضى المتعددة المعاني. فتأتي بمعنى أنهى، ومنه قوله تعالى: (پ پ پ پ) (١) أي أنهى، وتأتي بمعنى فرض، يقول تعالى: (ب ب ب ب ب ب ب ب) (٢). وتأتي بمعنى حكم، تقول: تخاصم رجلان وقضيت بينهما. وفي الاصطلاح القضية: هي المسألة التي يدور عليها البحث والحديث، وتشغل اهتمام الناس^(٣). وبمعنى آخر القضية: هي القواعد الكلية التي يندرج تحتها موضوعات متفرعة .

والمراد بها هنا: المسائل الكبرى التي أثارها القصاص في العهود الثلاثة . والقضايا التي ستخضع للدراسة والتحليل من قصص القصاص تنقسم إلى أربع قضايا رئيسة، هي:

١- قضايا العقيدة: والعقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد والربط والشد بقوة، ومنه الأحكام والإبرام، والتماسك والمراسة. يقال: عقد الحبل يعقده: شده، ويقال: عقد العهد والبيع: شده، وعقد الإزار: شده بإحكام، والعقد: ضد الحل^(٤) .

وفي الاصطلاح: تطلق العقيدة على الإيمان الجازم، والحكم القاطع الذي لا يتطرق إليه شك، وهي ما يؤمن به الإنسان، ويعقد عليه قلبه وضميره، ويتخذه

()

() : (/) ()

() ()

() ()

() : (/) ()

() : (/) () ()

مذهباً ودينياً يدين به؛ فإذا كان هذا الإيمان الجازم والحكم القاطع صحيحاً كانت العقيدة صحيحة، كاعتقاد أهل السنة والجماعة، وإن كان باطلاً كانت العقيدة باطلة كاعتقاد فرق الضلال^(١).

وعُرِّفت أيضاً بـ: ((الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين، وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح والتسليم لله-تعالى- في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع))^(٢).

٢- **القضايا التشريعية**: والتشريع لغة: مصدر شرَّع، أي سنَّ قانوناً وقواعد^(٣). وفي الاصطلاح: هو خطاب الله-تعالى-المتعلق بالعباد طلباً أو تخييراً أو وضعاً^(٤).

وهو ما شرع الله لعباده من الدين، أي سنَّه لهم وافترضه عليهم، يقال: "شرع لهم يشرع شرعاً فهو شارع، وقد شرع الله الدين شرعاً إذا أظهره وبينه، والشارع الطريق الأعظم، والشريعة مورد الإبل على الماء الجاري"^(٥).

والمقصود بالقضايا التشريعية: قضايا الفقه الإسلامي .

٣- **قضايا الأخلاق**: الأخلاق تعني في اللغة: الطباع والعادات، وكذلك الدين والمروءة. والأخلاق عند العلماء: هي الحالة الراسخة في النفس، والتي تشكل العامل الأساس للممارسات الحسنة والسيئة^(٦).

والقضايا الأخلاقية: هي من الأحكام الشرعية الفرعية المتصلة بأعمال القلب. وقد أُفرد لها علم خاص عُرف باسم الرقائق والأخلاق .

٤- **قضايا أخرى**: والمراد بها: كل ما عدا القضايا السابقة (العقيدة والشريعة والأخلاق). مثل: التوبة، والزهد، وشكر النعم .

() :

() .

() :

() :

(/)

(/) ()

()

٣- المدعو المستهدف

فئة المدعو المستهدف، وهم الذين توجه لهم القاصّ بقصصه ووعظه، وتشمل الفئات الآتية:

- ١- العامة: المراد بفئة العامة هم: "عموم المسلمين من غير الملأ" (١) وهم يشكلون السواد الأعظم من الناس في كل المجتمعات في العالم .
- ٢- الحكام : وهم كلّ من لهم ولاية على المسلمين من السلطان الأعظم، إلى الأمير، إلى جميع من لهم ولاية صغيرة أو كبيرة (٢).
- ٣- ذوو الهيئات: وهم من لهم المكانة الرفيعة والمنزلة العظيمة عند الولاية، أو عند الناس من العلماء والقضاة، ونحوهم .
- ٤- الأفراد: والأفراد جمع فرد. يقال: جاء القوم فرداً واحداً بعد واحد، أي: منفردين (٣).

وقد خصصتُ الأفراد بالذكر هنا؛ مع أنهم داخلون ضمناً في عامة الناس: لأن الفرد في الغالب توجه له موعظة خاصة بمفرده، ومراعاة حاله أثناء الموعظة والنصيحة، بعكس العامة فإن القاصص يكون في قضايا عامة، وفي مكان جامع.

٤- الخصائص

الخصائص: جمع خصيصة، وهي مصدر من: خَصَّ، يَخْصُّ، خَصّاً، وخصُوصاً وخصُوصيّة (٤).

()

: ()

(/) : ()

() : ()

وعند أهل الاختصاص يقصد بها: المظاهر العامة التي تميّز الأشياء، وتطرّد فيها، وتُطبع بطابعها^(١).

والمقصود بها هنا: السمات التي تميز أسلوب القصاص في كل حقبة زمنية من العهود الثلاثة وتشتمل على:

أ/ خصائص الأسلوب الدعوي، وهي:

١- الحكمة: الحكمة هنا تعني الحجة القطعية والدليل الصحيح^(٢).

٢- الترغيب والترهيب: والترغيب هو: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والثبات عليه.

والترهيب هو: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة، أو رفض الحق، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله^(٣).

٣- الحوار: هو الأخذ والردّ في الحديث، وهو المرادّة في الكلام، وتدويره بين اثنين فأكثر لا على سبيل المنازعة والمخاصمة^(٤).

ب/ خصائص الأسلوب اللغوي وهي:

١- الإيجاز: وهو أداء المعنى الكثير باللفظ القليل، من غير إخلال بالمعنى^(٥).

٢- التنوع: أي الحديث عن غالب القضايا، وتناول أكثر الموضوعات.

(١)

(٢)

(()):

(٥ ٤ ٣ ٢ ١ هـ هـ هـ هـ هـ)

"

" : :

((

()

()

()

٣-الوضوح: والمراد به عدم الحاجة إلى تبيين معنى شيء من الكلام، أو هو: ((بروز المعاني وعدم خفاء الأساليب والوسائل))^(١).

٤-السجع: هو تماثل الحروف في مقاطع الفصول، أو اتفاق فواصل الجمل على حرف واحد^(٢).

٥-الأمثال: وهو عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابهة، ليبين أحدهما الآخر ويصوره^(٣).

٦-القَسَم: الحلف واليمين، بمعنى ((الحلف على الأمر المهم توكيداً، وإن لم يكن هناك مستحلف))^(٤).

٧-الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وذلك بأداة من أدواته^(٥)، وتخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام كالنفي، والإنكار، والتوبيخ، والتشويق، والتحقير، وغير ذلك^(٦).

٨-التشبيه: وهو الدلالة على اشتراك شيئين أو أكثر في صفة من الصفات أو أكثر^(٧).

ثالثاً: إجراءات الصدق والثبات:

أ-الصدق هنا: صلاحية الأسلوب أو الأداة لقياس ما هو مراد قياسه، أو بمعنى آخر هو صلاحية أداة البحث-وهي الاستمارة^(٨)-في تحقيق أهداف الدراسة

()

(/)

: ()

: ()

(/) ()

: ()

: ()

(/) () : ()

()

،وبالتالي ارتفاع مستوى الثقة فيما توصل إليه الباحث من نتائج؛ بحيث يمكن الانتقال منها على التعميم^(١).

وقد قمتُ بإجراء اختبار الصدق وفق الإجراءات الآتية:

١- عرضتُ الاستمارة على عدد من المحكمين والخبراء والمختصين؛ وذلك للنظر في محتوى الاستمارة، وقدرتها على قياس وتحليل قصص القصص. وقد كانت لهؤلاء المحكمين بعض التعديلات على محتوى الاستمارة، حرصتُ على أخذها بالاعتبار .

٢- قمتُ بالتعريف بالمصطلحات المستخدمة في الدراسة تعريفاً إجرائياً، ووضع مفاهيم عامة محددة لكل فئة تكون أساساً للقياس .

ب- الثبات: والمراد به هنا ضرورة وصول أي باحث وفي أي زمن لنفس النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة وذلك إذا استخدم نفس الأسس والأساليب مع نفس المادة الدعوية وإذا ما توافرت له نفس الظروف والفئات والوحدات التحليلية والعينة المختارة^(٢).

() :

() :



الفصل الأول

الدراسة التحليلية

لأساليب القصاص في

عهد الخلفاء الراشدين

:

المبحث الأول: مصادر الاستشهاد في أساليب القصاص

المبحث الثاني: القضايا الرئيسية في أساليب القصاص

المبحث الثالث: أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصاص

المبحث الرابع: خصائص أساليب القصاص

وبآية واحدة من حيث عدد الآيات، إذ أيد ذلك ٩ قصص من عينة الدراسة وبنسبة قدرها (٢٨٪) وكانت طريقة الاستدلال من خلال النص هي الأكثر، إذ أيد ذلك ٩ قصص وبنسبة (٢٨٪). ثم مصدر الإسرائيليات كمصدر ثالث من مصادر الاستشهاد وبنسبة قدرها (٢١,٩٪)، ثم الاستشهاد بكتب الأنبياء كمصدر رابع وجاء ذلك بنسبة (٩٪).

المبحث الثاني

القضايا الرئيسية في أساليب القصص

ويوضح الجدول رقم (٢) محتوى قصص القصص في عهد الخلفاء الراشدين بخصوص القضايا الرئيسية والتي تشمل قضايا العقيدة والتشريع وقضايا الأخلاق وقضايا أخرى.

جدول (٢)
محتوى قصص القصص للقضايا الرئيسية

		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-
		:	-

وتدل نتائج الجدول السابق على أن نسب قضايا العقيدة والتي تتعلق بقضايا الإيمان جاءت في الترتيب الأول وخاصة من حيث الإيمان بالله واليوم الآخر، حيث جاءت نسبة الإيمان باليوم الآخر (٢٨٪) في حين جاءت نسبة الإيمان بالله (١٦٪)، ولم تذكر أي إجابات تتعلق بالإيمان بالملائكة والكتب والرسول والقدر، وكذلك لم تذكر أي إجابات تتعلق بالشركيات والبدع. أما في قضايا التشريع جاءت الصلاة من حيث أركان الإسلام العملية بأعلى نسبة (٩٪) ثم عبادة الصوم (٣٪)، ولم تذكر أي إجابات تتعلق بالزكاة والحج، ثم تساوت نسبة الجهاد مع الصوم كعبادة تطوعية (٩٪) ثم قيام الليل والصدقة وذلك بنسبة (٦،٢٥٪) ولم تذكر أي إجابات تتعلق بالصلاة على

الجنائز. وفيما يتعلق بقضايا الأخلاق، تبين النتائج أن هناك قضايا تتعلق بالصبر والعدل وذلك بنسبة (٣٪) ولم تذكر أي إجابات عن قضايا تتعلق بالقناعة والمبادرة وأدب الحوار والقوة الحسنة. أما القضايا الأخرى فهناك ما يتعلق بالتوبة بنسبة (٩, ٢١٪) ثم قضايا تتعلق بالحث على العلم وصفة العلماء بنسبة (٩٪) ونفس النسبة لقضايا تتعلق بفضل الشام، ثم قضايا تتعلق بفضل النعم وشكرها بنسبة (٦, ٢٥٪)، ولم يذكر ما يتعلق بقضايا الزهد .

المبحث الثالث

أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصاص

ويوضح الجدول رقم (٣) محتوى قصص القصاص فيما يتعلق بأصناف المدعو المستهدف في أساليب القصاص.

جدول (٣)

محتوى قصص القصاص لأصناف المدعو

وتبين نتائج الجدول السابق أن إجابات عينة الدراسة تناولت فقط العامة والحاكم كأصناف للمدعو المستهدف في أساليب القصاص، ولم يذكر أي صنف من ذوي الهيئات من الوزراء والعلماء والقضاة وكذلك من الأفراد من الزوجة والأخ والجار والصديق والغني. وقد جاءت نسبة العامة كصنف مستهدف في أساليب القصاص بأعلى نسبة (٦, ٩٠٪) ، بينما جاءت نسبة استهداف الحاكم بنسبة (٩٪) .

المبحث الرابع

خصائص أساليب القصص

يوضح الجدول رقم (٤) محتوى قصص القصص فيما يتعلق بخصائص أساليب القصص .

جدول (٤)

محتوى خصائص أساليب قصص القصص

		-	:
		-	
		-	
		-	:
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	

وتبين نتائج الجدول السابق من خلال إجابات عينة الدراسة أن خصائص الأسلوب الدعوي للقصص في عهد الخلفاء الراشدين جاءت بأعلى نسبة لخاصية الترغيب والترهيب يليها خاصية الحكمة ثم الحوار ، إذ بلغت نسبة

التأييد على وصف أسلوب القصص بالترغيب والترهيب (٧٥٪) ثم الحكمة بنسبة (٥٣٪) ثم الحوار و بنسبة (١٦٪).
أما خصائص الأسلوب اللغوي للقصص في عهد الخلفاء الراشدين قد تميزت على الترتيب بالوضوح بنسبة (٥٣٪) والتشبيه بنسبة (١٨,٧٥٪) ثم الاستفهام بنسبة (٩٪) ثم القسم بنسبة (٦,٢٥٪) ثم الإيجاز والأمثال بنسب ضئيلة لم تتجاوز نسبة ذلك (٣٪) . ولم يتصف الأسلوب اللغوي بالسجع .

الفصل الثاني

الدراسة التحليلية

لأساليب القصص في

العهد الأموي

:

المبحث الأول: مصادر الاستشهاد في أساليب القصص

المبحث الثاني: القضايا الرئيسية في أساليب القصص

المبحث الثالث: أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصص

المبحث الرابع: خصائص أساليب القصص

المبحث الأول

مصادر الاستشهاد في أساليب القصص

تم توزيع استمارة تحليل محتوى قصص القصص في العهد الأموي على ٧٢ قصة، ويوضح الجدول التالي محتوى قصص القصص لمصادر الاستشهاد.

()

			:	-
,			:	
			:	
,			:	
,			:	
,			:	
,			:	
,			:	-
,			:	
,			:	
,			:	
,			:	-

مناقشة أهم النتائج في عهد الخلفاء الراشدين وتقويمها

			-
		:	-
		:	-
			-
		:	-
		:	-

وتبين نتائج الجدول السابق أن مصادر الاستشهاد في العهد الأموي جاءت من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأقوال الصحابة والكتب ولكن بدون تحديد وأقوال العباد وأفعالهم والإسرائيليات والشعر بأكثر من بيت وقصص الصوفية والرؤى والمنامات . وجاء القرآن الكريم بأعلى نسبة مصدر استشهاد وبآية واحدة ، إذ أيد ذلك ١٤ من عينة الدراسة ونسبة (١٩,٤٪) ، وكانت طريقة الاستدلال من خلال النص هي الأكثر، إذ أيد ذلك بنسبة (١٢,٥٪) . ثم جاء الاستشهاد من خلال أقوال العباد وأفعالهم و الإسرائيليات كمصدر ثان وبنسب متساوية قدرها (١٨٪) ، ثم الاستشهاد بأقوال الصحابة والكتب ولكنها بدون تحديد وذلك بنسبة (٨,٣٪) ، ثم الاستشهاد عن طريق السنة النبوية وبأحاديث غالبيتها صحيحة وبنسبة (٦,٩٪) كما أن غالبيتها نصية من حيث طريقة الاستدلال .

المبحث الثاني

القضايا الرئيسية في أساليب القصاص

يوضح الجدول رقم (٦) محتوى قصص القصاص في العهد الأموي بخصوص القضايا الرئيسية والتي تشمل قضايا العقيدة والتشريع وقضايا الأخلاق وقضايا أخرى

()

			- :	- :
,				
,				
,			- :	
,				- :
,				
,				
,			- :	
,			- :	
,				
,				
,				- :
,				
,				
,				
,				

			- :

تدل نتائج الجدول السابق على أن نسب قضايا العقيدة والتي تتعلق بقضايا الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة جاءت في الترتيب الأول وخاصة الإيمان باليوم الآخر بنسبة (٣٣,٣٪) ثم الإيمان بالله وبنسبة (٢٥٪) ثم الإيمان بالملائكة وبنسبة (٦,٩٪) ، ولم تذكر أي إجابات تتعلق بالإيمان بالكتب والرسل والقدر، ثم جاءت الشركيات والبدع بنسبة (٢,٧٪) .

وفي قضايا التشريع جاءت الصلاة من أركان الإسلام العملية بأعلى نسبة (٩,٧٪) ثم تساوت نسب عبادات الصوم و الزكاة والحج وبنسبة (١,٤٪) ، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بنسبة (٩,٧٪) ثم جاءت نسبة الجهاد (٢,٨٪) ، وتساوت نسب العبادات التطوعية من الصوم و قيام الليل (٥,٦٪) ، ولم تذكر أي إجابات تتعلق بالصدقة والصلاة على الجنائز .
وفيما يتعلق بقضايا الأخلاق، تبين النتائج أن أعلى نسبة كانت تتعلق بالقدوة الحسنة (١١,١٪) ثم قضايا تتعلق بالعدل وأدب الحوار والقناعة ثم الصبر .
إضافة إلى وجود قضايا أخرى تتعلق بالزهد وبنسبة (١٦,٧٪) ثم قضايا تتعلق بالتوبة وبنسبة (١٣,٨٪) ، ولم يذكر ما يتعلق بقضايا شكر النعم وفضل الشام والحث على العلم وصفة العلماء .

المبحث الثالث

أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصص

يوضح الجدول رقم (٧) محتوى قصص القصص فيما يتعلق بأصناف المدعو المستهدف في أساليب القصص.

جدول (٧)

محتوى قصص القصاص لأصناف المدعو المستهدف

			:
			:

وتبين نتائج الجدول السابق أن إجابات عينة الدراسة تناولت العامة كصنف أساس للمدعو المستهدف في أساليب القصاص، إذ أيدت عينة الدراسة ذلك بنسبة (٩١,٧٧٪)، كما كان الحاكم المدعو الثاني المستهدف في أساليب القصاص وبنسبة (٤٪)، ومن ذوي الهيئات العالم والوزير وكذلك الزوجة والجار من الأفراد وبنسبة ضعيفة قدرها (١,٤٪).

المبحث الرابع

خصائص أساليب القصاص

يوضح الجدول رقم (٨) محتوى قصص القصاص فيما يتعلق بخصائص أساليب القصاص .

جدول (٨)

محتوى خصائص أساليب قصص القصاص

		-	:
			-

		-	
		-	
		-	:
		-	
		-	
		-	

وتبين نتائج الجدول السابق من خلال إجابات عينة الدراسة أن خصائص الأسلوب الدعوي للقصاص في العهد الأموي جاءت بأعلى نسبة لخاصية الترغيب والترهيب يليها خاصية الحكمة ثم الحوار ، إذ بلغت نسبة التأييد على وصف أسلوب القصاص بالترغيب والترهيب (٦٠,٩٪) ثم الحكمة بنسبة (١٩,٤٪) ثم الحوار و بنسبة (١٦,٧٪). أما خصائص الأسلوب اللغوي للقصاص في العهد الأموي قد تميزت على الترتيب بالاستفهام والتنوع بنسبة (١٥,٦٪) ثم التشبيه (بنسبة ٥,٦٪) ثم الوضوح (١,٤٪). ولم يتصف الأسلوب اللغوي بالقسم والسجع والإيجاز .

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية

لأساليب القصاص في

العهد العباسي

المبحث الأول: مصادر الاستشهاد في أساليب القصص

المبحث الثاني: القضايا الرئيسية في أساليب القصص

المبحث الثالث: أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصص

المبحث الرابع: خصائص أساليب القصص

المبحث الأول

مصادر الاستشهاد في أساليب القصص

تم توزيع استمارة تحليل محتوى قصص القصص في العهد العباسي على ٩٩ قصة ويوضح الجدول التالي محتوى مصادر الاستشهاد عند القصص .

جدول (٩)

محتوى قصص القصص لمصادر الاستشهاد

			-	:
			-	:

			- :	
			- :	- :
				- :
			- :	- :
				- :
				- :
			- :	- :
			- :	- :
				- :
				- :

وتبين نتائج الجدول السابق أن مصادر الاستشهاد في العهد العباسي جاءت من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال الصحابة وكتب الأنبياء وأقوال العباد وأفعالهم وقصص الغرائب والشعر وقصص الصوفية والرؤى والمنامات. وبالترتيب جاءت القصص الصوفية بأعلى نسبة كمصدر للاستشهاد (١٨٪)، ثم السنة النبوية المطهرة و بأحاديث غالبيتها موضوعة و قصص الغرائب والرؤى والمنامات في المرتبة الثانية بنسبة (١٤٪)، ثم القرآن الكريم في المرتبة الثالثة وبنسبة (١١,١١٪) في حالة عدد الآيات آية واحدة ، وبنسبة (٤٪) حالة عدد الآيات أكثر من آية ، وكانت طريقة الاستدلال من خلال النص هي الأكثر، إذ أيد ذلك بنسبة (١٠٪). ثم جاء الاستشهاد من خلال الشعر في المرتبة الرابعة وكانت النسبة (٩٪) حالة الشعر بأكثر من بيت ، والنسبة (٦٪) حالة الشعر ببيت واحد. كذلك جاءت أقوال العباد وأفعالهم كمصدر خامس للاستشهاد وبنسبة (٧٪)، ثم الاستشهاد بأقوال الصحابة وكتب الأنبياء وذلك بنسبة ضعيفة بلغت (١٪) .

المبحث الثاني

القضايا الرئيسية في أساليب القصاص

ويوضح الجدول (١٠) محتوى قصص القصاص في العهد الأموي بخصوص القضايا الرئيسية والتي تشمل قضايا العقيدة والتشريع وقضايا الأخلاق وقضايا أخرى .
()

		- :	- :
		- :	- :
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	

		-	
		-	-
		-	
		-	
		-	

وتدل نتائج الجدول السابق على أن نسب قضايا العقيدة والتي تتعلق بقضايا الإيمان بالله واليوم الآخر جاءت في الترتيب الأول وخاصة الإيمان باليوم الآخر بنسبة (٢٩٪)، بينما جاءت نسبة الإيمان بالله (١٧٪) والإيمان بالكتب والقدر بنسبة (١٪)، ولم تذكر أي إجابات تتعلق بالإيمان بالملائكة والرسول. كذلك لم تذكر أي إجابات تتعلق بأركان الإسلام العملية. وفي قضايا التشريع جاءت العبادة التطوعية لقيام الليل بنسبة (١٠٪)، والصدقة بنسبة (٤٪) والصلاة على الجنائز والصوم بنسبة (٢٪). وفيما يتعلق بقضايا الأخلاق، تبين النتائج أن أعلى نسبة كانت تتعلق بالمبادرة بنسبة (١١٪) ثم قضايا تتعلق بالصبر بنسبة (٥٪) وقضايا تتعلق بالقناعة بنسبة (٤٪) ثم القدوة والعدل بنسبة (٢٪) ثم أدب الحوار بنسبة (١٪).

إضافة إلى وجود قضايا أخرى تتعلق بالزهد بنسبة (١٧٪) ثم التوبة بنسبة (١٤٪)، ثم الحث على العلم وصفة العلماء بنسبة (٩٪) ثم فضل النعم والحث على شكرها بنسبة (٧٪).

المبحث الثالث

أصناف المدعو المستهدف في أساليب القصاص

يوضح الجدول رقم (١١) محتوى قصص القصاص فيما يتعلق بأصناف المدعو المستهدف في أساليب القصاص.

جدول (١١)

محتوى قصص القصاص لأصناف المدعو المستهدف

			:
			:

وتبين نتائج الجدول السابق أن إجابات عينة الدراسة تناولت العامة كصنف أساس للمدعو المستهدف في أساليب القصاص، إذ أيدت عينة الدراسة ذلك بنسبة (٦٢٪)، كما كان الحاكم المدعو الثاني المستهدف في أساليب القصاص بنسبة (٩٪)، ومن ذوي الهيئات الوزير والقاضي بنسبة (٢٪) و (١٪) على الترتيب، وكذلك المدعو من الأفراد جاء الصديق بأعلى نسبة قدرها (١٠٪) ثم نسبة الفرد الغير محدد بنسبة (٨٪) ثم الابن والمريض بنسبة (٢٪) ثم الأخ والغني بنسبة ضعيفة قدرها (١٪). ولم تذكر إجابات تتعلق بالزوجة والجار.

المبحث الرابع

خصائص أساليب القصص

يوضح الجدول رقم (١٢) محتوى قصص القصص فيما يتعلق بخصائص أساليب القصص .

جدول (١٢)
محتوى خصائص أساليب قصص القصص

		-	:
		-	
		-	
		-	:
		-	
		-	
		-	
		-	
		-	

وتبين نتائج الجدول السابق من خلال إجابات عينة الدراسة أن خصائص الأسلوب الدعوي للقصص في العهد العباسي جاءت بأعلى نسبة لخاصية الترغيب والترهيب يليها خاصية الحوار ثم الحكمة ، إذ بلغت نسبة التأييد على وصف أسلوب القصص بالترغيب والترهيب (٥٣٪) ثم الحوار بنسبة (١٦٪) ثم الحكمة وبنسبة (١١٪).

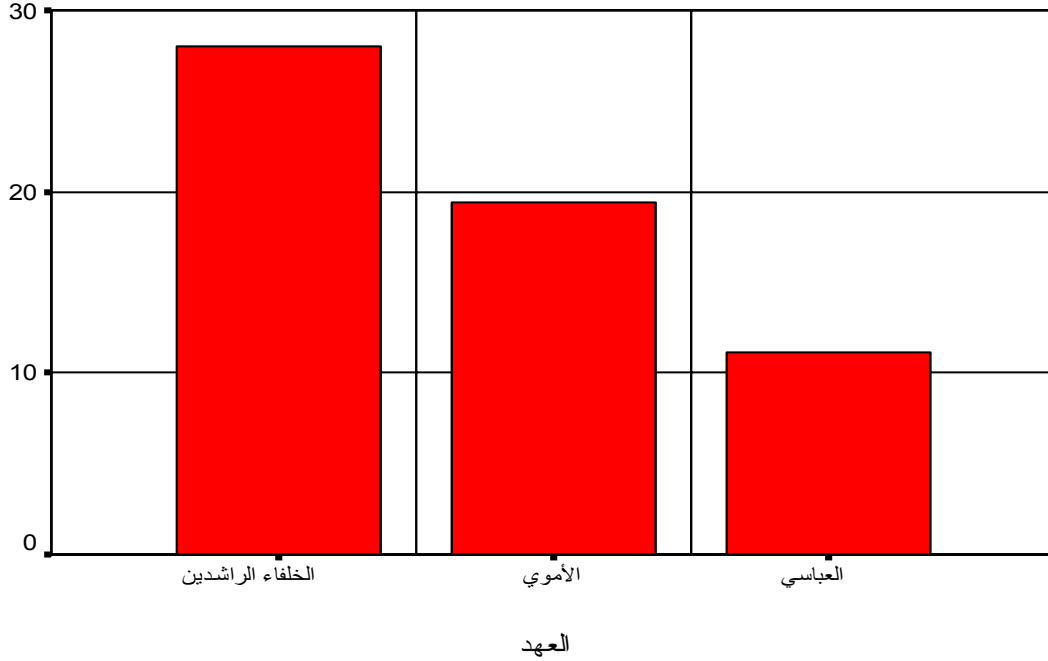
أما خصائص الأسلوب اللغوي للقصص في العهد العباسي قد تميزت على الترتيب بالسجع بنسبة (٢٢٪) والاستفهام بنسبة (٨٪) ثم الإيجاز بنسبة (٧٪)، ثم الوضوح والتشبيه بنسبة (٤٪) ولم يتصف الأسلوب اللغوي بالقسم .

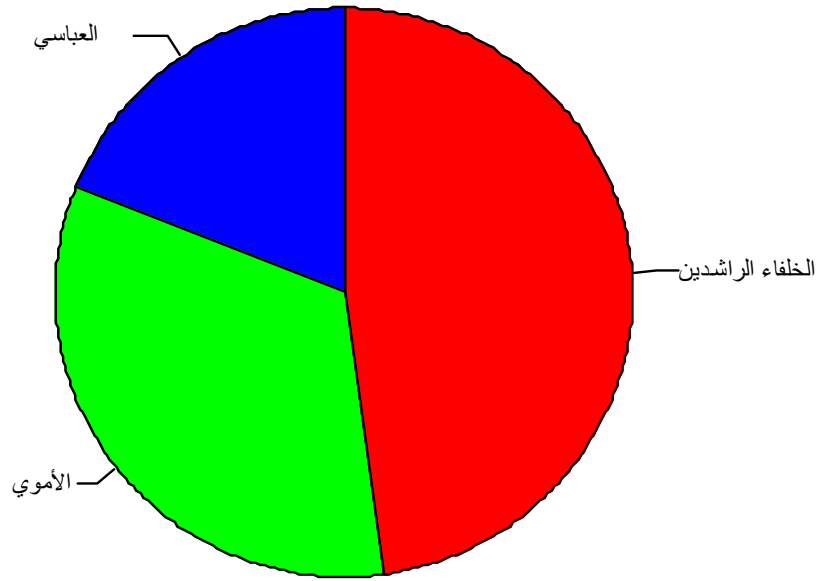
المبحث الأول: مقارنة بين العصور الثلاثة

تعتمد العصور الثلاثة على القرآن الكريم كمصدر للاستشهاد وبآية واحدة أو أكثر من آية، ويتميز عهد الخلفاء الراشدين عن غيره من العهود بأعلى

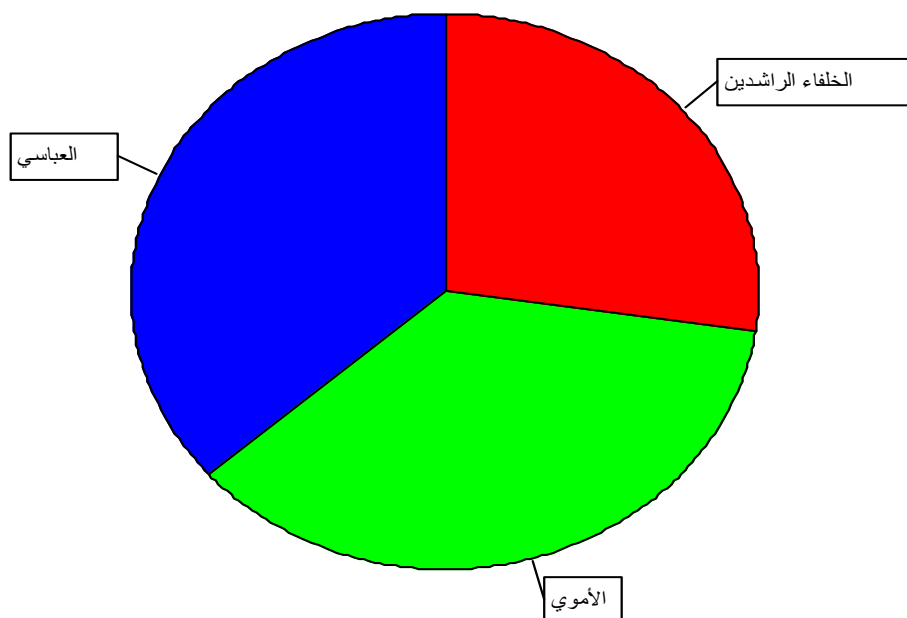
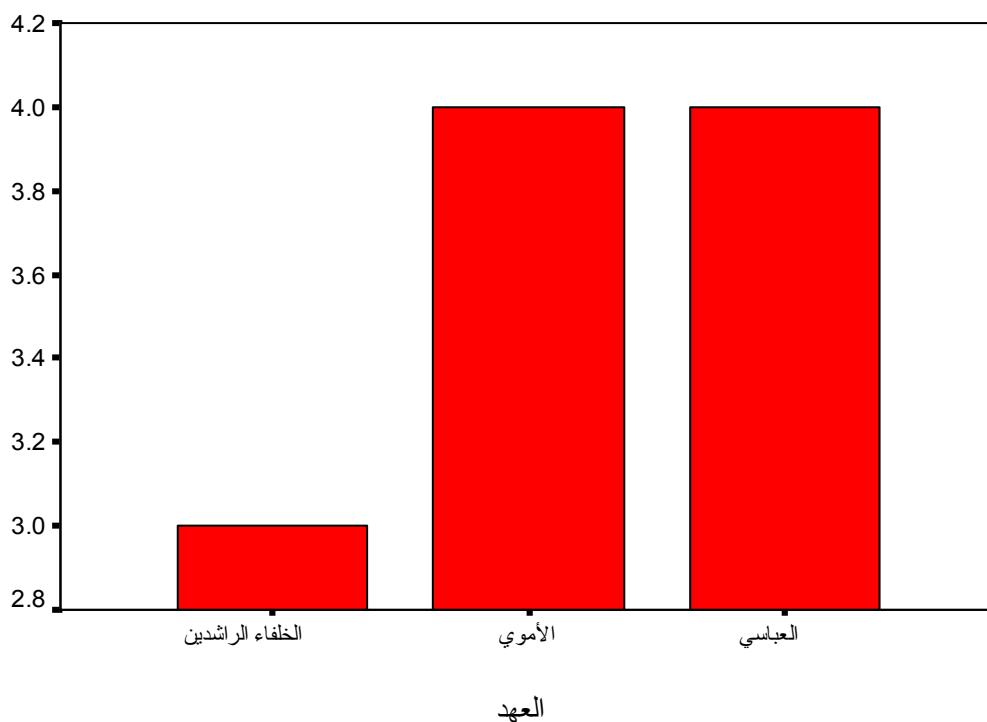
النسب (٢٨٪) يليه العهد الأموي ثم العباسي وذلك في حالة آية واحدة، بينما كانت النسبة أكبر في العهد الأموي والعباسي عن عهد الخلفاء الراشدين في حالة عدد الآيات أكثر من آية، ويتضح ذلك من خلال الرسوم البيانية التالية باستخدام طريقتي الأعمدة و الدائرة لكل حالة :

شكل (١): القرآن كمصدر للاستشهاد في العهود الثلاثة وبآية واحدة



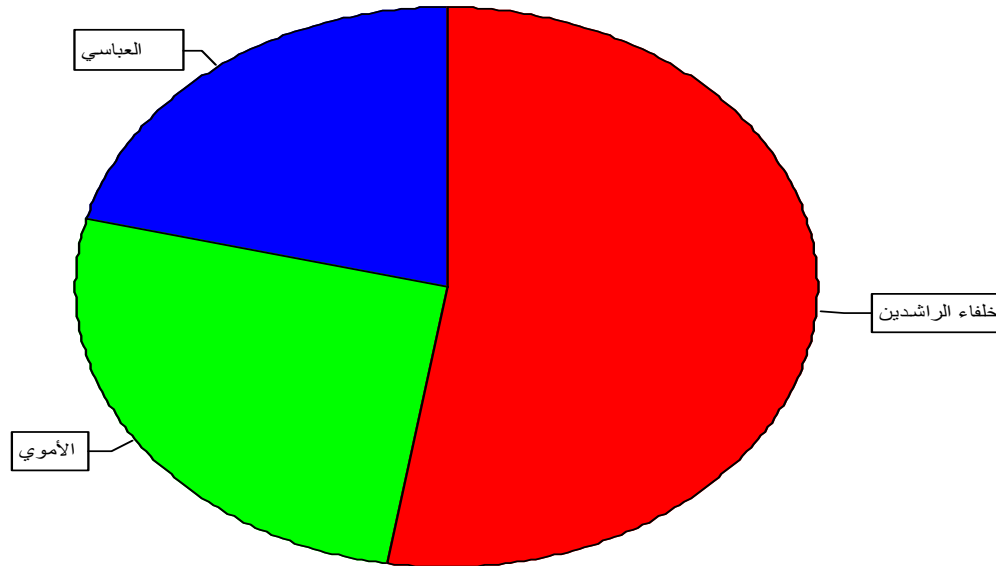
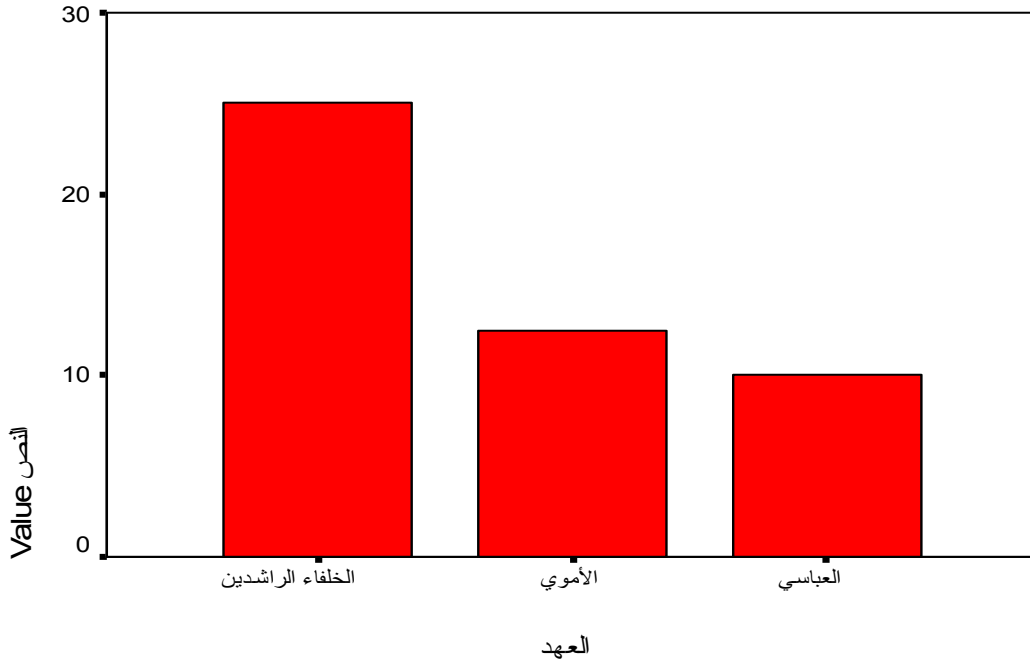


شكل (٢): القرآن كمصدر للاستشهاد في العهود الثلاثة وبأكثر من آية

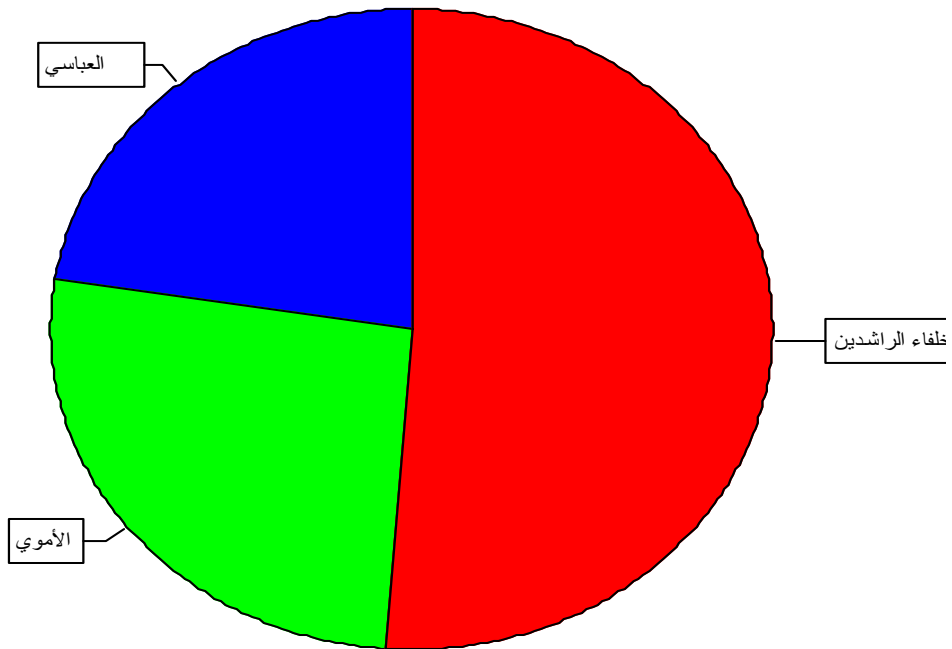
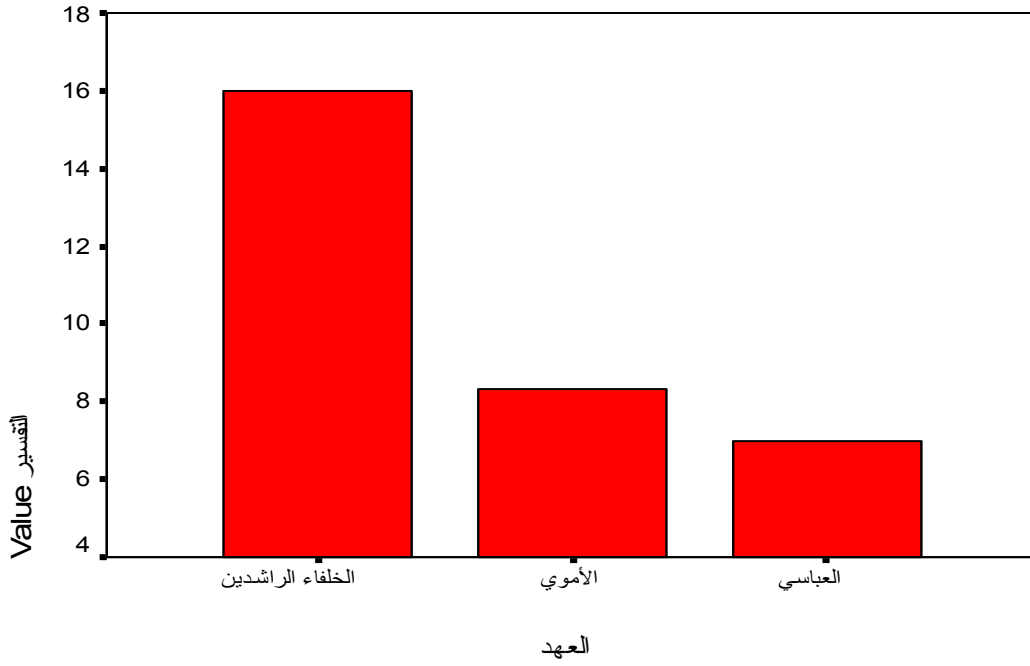


بينما اتفق العصور الثلاثة على أن أعلى طريقة للاستدلال كانت النص ، وان كانت أعلى في عهد الخلفاء الراشدين. كما أن بيان المعنى كان غالبية من خلال تفسير الآية، وكانت هذه النسبة أعلى أيضا في عهد الخلفاء الراشدين يليه العهد الأموي ثم العهد العباسي ، كما يتضح من خلال الرسوم البيانية التالية :

شكل (٣): طريقة الاستدلال عن طريق النص في العهود الثلاثة

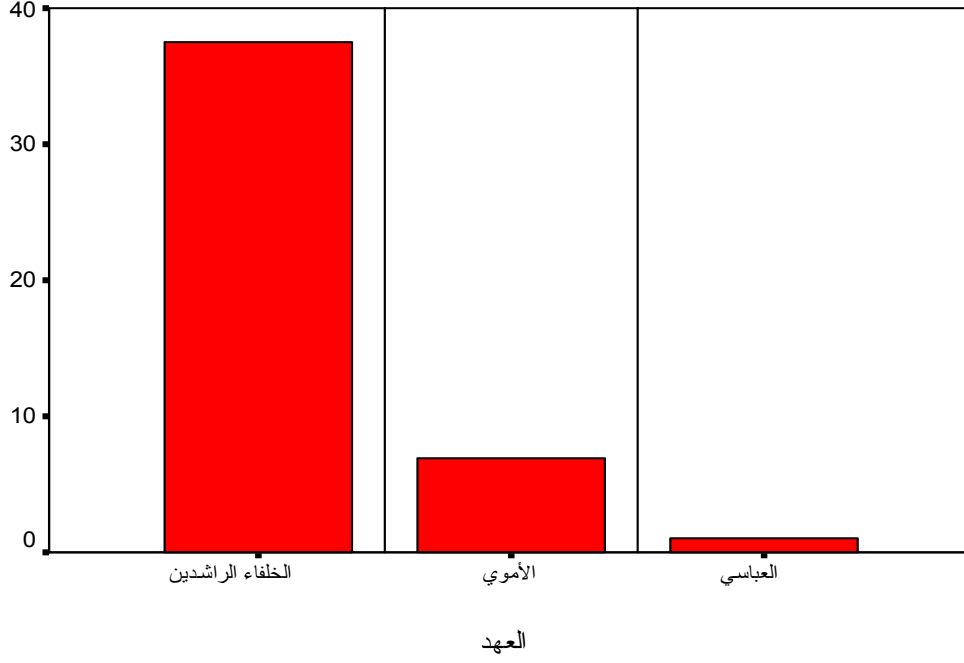


شكل (٤): بيان المعنى عن طريق تفسير الآية في العهود الثلاثة



بالنسبة للسنة النبوية كانت بنسبة أعلى في عهد الخلفاء الراشدين ثم العهد الأموي فالعباسي كما توضحه الرسوم التالية :

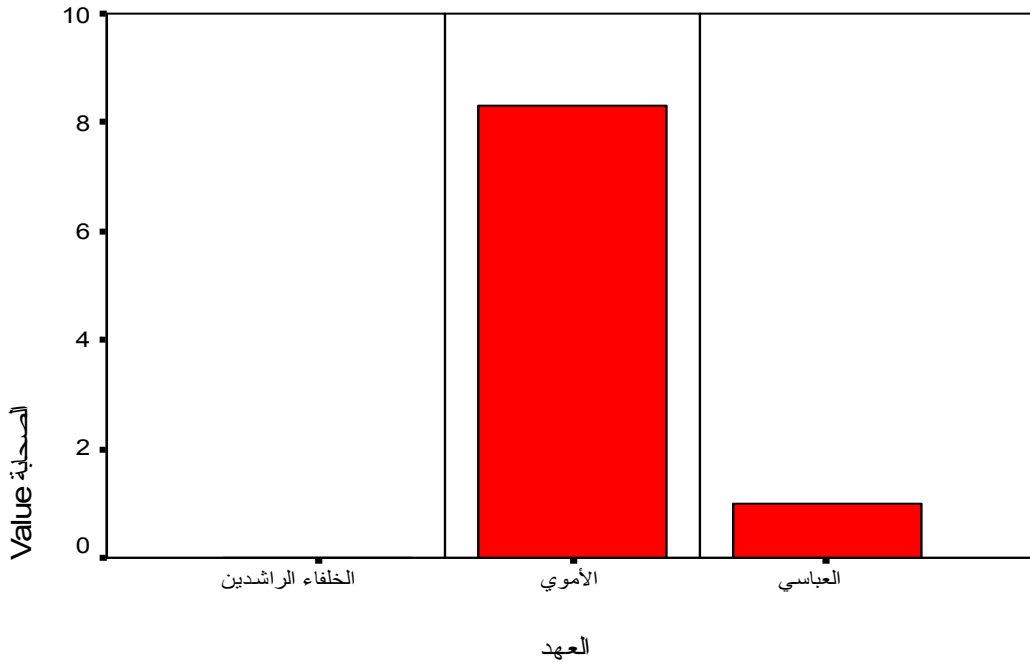
شكل (٥) : السنة كمصدر للإستشهاد في العهود الثلاثة



وقد كان الاستشهاد بالسنة النبوية بأحاديث صحيحة من حيث القبول والرد في عهد الخلفاء الراشدين و العهد الأموي، بينما كانت النسبة الغالبة في العهد العباسي للأحاديث الموضوعة، ولم تذكر أي طريقة للاستدلال للسنة النبوية في العهد العباسي، وان كانت في عهد الخلفاء الراشدين أميل للاقتباس بينما كانت نصية في العهد الأموي .

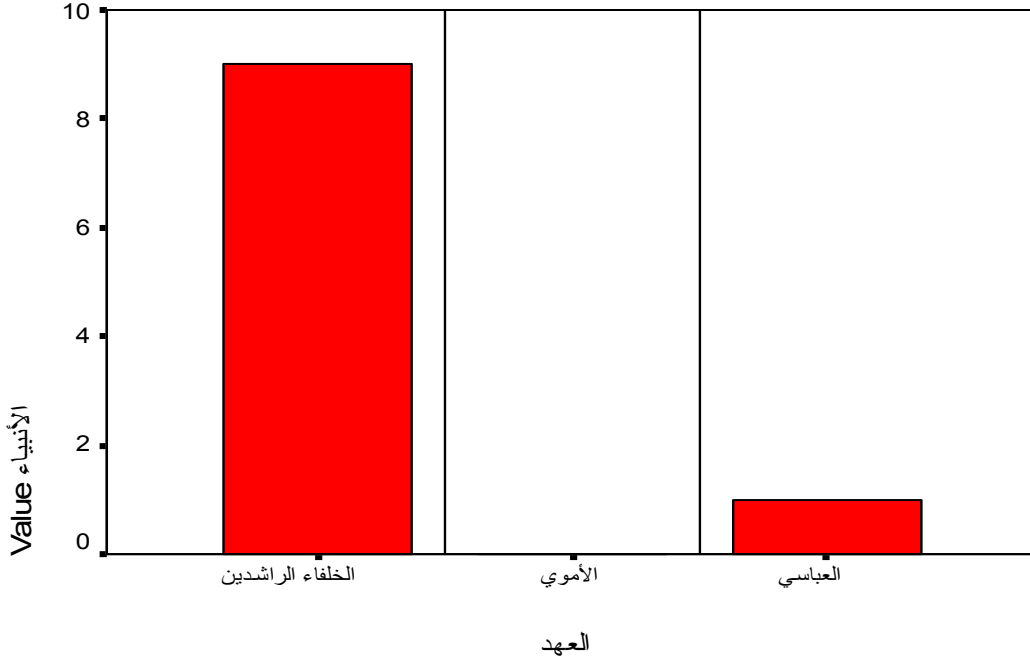
ولم تذكر أي إجابات للاستشهاد بأقوال الصحابة في عهد الخلفاء الراشدين ، بينما كانت في العهد الأموي أعلى من العهد العباسي كما يوضحه الرسم التالي بطريقة الأعمدة:

شكل (٦): أقوال الصحابة كمصدر للاستشهاد



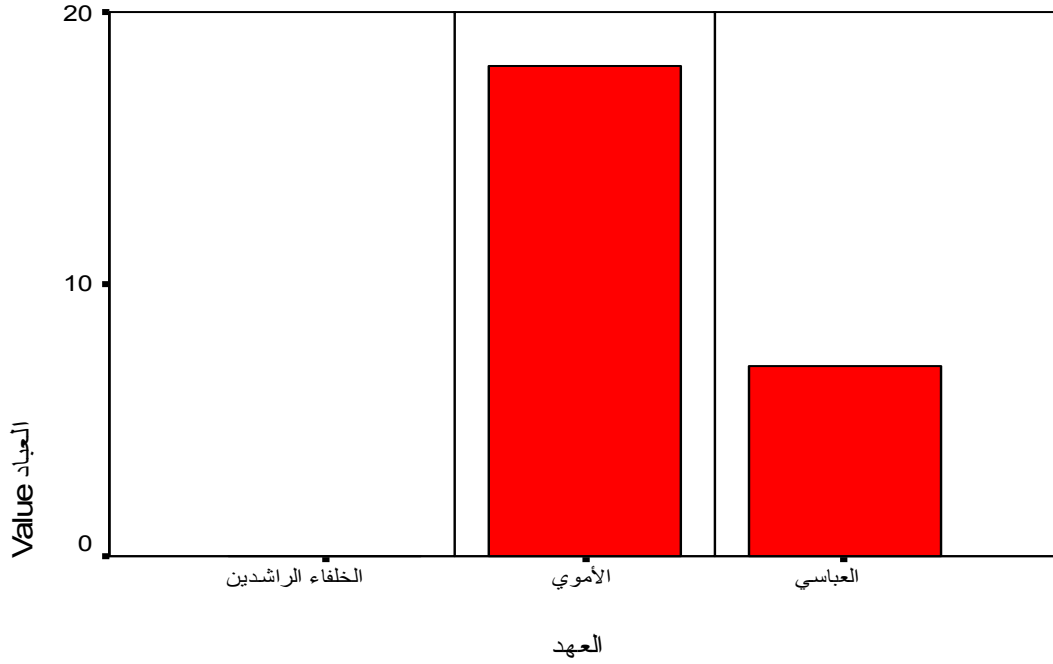
أما الاستشهاد بالكتب كمصدر للاستشهاد، فكانت النسبة أعلى في العهد الأموي ولكن بدون تحديد، بينما كانت في عهد الخلفاء الراشدين والعهد العباسي محددة بكتب الأنبياء وإن كانت بنسبة أعلى في عهد الخلفاء الراشدين كما في الرسم التالي :

شكل (٧): كتب الأنبياء كمصدر للاستشهاد



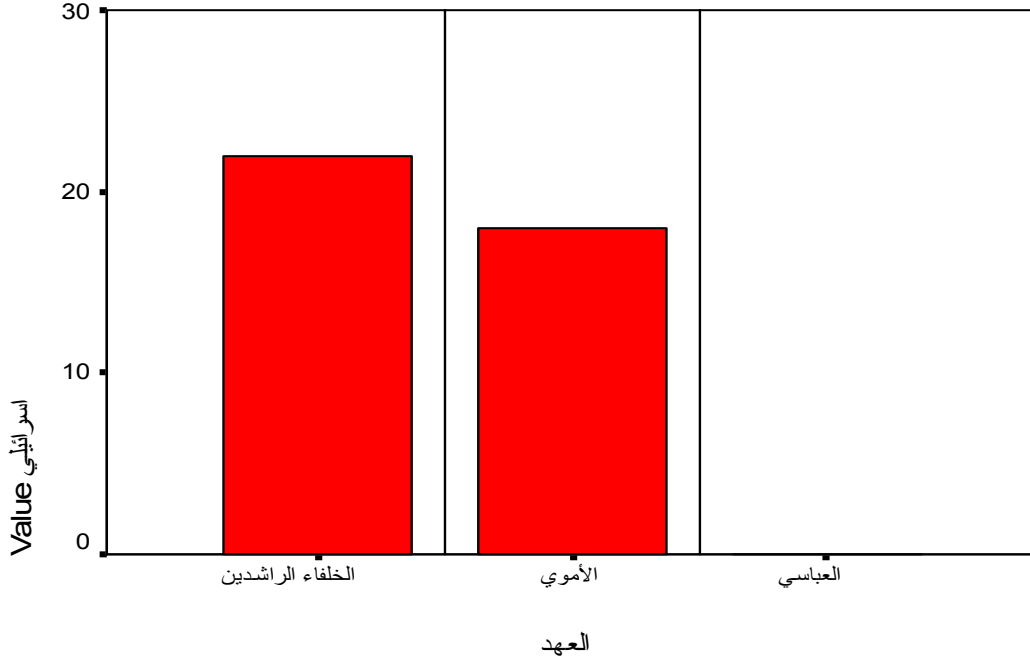
كذلك تميزت نسبة أقوال العباد وأفعالهم بأنها الأعلى في العهد الأموي ثم العهد العباسي كما في الرسم التالي :

شكل (٨): أقوال العباد كمصدر للاستشهاد



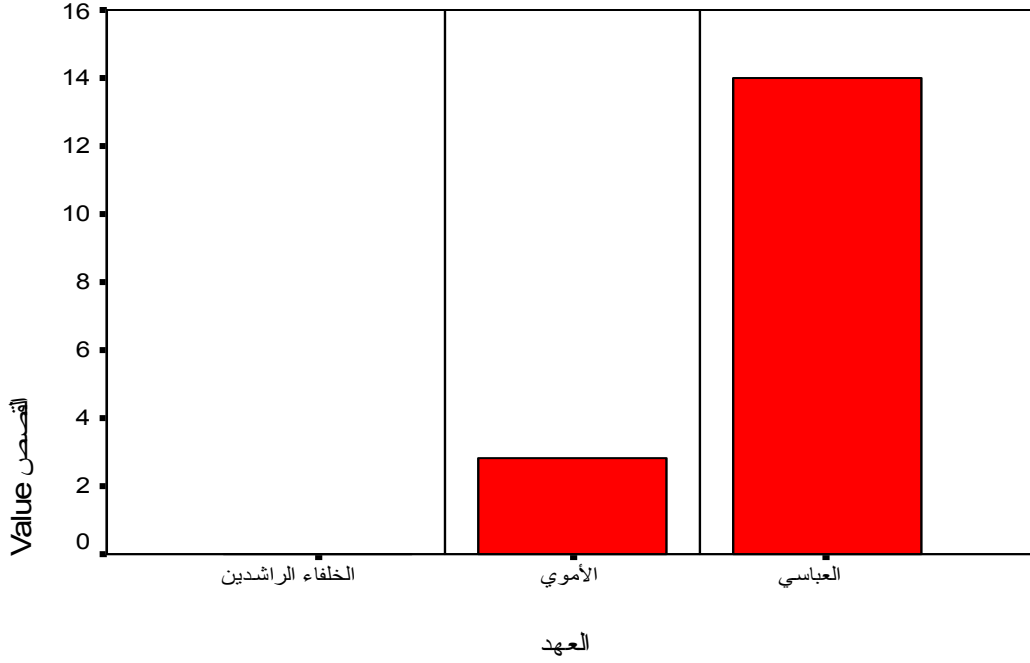
بينما كانت نسبة الإسرائيليات أعلى في عهد الخلفاء الراشدين عن العهد الأموي ، ولم تذكر في العهد العباسي كما في الرسم التالي :

شكل (٩): الإسرائيليات كمصدر للاستشهاد



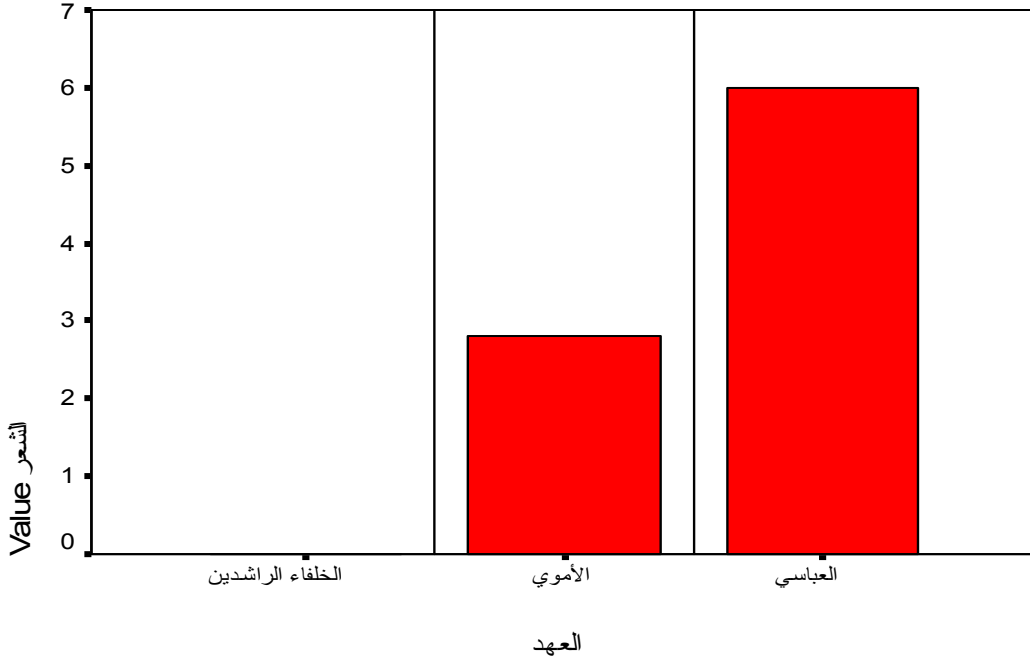
وكانت نسبة الاستشهاد بالقصص الصوفية في العهد العباسي أعلى من العهد الأموي ولم تذكر كمصدر للاستشهاد في عهد الخلفاء الراشدين كما في الرسم التالي بطريقة الأعمدة :

شكل (١٠): القصص الصوفية كمصدر للاستشهاد



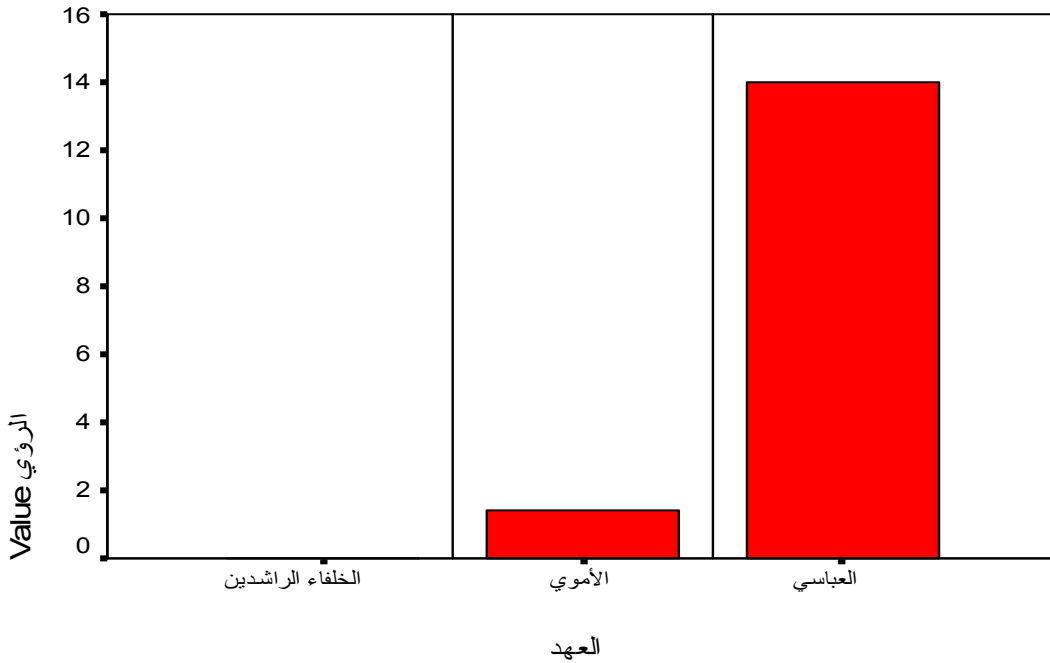
وكانت نسبة الشعر بأكثر من بيت كمصدر للاستشهاد في العهد العباسي أعلى منها في العهد الأموي ، ولم يذكر هذا المصدر في عهد الخلفاء الراشدين كما يوضحه الرسم التالي بطريقة الأعمدة :

شكل (١١):الشعر كمصدر للاستشهاد



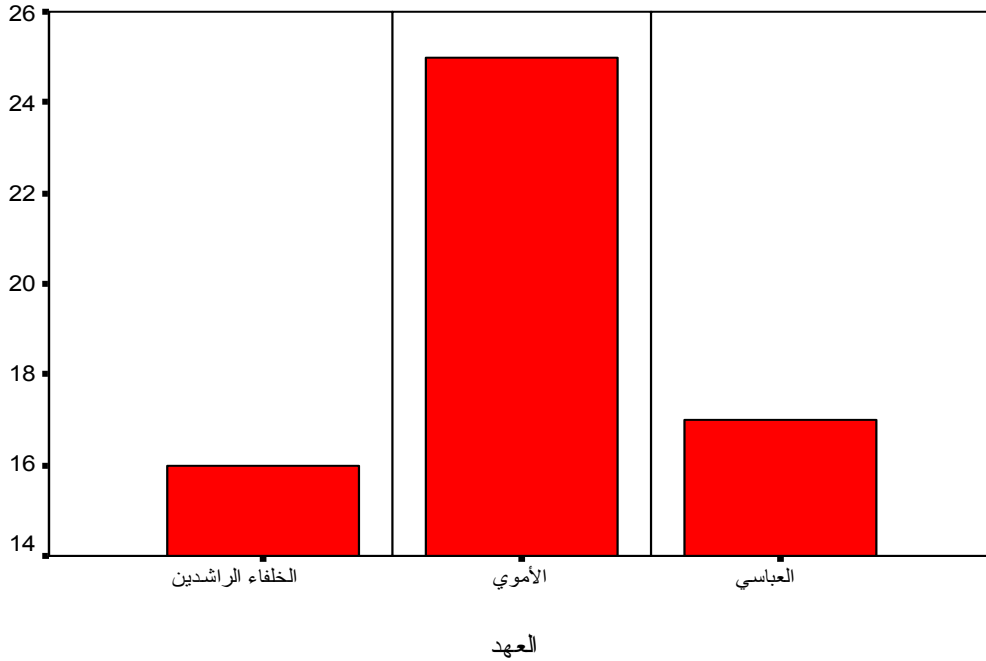
كذلك الرؤى والمنامات كانت أعلى في العهد العباسي عن وجودها في العهد الأموي ولم يعتمد عليها كمصدر للاستشهاد في عهد الخلفاء الراشدين كما بالشكل التالي باستخدام طريقة الأعمدة :

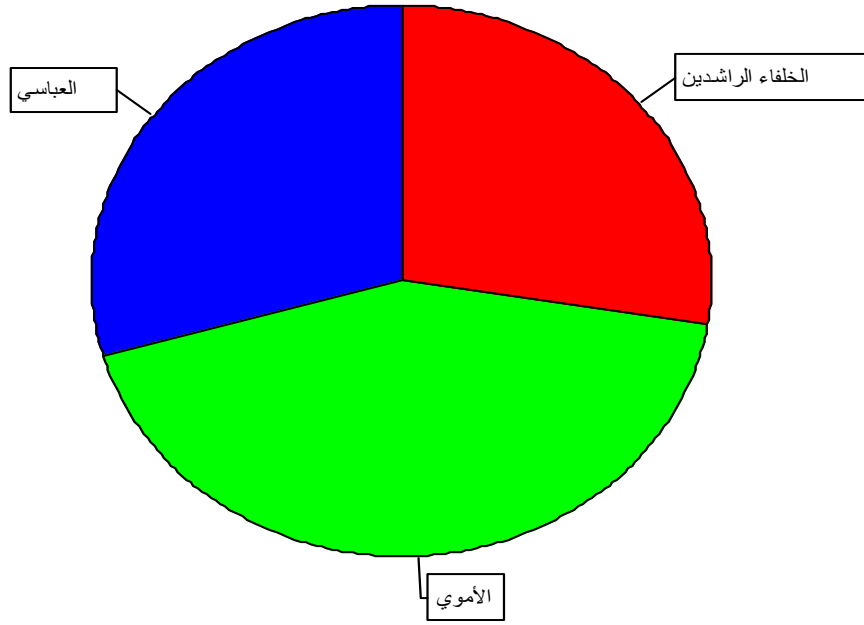
شكل (١٢):الرؤى والمنامات كمصدر للاستشهاد



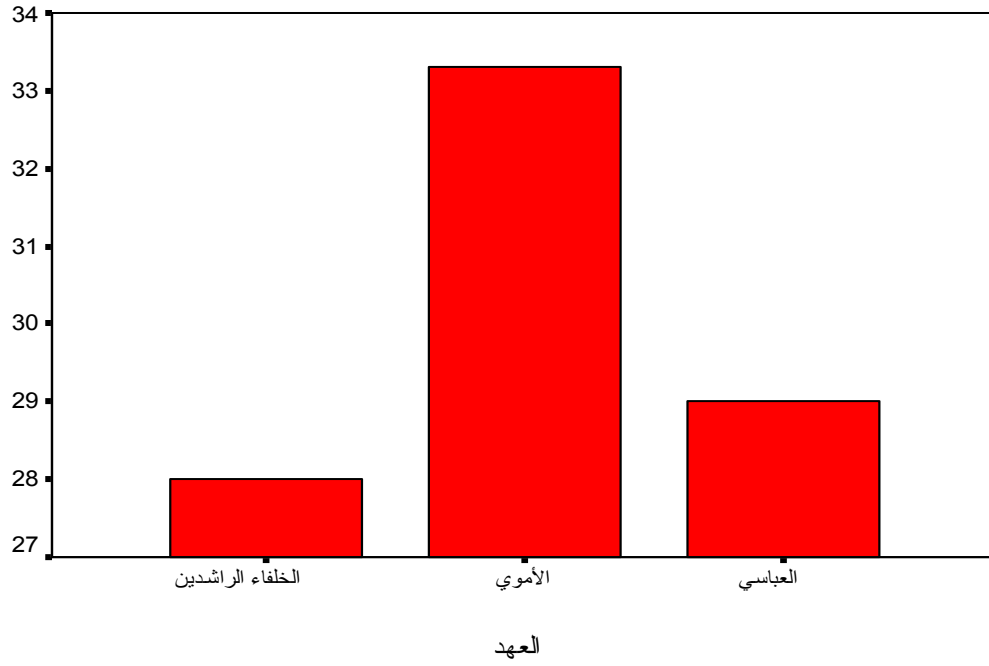
بالنسبة لقضايا العقيدة والتي تتعلق بأركان الإيمان يتضح أن قضايا الإيمان بالله واليوم الآخر تمثل قضايا رئيسة للعهود الثلاثة ، وان كانت ملحوظة بنسبة أكبر في العهد الأموي ومتقاربة في العهد العباسي وعهد الخلفاء الراشدين كما توضحه الرسوم البيانية التالية بطريقتي الأعمدة والدائرة . كذلك تم ملاحظة عدم وجود قضايا تتعلق بالإيمان بالرسول في العهود الثلاثة:

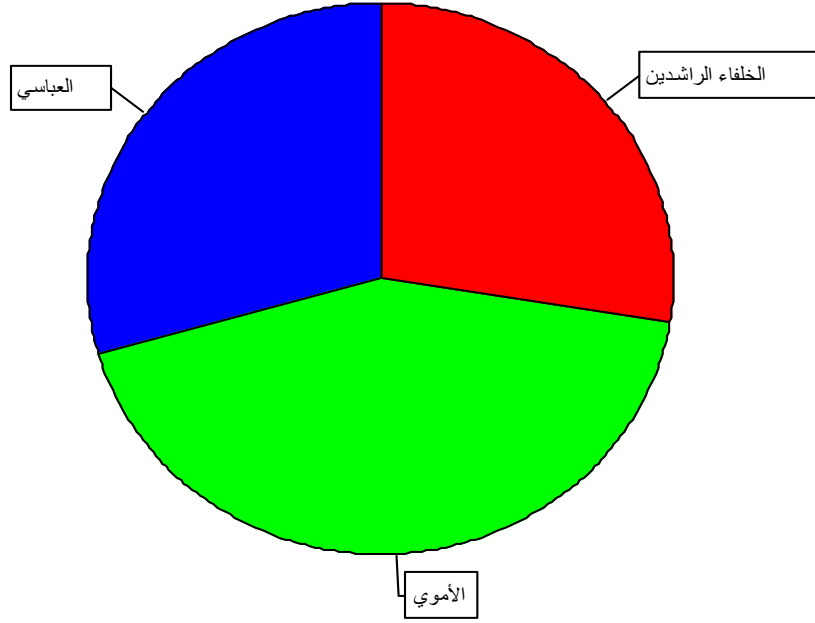
شكل (١٣): الإيمان بالله كأهم قضايا العقيدة في العهود الثلاثة





شكل (١٤): الايمان باليوم الآخر في العهود الثلاثة





-لم ترد نتائج تتعلق بالشركيات والبدع في عهد الخلفاء الراشدين ، ولكنها ذكرت بنسبة أكبر في العهد العباسي عن العهد الأموي .

-لم ترد نتائج بالنسبة لأركان الإسلام العملية من صلاة وزكاة وصوم وحج في العهد العباسي، كذلك لم ترد نتائج لبعضها مثل الزكاة والحج في عهد الخلفاء الراشدين بينما وردت نتائج لها بالكامل في العهد الأموي .

-بالنسبة للجهاد كانت نسبة قضاياها أعلى في عهد الخلفاء الراشدين عن العهد الأموي ولم ترد عنه نتائج في العهد العباسي .

-أما قضايا التشريع فهي مذكورة كاملة في العهد العباسي ، بينما وردت قضايا تتعلق بقيام الليل وصيام التطوع فقط للعهد الأموي، وفي عهد الخلفاء الراشدين وردت قضايا الصوم وقيام الليل والصدقة.

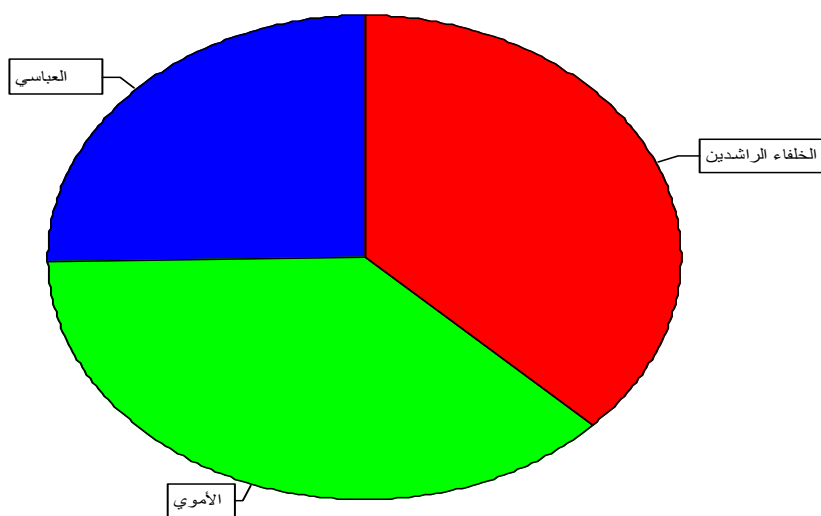
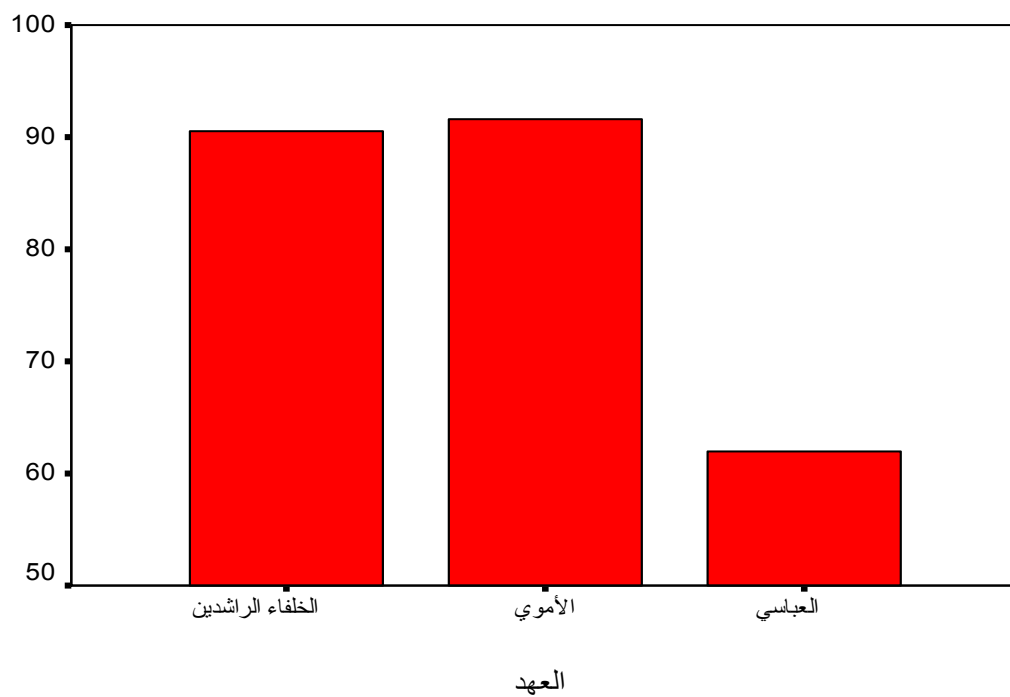
-كذلك وردت قضايا تتعلق بالأخلاق من صبر وعدل فقط في عهد الخلفاء الراشدين بينما ذكرت بشأنها كاملة من صبر وعدل وقناعة ومبادرة وأدب حوار وقدوة حسنة في العهدين الأموي والعباسي .

-وبخصوص القضايا الأخرى من فضل النعم والتوبة وفضل الشام والزهد والحث على العلم وصفة العلماء ، فيلاحظ ذكر قضايا تتعلق فقط بالتوبة والزهد في العهد الأموي بينما ذكرت بشأنها كاملة في العهدين العباسي والخلفاء الراشدين .

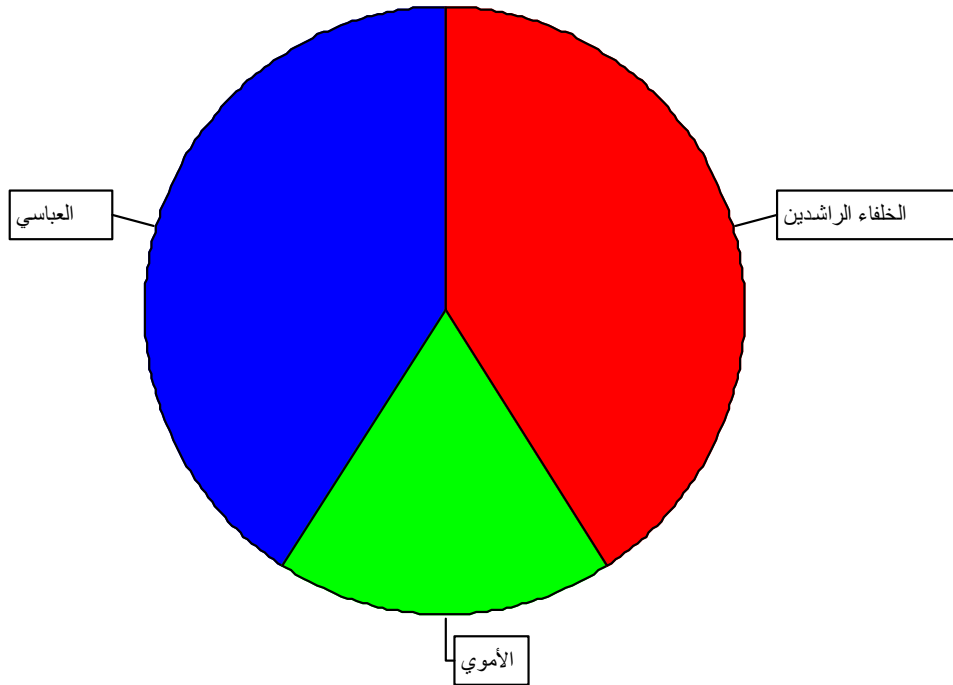
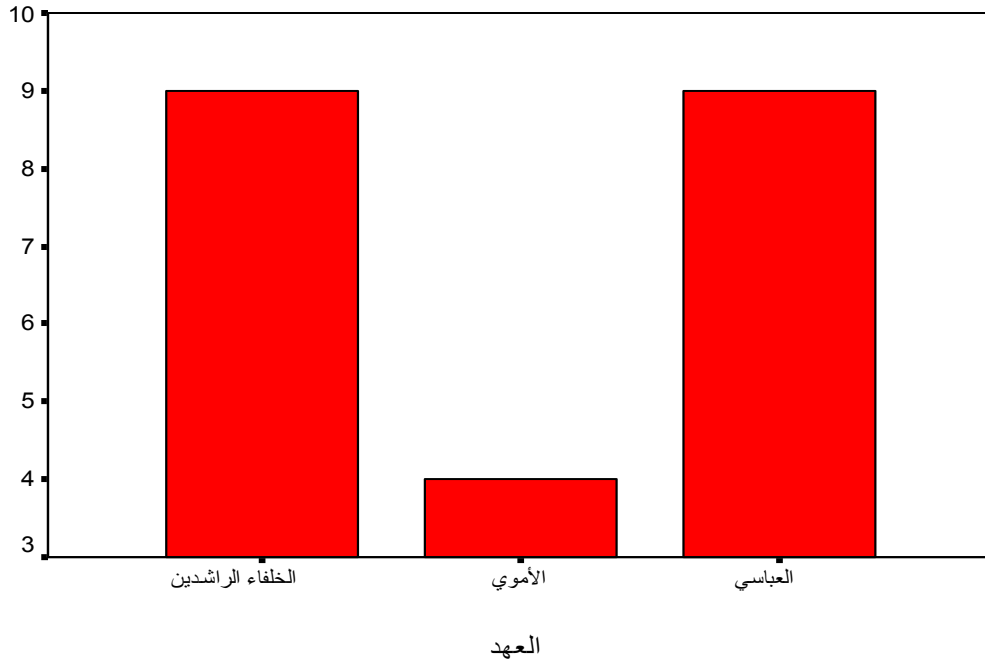
:

- يعتبر العامة مدعو أساس في كل العهود الثلاثة، وان كانت نسبة هذا الصنف عالية في العهد الأموي، ومتقاربة مع نظيرتها في عهد الخلفاء الراشدين بينما تساوت نسبة الحاكم كمدعو مستهدف في أساليب القصاص في عهدي الخلفاء الراشدين والعباسي وكانت أقل منها في العهد الأموي. ويتضح ذلك من خلال الرسومات البيانية التالية :

شكل (١٥): العامة كمدعو مستهدف في العهود الثلاثة



شكل (١٦): الحاكم كمدعو مستهدف في العهود الثلاثة

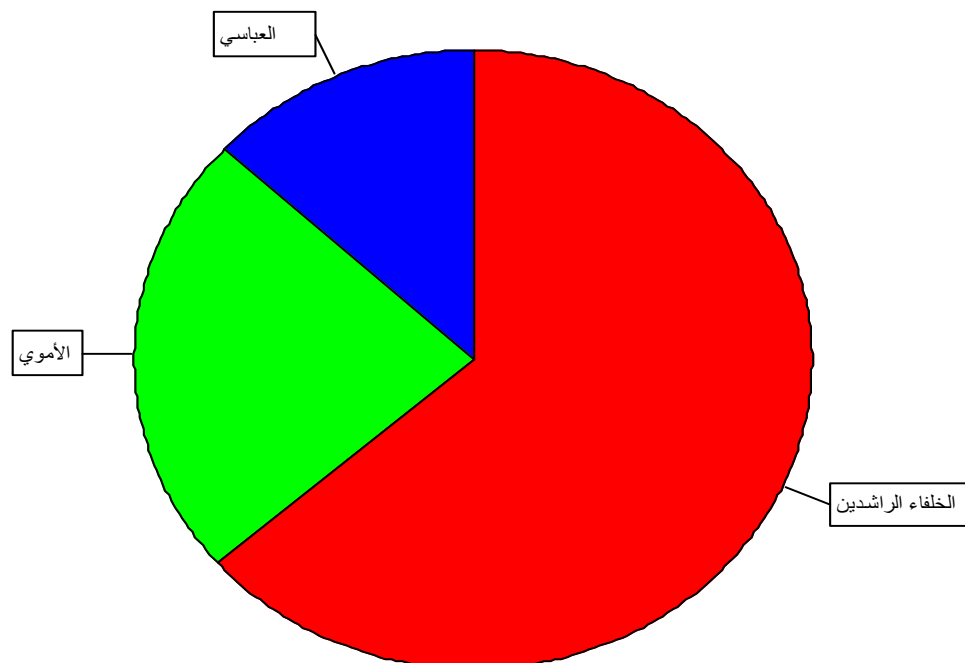
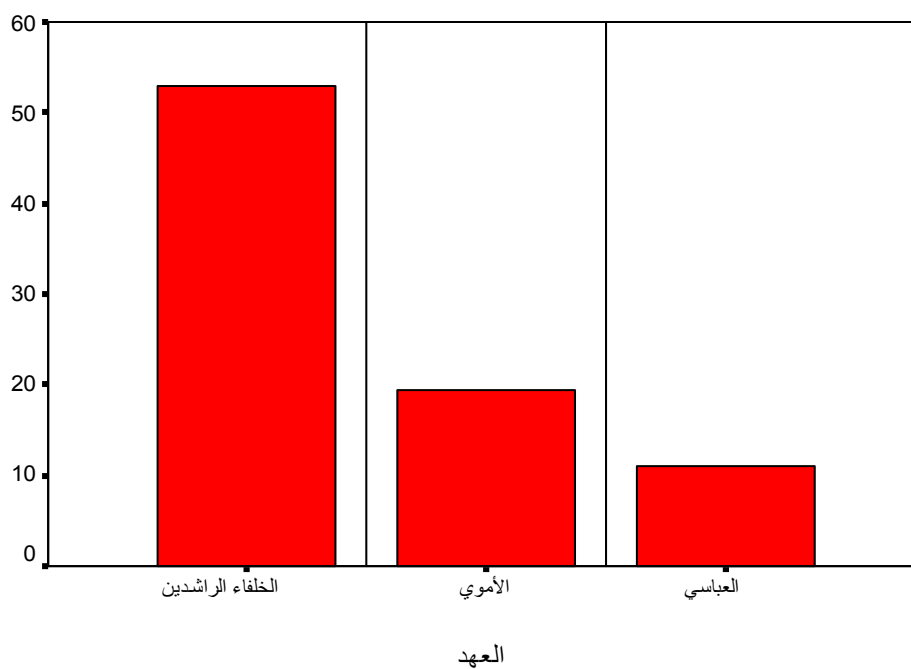


-بالنسبة للمدعو من ذوي الهيئات من العالم والوزير والقاضي ، فلم تذكر نتائج بشأنها في عهد الخلفاء الراشدين ، بينما كان العالم والوزير من المستهدفين في أساليب القصاص في العهد الأموي ، كذلك الوزير والقاضي من المستهدفين في أساليب القصاص في العهد العباسي ، وان كانت نسب تأييد ذلك من قبل عينة الدراسة ضعيفة جداً .

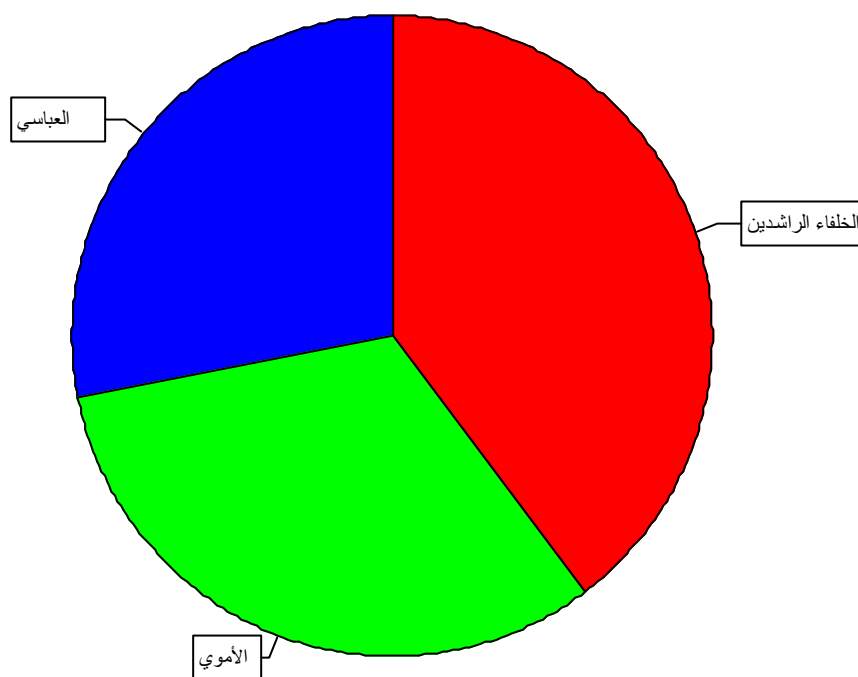
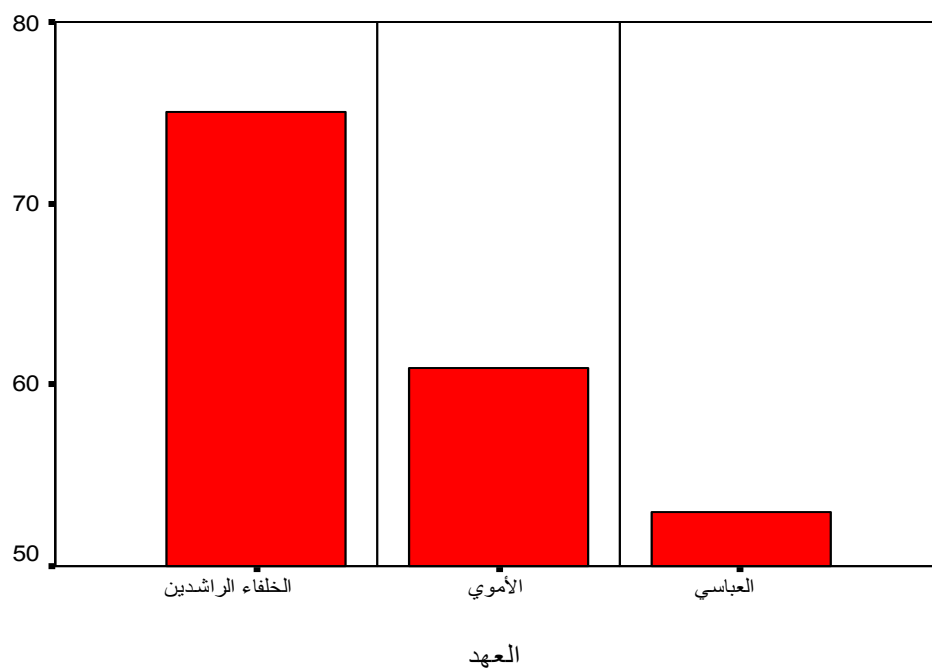
-أما بخصوص الأفراد فلم ترد في أساليب القصاص خلال عهد الخلفاء الراشدين ، وورد الزوجة والجار من ضمن الأفراد المدعويين في أساليب القصاص خلال العهد الأموي، في حين أن الابن والأخ والصديق والغني والمريض وأصناف أخرى غير محددة كانت مستهدفة في أساليب القصاص خلال العهد العباسي .

فيما يتعلق بخصائص الأسلوب الدعوي من الحكمة والترغيب والترهيب والحوار فكانت ملحوظة في أساليب القصاص للعهد الثلاثة، وإن لوحظ خاصية الترغيب والترهيب في أساليب القصاص مرتفعة في عهد الخلفاء الراشدين (٧٥٪) عنها في العهد الأموي (٦٠,٩٪) ، بينما كانت في العهد العباسي بنسبة (٥٣٪) . ثم كانت خاصية الحكمة في عهد الخلفاء الراشدين بنسبة (٥٣٪) والعهد الأموي بنسبة (١٩,٤٪) والعباسي بنسبة (١١٪)، أما خاصية الحوار في أساليب القصاص فجاءت متساوية في العهود الثلاثة وبنسبة (١٦٪). وفيما يلي الرسومات التي توضح مقارنة هذه الخصائص في العهود الثلاثة على الترتيب الحكمة والترغيب والترهيب والحوار :

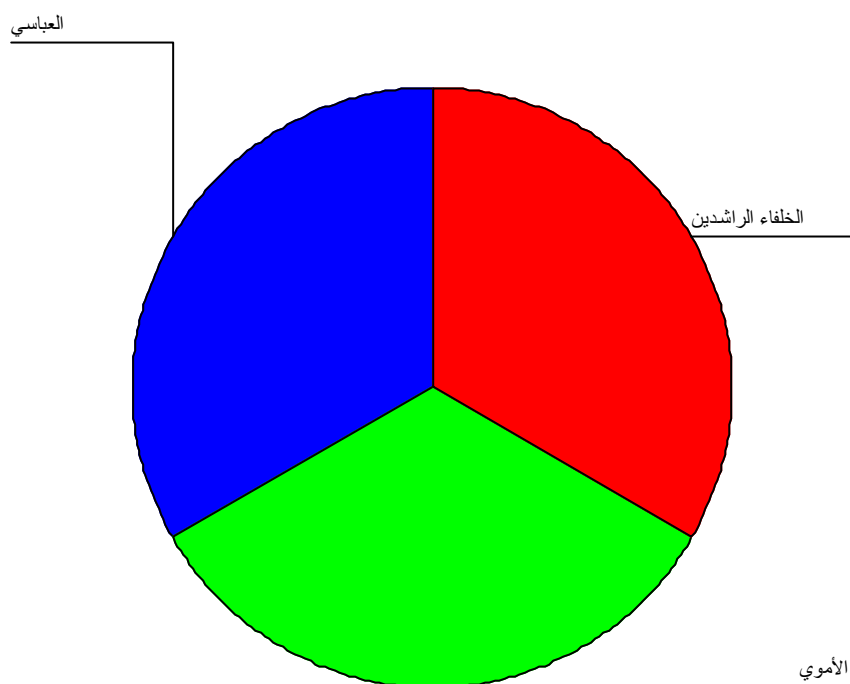
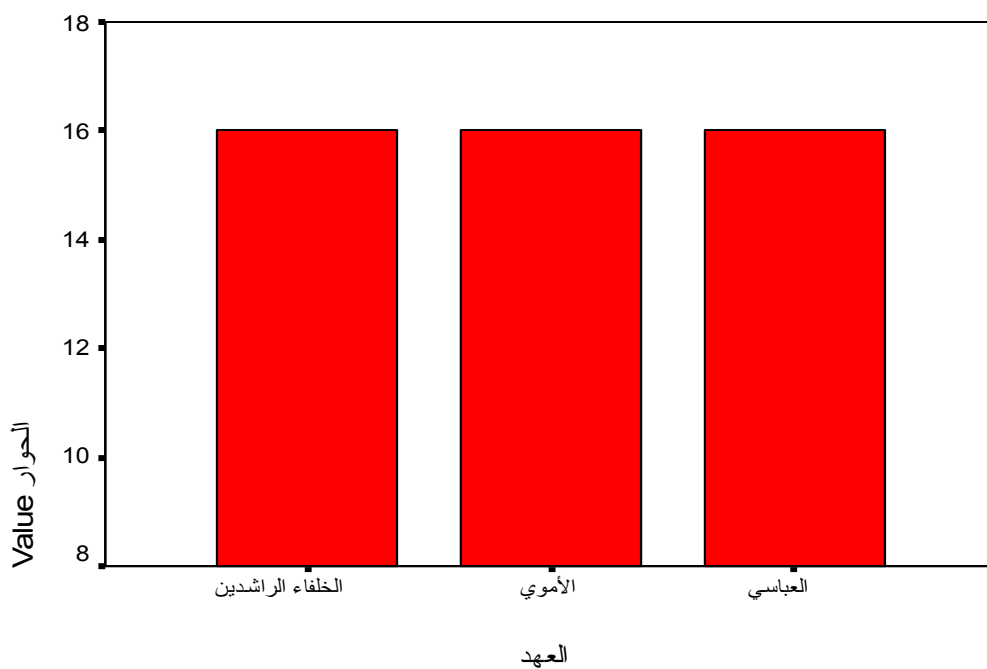
شكل (١٧): خاصية الحكمة للأسلوب الدعوي في العهود الثلاثة



شكل (١٨): خاصية الترغيب والترهيب في العهود الثلاثة

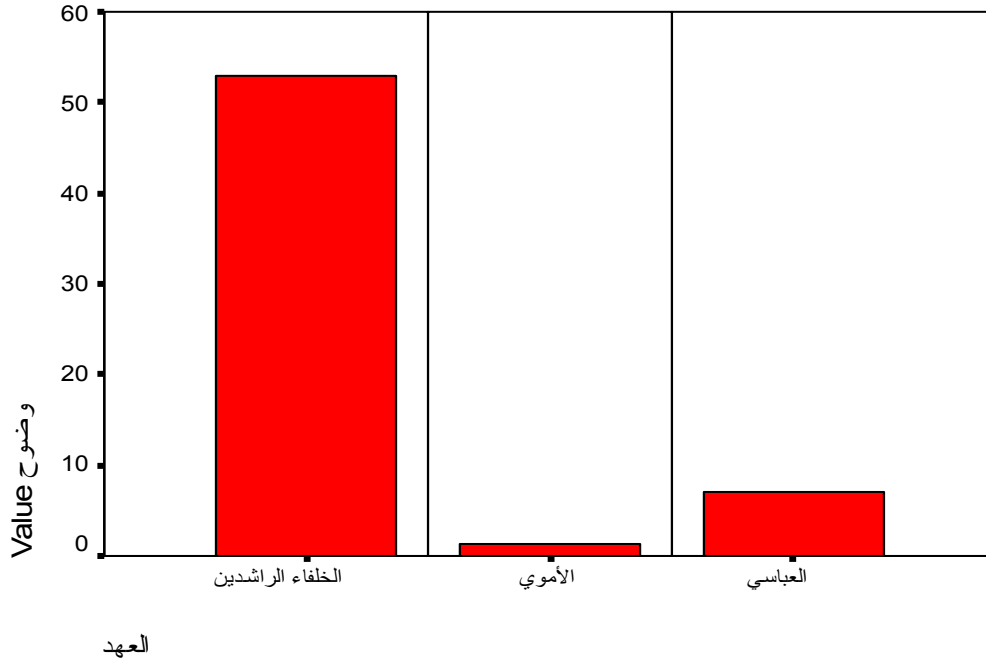


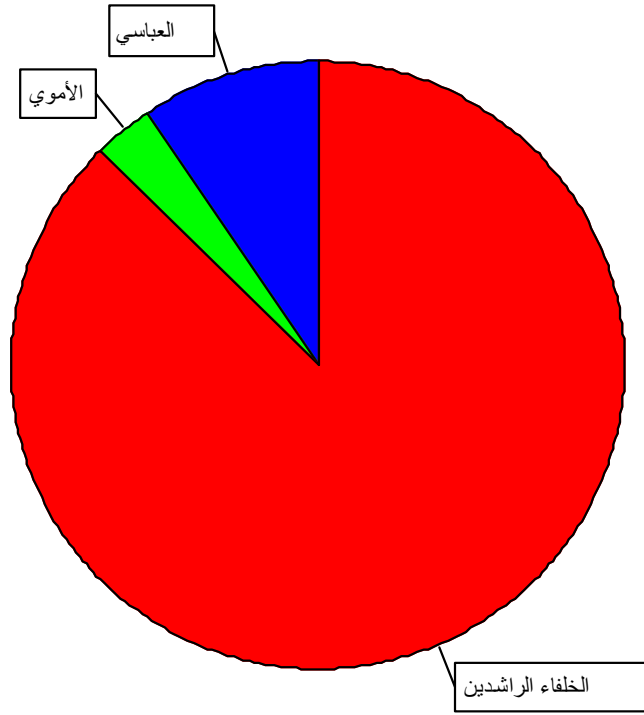
شكل (١٩): خاصية الحوار للأسلوب الدعوي في العهود الثلاثة



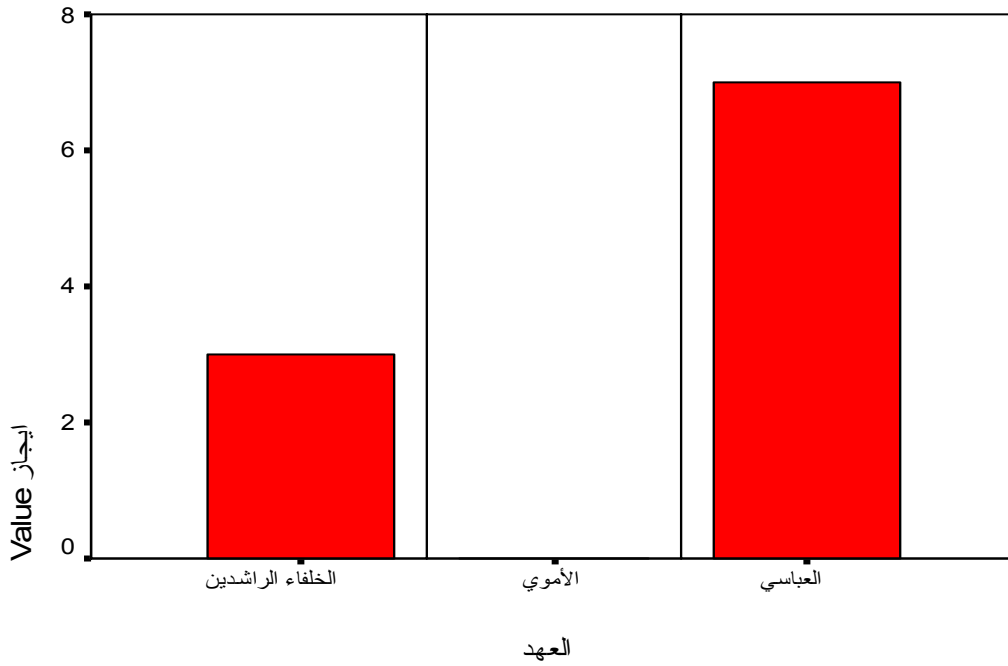
-فيما يتعلق بخصائص الأسلوب اللغوي ، فكانت خصائص الوضوح والإيجاز والأمثال والاستفهام والتشبيه متوفرة في أساليب القصص في العهود الثلاثة، وإن تميزت خاصية الوضوح في عهد الخلفاء الراشدين بنسبة أكبر من غيرها في العهدين الآخرين حيث بلغت النسبة (٥٣٪) . و توضح الرسومات البيانية التالية خصائص الأسلوب اللغوي من الوضوح والإيجاز والأمثال والاستفهام والتشبيه للعهود الثلاثة :

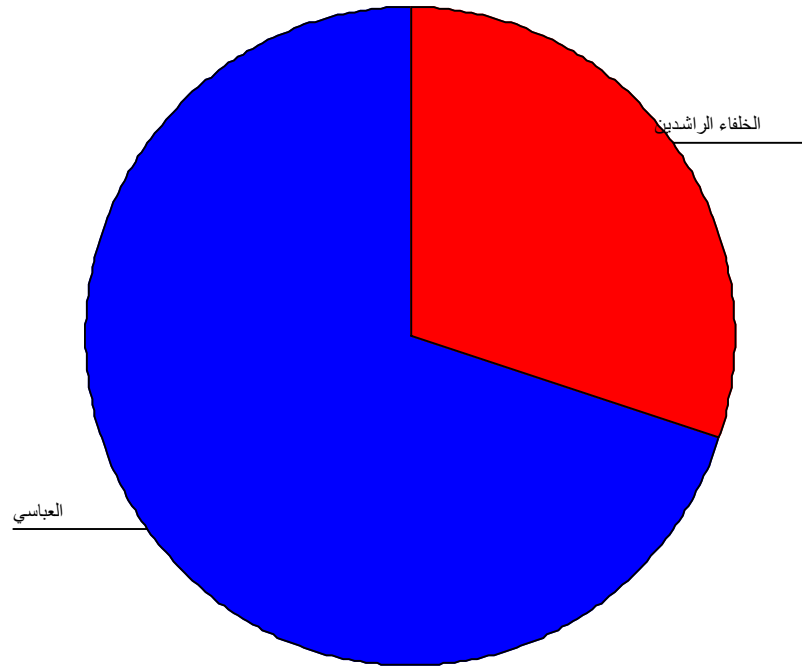
شكل (٢٠): خاصية الوضوح للأسلوب اللغوي في العهود الثلاثة



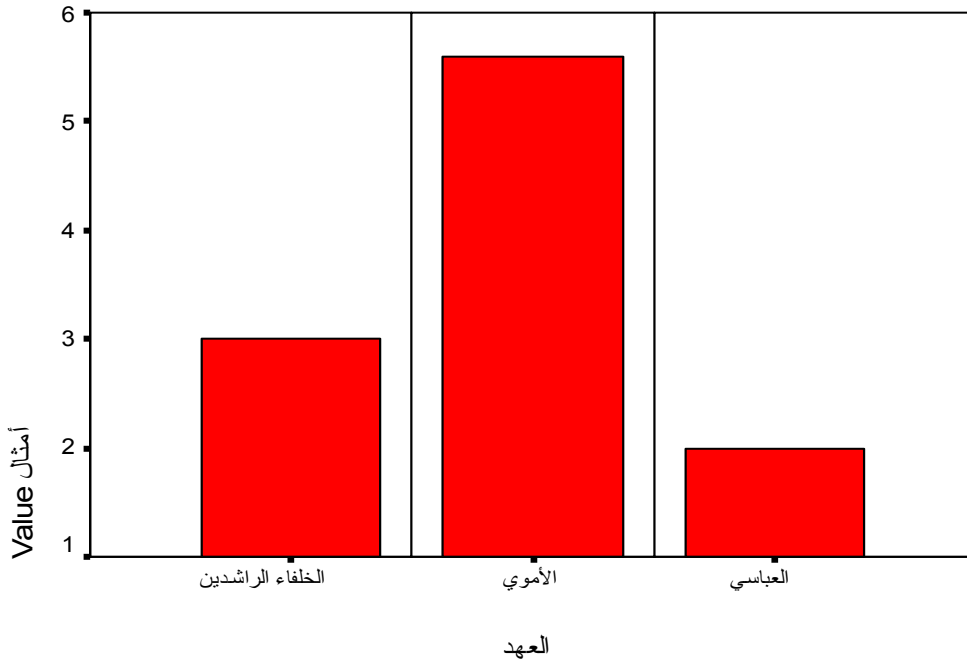


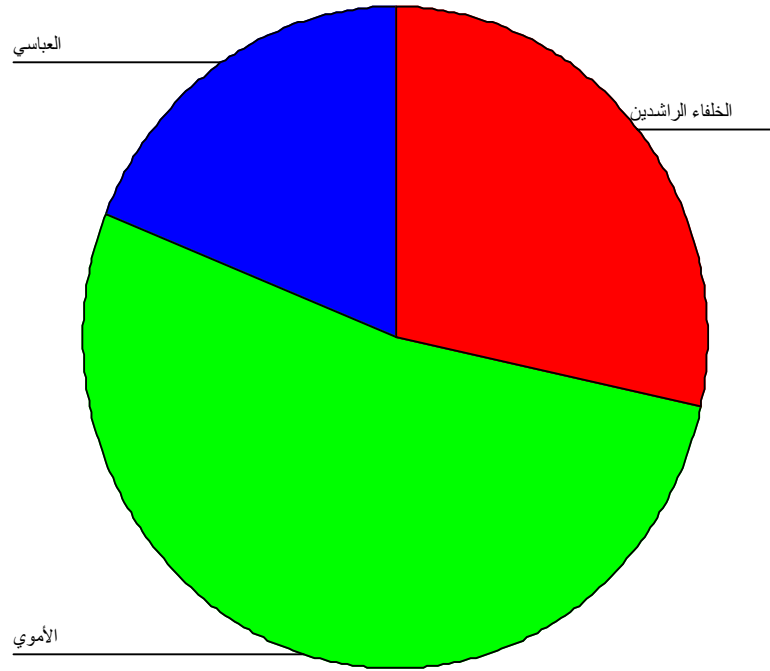
شكل (٢١) خاصية الإيجاز للأسلوب اللغوي في العهود الثلاثة



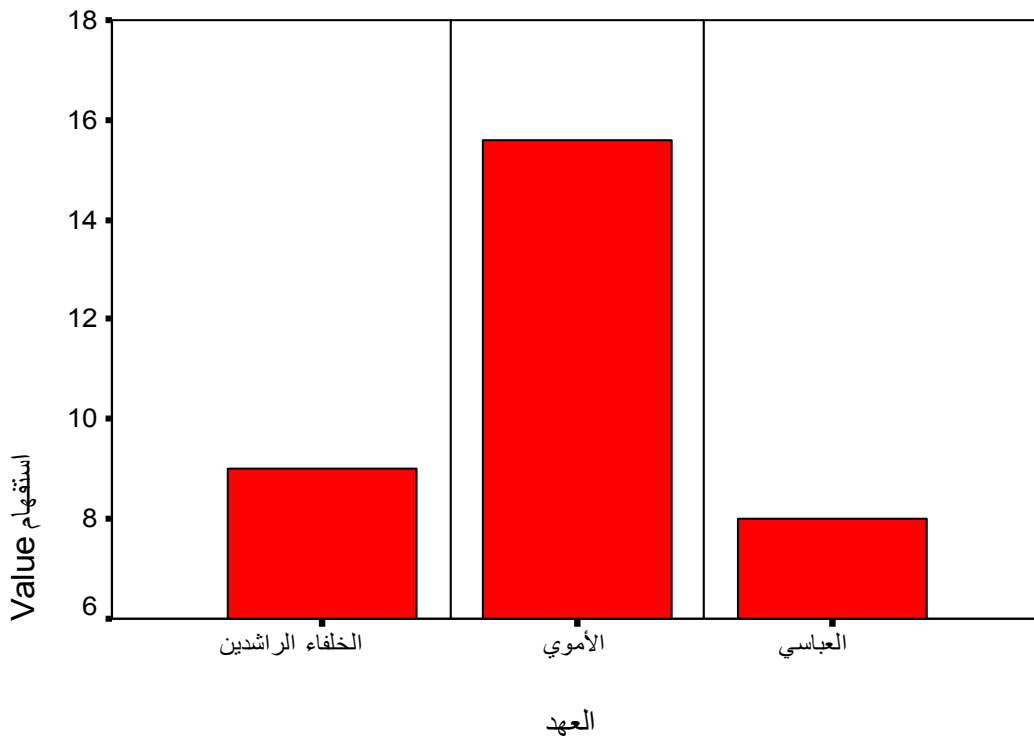


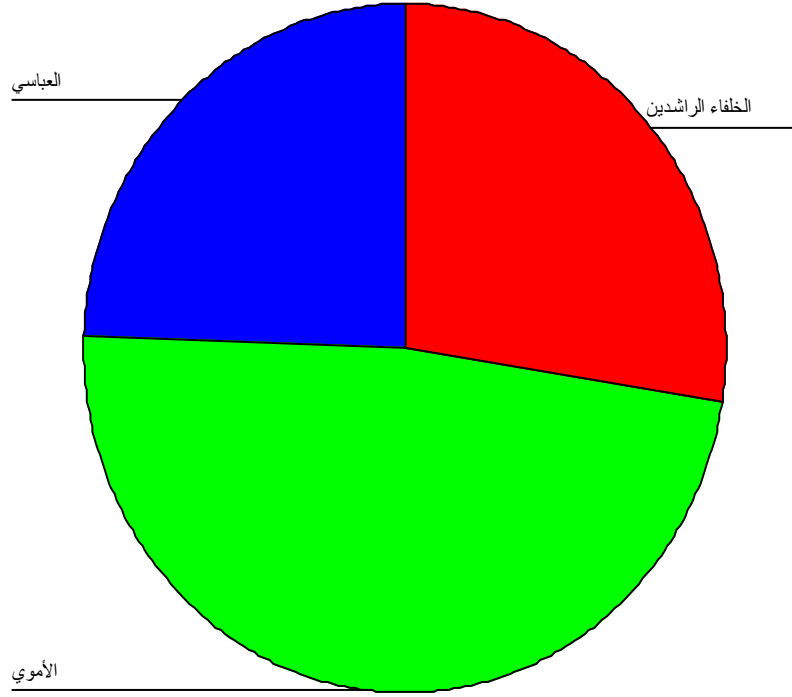
شكل (٢٢) خاصية الأمثال للأسلوب اللغوي في العهود الثلاثة



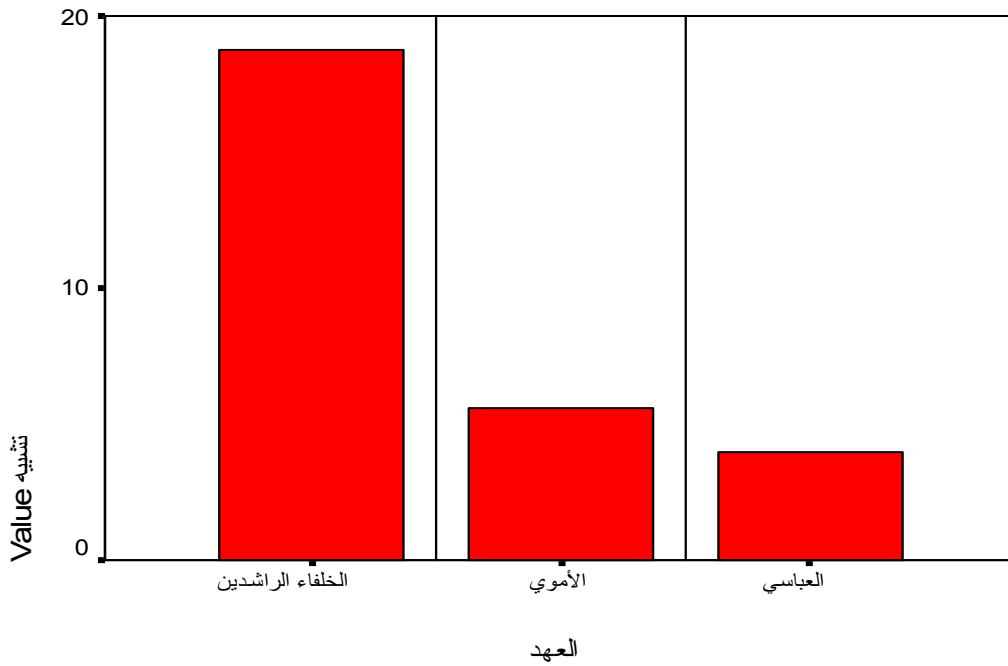


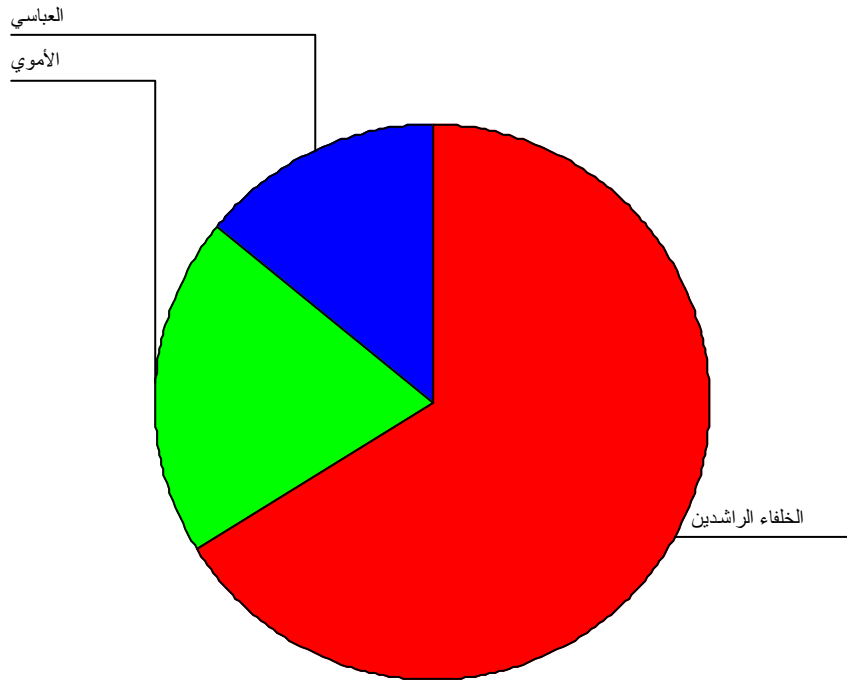
شكل (٢٣): خاصية الإستفهام للأسلوب اللغوي في العهود الثلاثة





شكل (٢٤) خاصية التشبيه للأسلوب اللغوي في العهود الثلاثة





وظهرت خاصية السجع في العهد العباسي فقط بنسبة (22%) ولم ترد في غيرها من العهود، كذلك خاصية التنوع لم ترد إلا في العهد الأموي بنسبة (13,6%)، وخاصية القسم لم ترد إلا في عهد الخلفاء الراشدين بنسبة (6,25%).

لقد تبين من هذه الدراسة التحليلية نتائج متنوعة، تتفاوت من حيث الأهمية؛ لذا فإنني سأقف على أهم النتائج في كل عهد من العهود الثلاثة عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول:

مناقشة أهم النتائج في عهد الخلفاء الراشدين وتقويمها

الفرع الأول: المصادر

قد يعجب القارئ من قلة مصادر القصاص في هذا العهد، إلا إنه إذا قورنت هذه المصادر بعدد القصص في هذه الفترة الزمنية فإن هذا العجب يزول؛ إذ القصص في عهد الخلفاء الراشدين لم يكونوا بتلك الكثرة كما مرّ في تاريخ القصص، ويمكن تقويم هذه الدلالات على النحو الآتي:

أولاً: اعتنى القصاص في هذا العصر بالمصادر الأصلية، ولاشك في أن أعظم هذه المصادر على الإطلاق: القرآن الكريم. وقد بلغت نسبة الاستشهاد به (٢٨٪) بل تنوع هذا الاستشهاد ما بين ذكر للآية فقط، أو بيان لتفسيرها، أو ذكر لسبب النزول الذي لم يكثر في هذا العهد، ومع ذلك تجرأ بعض المعاصرين، وزعم أن تسعة أعشار الآيات القرآنية ليس لها أسباب نزول، وأن أوائل القصص هم من شاركوا في نسجها، ولاسيما فيما يتعلق بالسيرة والمغازي^(١).

وليس عجباً أن تصبح آيات القرآن من أكثر ما يظهر على السنة القصاص، نظراً لقرب موضوعاتهم واهتماماتهم بموضوعات القرآن السامية، ولا يزال القرآن الكريم هو مصدر التأثير في حياة المسلمين بعامه .

ثانياً: أكثر القصاص من الاستشهاد بالسنة النبوية ما بين ذكر صريح للحديث ببيان نسبه للنبي ﷺ، أو اقتباساً لكلامه عليه الصلاة والسلام؛ حيث بلغت نسبة الاستشهاد بالسنة النبوية (٣٧,٥٪). وكما وجدنا تأثر القصاص بالقرآن الكريم لعظم آياته وبلاغة ألفاظه نجد كذلك تأثير السنة النبوية. فالرسول ﷺ يأتي في القمة من البلاغة البشرية، فلا تضاهيه بلاغة، ولا ينافسه بليغ، فهو الذي أعطي جوامع الكلم-عليه الصلاة والسلام-ولهذا أقبل القصاص على السنة النبوية يأخذون منها ويتأثرون بها .

وإن كان وقع لبعضهم وهم في هذا الباب كقول كعب الأحبار-رحمه الله-: ((في الجنة نهر يُدعى الريان، للصائمين يوم القيامة لا يشرب منه إلا الصائمون))^(١).

والوارد في ذلك قول النبي ﷺ: ((إن في الجنة باباً يقال له: الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون، لا يدخل منه أحدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحدٌ))^(١).

ثالثاً: كثر الاستشهاد بالكتاب والسنة وهذا ليس بمستغرب، بل الغريب خلافه، إذ لازال قصاص هذا العصر قريبي العهد من زمن النبي ﷺ، ولا يزال صحابته الكرام -رضي الله عنهم-بين ظهرانيهم.

بل إن الاستشهاد الضمني بالسنة النبوية أكثر من الاستشهاد بالنص وذلك لتأثر قصاص هذا العصر بالأحاديث النبوية، حتى ليحسب الذي لا يحفظ السنة النبوية أن الكلام كله للقصاص؛ فعندما يقول كعب-رحمه الله- مثلاً، وهو يبيّن فضل الصلوات الخمس: ((والذي نفسي بيده إن الحسنات التي يمحو الله بها السيئات كما يذهب الماء الدرن هي: الصلوات الخمس))^(١) يشير هنا إلى حديث: ((أرأيت لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا. قال: فكذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا))^(١).

وعندما يقول: ((أنبروا بيوتكم بذكر الله، واجعلوا في بيوتكم حظاً من صلواتكم))^(١).

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

قريب من قوله ﷺ: ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر، فإن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة))^(١).

رابعاً: يُلاحظ أن الاستشهاد بالسنة النبوية مقتصر على ما صحَّ منها، فقد استشهد القصاص بجملة من الأحاديث كلها صحيحة، وجلها في الصحيحين، وذلك راجع -والله أعلم- إلى علو الإسناد مع النبي ﷺ، وإلى أن لوثة وضع الأحاديث لم تكن ظهرت بعد، أو كان ظهورها محدوداً.

خامساً: استشهد القصاص في هذا العهد بالإسرائيليات بنسبة (٩, ٢١%)، مما حدا ببعض المستشرقين كجولد زيهر أن يقصر مصادر القصاص على الإسرائيليات فقط^(٢) وهو أمر لا يُسلم، وليس بوارد إلا عند ندرة من القصاص.

ولاشك في أن وجود قاص مثل كعب الأخبار كان من شأنه أن يثري قصص هذا العصر بمصادر من هذا النوع.

قال الذهبي -رحمه الله- في ترجمة كعب: ((جالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدثهم عن الكتب الإسرائيلية..... كان خبيراً بكتب اليهود، له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة))^(٣).

وقد اختلف العلماء في حكم إيراد الإسرائيليات والاستشهاد بها على قولين:
القول الأول: المنع من رواية الإسرائيليات مطلقاً ويستدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

١- ما جاء في القرآن الكريم من آيات تبين أن أهل الكتاب قد بدلوا دينهم، وحرّفوه؛ مما أذهب الثقة فيها، وفيما يحدثون به منها، قال تعالى: (يُذَوِّبُ ذُنُوبَهُمْ)^(٤).

- ما جاء في بعض الآثار عن الصحابة -رضي الله عنهم- في النهي عن سؤال أهل الكتاب فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((لا تسألوا أهل الكتاب فإنهم لن يهدوكم، وقد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بالحق، أو تصدّقوا بالباطل))^(٥).

القول الثاني: جواز رواية الإسرائيليات، ويستدل أصحاب هذا القول بما يأتي:

(/) ()

: ()

(/) ()

() ()

(/) : ()

: (/) (/)

(/)

سادساً: استشهد قصاص هذا العصر بما في كتب الأنبياء السابقين كالتوراة وإن كان ذلك بنسبة أقل بلغت (٩٪)، وقد حصل هذا من كعب الأحرار-رحمه الله-الذي عرفنا اهتمامه بكتب اليهود، وأشير هنا إلى أنني لم أجد من القصاص في هذه الفترة الزمنية من جعل الإنجيل مصدراً له .

وقد جاء التحذير الشديد من قراءة مثل هذه الكتب، من ذلك: ((أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي صلى الله عليه وسلم فغضب فقال أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية. لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني))^(١).

وسئل الإمام أحمد عن هذه المسألة فغضب وقال: ((هذه مسألة مسلم؟!))^(٢).

فلا ينبغي للمسلم أن يقرأ التوراة، أو أي كتاب من الكتب السابقة، فضلاً أن يعظ الناس بها، ويقصّ عليهم بما فيها إلا من قرأها لبيان ما ورد فيها من تحريفات وتضارب بينها، وكان من الراسخين في العلم. وأمّا عامة المسلمين، ومن ليس لهم شأن في الرد على تحريفات وشبهات أهل الكتاب فلا يجوز له قراءة التوراة والإنجيل وغيرها من الكتب السابقة.

ولعله يُعتذر لكعب الأحرار-رحمه الله-بأن ذلك كان بصورة نادرة، أو أنه لم يبلغه النهي الوارد في ذلك. والله أعلم.

الفرع الثاني: القضايا

أولاً: الجانب العقدي:

(/) ()

(/) -

(/) ()

(/)

اعتنى الفُصَّاصُ بالجانب العقدي، وأولوه اهتماماً بالغاً، ولاسيما ما هو متعلق باليوم الآخر. وقد شكلت موضوعات اليوم الآخر الحيز الأكبر، وذلك بنسبة (٢٨٪)، ويمكن عزو هذا الاهتمام لأمر متعددة منها:

١- حاجة المدعوين إلى تذكيرهم وترغيبهم وترهيبهم بذكر أحوال اليوم الآخر، وما فيه من الحشر والحساب والجنة والنار، ونحو ذلك .

٢- أن القصاص وجدوا فيما يتعلّق باليوم الآخر من المواعظ والقصص ما يمكن أن يحققوا به أهدافهم الدعوية من رجوع الناس إلى ربهم، والاستجابة له، والتوبة إليه .

٣- أن القضايا التي تناول فيها القصاص الإيمان بالله -تعالى- والتي بلغت (١٦٪) إنما كانت مرتكزة في الغالب على فضل الإيمان بالله، والإكثار من ذكره؛ مما جعل بعض المصنفين يطلق على الذكر بأنه: ((حظ الفُصَّاص))^(١).

فقد كانوا يقصّون للناس ما لذكر الله -تعالى- من فضائل متعددة، وفوائد عظيمة^(٢)، والأحاديث في ذلك متوافرة مشهورة، منها قول النبي ﷺ: ((ألا أخبركم

بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، ومن أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: ذكر الله عزّ وجلّ))^(٣).

وقال ﷺ: ((مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت))^(٤).

وقد أكد القصاص على أهمية الذكر بصيغ متنوعة:

فمرة يقول عبيد بن عمير: ((أكثرُوا من ذكر الله))^(٥).

ومرة يقول: ((عليكم بسبحان الله))^(٦).

ويقول كعب: ((أنيروا بيوتكم بذكر الله))^(٧).

ويقول -رحمه الله-: ((أحب الكلام إلى الله: لا إله إلا الله))^(٨).

() (/) .

() - - .

() (/) (/)

() (/) - - .

() (/) .

() (/)

() (/)

() (/)

٢- قام القصاص بإعطاء جانب الأخلاق نصيبه من العناية مثل العدل والصبر لما رأوه من حاجة المدعويين لذلك، فجعلوا يؤكدون على الأخلاق الفاضلة ويدعون إليها، ويُقَرِّرون من الأخلاق السيئة ويحذرون منها.

رابعاً: القضايا الأخرى:

١- تناول القصاص موضوع التوبة، وبنسبة بلغت (٩, ٢١٪). وكثر ذلك عند الحديث عن توبة العصاة في قصص بني إسرائيل . وكان هذا الحديث لما للتوبة من فضائل جمّة، وأسرار بديعة، وفوائد متعددة، فمن ذلك:

- أن التوبة سبب للفلاح، قال تعالى: (يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبَةٌ بَدِيْعَةٌ)^(١)

- أنه بالتوبة تُكفّر السيئات: فإذا تاب العبد توبة نصوحاً كَفَّرَ اللهُ بها جميع ذنوبه وخطاياها، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي يُبَدِّلُ سَيِّئَاتِكُمْ بِحَسَنَاتِكُمْ وَإِذَا تَوَّابٌ)^(٢)

- أن التوبة تبدل السيئات حسنات؛ فإذا حسنت التوبة بدّل اللهُ سيئات صاحبها حسنات، وذلك فضل من الله وتكرم، قال الله تعالى: (جِئْتُمْ بِالْحَسَنَاتِ غَيْرَ غَالِبِينَ)^(٣)

- أن الله يحب التوبة والتوابين: فعبودية التوبة من أحب العبوديات إلى الله وأكرمها؛ فإنه سبحانه يحب التوابين، قال الله تعالى: (وَوُجُوهُهُمْ)^(٤)

-حث القصاص على طلب العلم، والسعي في تحصيله انطلاقاً من قوله تعالى: (كُوِّنُوا لِقَوْمٍ غَافِلِينَ)^(٥) وفي الحديث قوله ﷺ: ((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله به طريقاً إلى الجنة))^(٦) وقد جعل القصاص لطلب العلم جانباً من قصصهم وتذكيرهم.

() (/)

() ()

() ()

() ()

() ()

() ()

(/) ()

(/)

(/)

(/)

٣- كان الحديث عند بعضهم عن فضل الشام، وقد وردت أحاديث صحيحة في ذلك جمعها العلامة الألباني في كتاب صغير سماه "فضل الشام ودمشق". ولا يخلو هذا القصص من غاية يُراد إقرارها في الأذهان؛ وهي التأكيد على مكانة الشام وأهميته، مقارنة بالأقاليم والمدن الإسلامية الأخرى.

- أكد القصاص على التذكير بالنعمة، والحث على شكر المنعم المتفضل بها وقد سلك القصاص تجاه ذلك التعريف بحقيقة النعمة، وبيان عظم نفعها وخطر زوالها، والتعريف بجهة المنعم ومُسديها، والمتفضل بها على الخلق .

:

أولاً: ركز القصاص في وعظهم وقصصهم على صنفين من المدعويين (العامة، والحاكم). وليس ذلك لعدم عناية القصاص بباقي المدعويين، أو عدم حرصهم على شمولية قصصهم لكافة شرائح الناس وطبقاتهم بل ذلك راجع لأمر منها:

١- قلة قصاص هذا العصر، ففي عهد أبي بكر رضي الله عنه لم يظهر فيه أثر لقاصّ البتة، ولم أقف على من أشار إلى ذلك، ولعل السبب يرجع إلى قصر مدة خلافته رضي الله عنه.

أما في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان يمنع القصاص، ويرأسلهم، ويحذرهم من أن يقصوا بلا علم^(١).

ولم يبدأ القصاص في الانتشار إلا في عهد عثمان رضي الله عنه، ولا يسمّى انتشاراً إلا مقارنة بما قبله وإلا فلم يزل الأمر محدوداً وخصوصاً لما تولى الخلافة علي رضي الله عنه.

٢- أن عناية القصاص بالعامة على وجه الخصوص كان لعلمهم أن هذه الفئة هم أكثر الناس حاجة لجهود الدعوة، لسرعة استجابتهم، وسلامة فطرهم^(٢) ويدل على هذا التركيز أن نسبة المدعو من العامة بلغت (٦,٩٠٪).

ثانياً: أن النصح للحكام كان قليلاً مقارنة بالعامة حيث كانت نسبة ذلك (٩٪)، وذلك لأن حكام هذه الحقبة الزمنية هم الخلفاء الأربعة -رضي الله عنهم أجمعين- المشهود لهم بالجنة، ومع ذلك فقد توجه لهم قصاص هذا العصر بالقصاص -كما مرّ- استجابة للنصوص الشرعية التي تضافرت في بيان وجوب نصح الحكام، وتذكيرهم، فمن ذلك :

() : (/) .

() :

١- قوله ﷺ: ((الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم))^(١). قال ابن عبد البر-رحمه الله-: ((ففي هذا الحديث أن من الدين النصح لأئمة المسلمين، وهذا أوجب ما يكون، فكل من وكلهم وجالسهم، وكل من أمكنه نصح السلطان لزمه ذلك إذا رجا أن يسمع منه))^(٢).

٢- وقوله ﷺ: ((ثلاث لا يغفل عليهن قلب مسلم: إخلاص العلم لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن الدعوة تحيط من ورائهم))^(٣).

ثالثاً: يلاحظ أن ما وجد من قصص القصاص للحكام كان موجهاً لعمر ﷺ، وذلك لأمرين:

١- أن عمر ﷺ كان من أكثر الخلفاء الأربعة من حيث طول مدة الخلافة .
٢- أن عمر ﷺ كان يطلب من القصاص أن يُذكروه، من ذلك ما قاله كعب-رحمه الله-: ((كنتُ عند عمر فقال لي يا كعب خوفنا))^(٤).

وكان يطلب أحياناً موضوعاً بعينه، من ذلك أنه ﷺ قال مرّة: ((يا كعب حدثنا عن الموت))^(٥).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((كان عمر ﷺ يستدعي من كعب الموعظة))^(٦). بل كان يطلب من الرعية أجمع أن ينصحوه يقول ﷺ: ((أيتها الرعية إن لنا عليكم حقاً: النصيحة بالغيب، والمعونة على الخير))^(٧).

ﷺ

()

(/)

(/)

(/)

()

(/)

()

": ()

(/)

": (/)

:

()

(/)

(/) (/)

()

()

:

()

(/)

(/)

وقال ﷺ مرغباً في حفظ اللسان والتكلم به فيما يُرضي الله- عزّ وجلّ- ومرهباً من إطلاقه والتكلم به فيما لا يرضيه- سبحانه-: ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم))^(١).

وقال عليه الصلاة والسلام مرغباً في المبادرة إلى فعل الخير لئُستن به، ومرهباً من المبادرة إلى فعل الشرّ مخافة أن يُستن به: ((من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء))^(٢).

وهذا هو الواجب على الفُصّاص والدعاة بعامة؛ ألا يجعل قصصه الترهيب على الدوام، ولا الترغيب على الدوام. فإنّ الشريعة الإسلامية وسط في كل أمورها، فلا يجوز بحال الغلو والإفراط، أو التوسع والتفريط في جانب على حساب آخر، فكما أن الإسلام دين يسر وسماحة وترغيب، هو كذلك دين عزيمة وقوة وترهيب. وكما أن الترغيب من شأنه تقريب الناس إلى الدين وترغيبهم فيه فإنّ الترهيب تعود أهميته إلى كونه الأسلوب المناسب لإنقاذ المسلم العاصي المستمرىء للمعصية، والذي يُخشى عليه أن تنتهي به المعصية إلى فسوق، ثم إلى فجور وكفر- والعياذ بالله-، فكان الترهيب بمثابة لجام معنوي يأخذ بحجز الإنسان بعيداً عن النار))^(٣).

ولاشك في أنه قد يحتاج إلى الاقتصار على واحد منهما حسب المقام، وهذا ما تقتضيه الظروف وطبيعة المناسبة، فإن من الناس من لا يستجيب إلا بالترهيب. قال الإمام أحمد -رحمه الله-: ((والناس يحتاجون إلى مداراة ورفق.... بلا غلظة إلا رجل معطن بالفسق، فقد وجب عليك نهيه وإعلامه))^(٤).

ثالثاً: ظهر جلياً وضوح قصص هذا العصر بنسبة (٥٣٪). ولاشك بأنّ وضوح القصة والموعظة، وبعدها عن الغرابة والخشونة والتعقيد اللفظي والمعنوي

() ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

مطلب ملحّ، والحاجة إليه ماسة حتى يفهم جلّ الناس ما يريد القاصّ أن يقوله، ولا يعني ذلك أن تكون القصة مبتذلة سوقية .
قال النووي-رحمه الله-في بيان ذلك: ((ولا تكون ألفاظاً مبتذلة ملفقة فإنها لا تقع في

النفوس موقعاً كاملاً، ولا تكون وحشية لأنه لا يحصل مقصودها، بل يختار ألفاظاً جزلة مفهومة))^(١).

ولاشك في أنّ للقرآن الكريم أثره في هذا الوضع، فلقد تأثر القصاص بألفاظه السهلة، ونهلوا من معانيه الميسورة. ولذا كان منهم من إذا أورد عبارة يظن ألا يفهم سارع بإيضاحها. من ذلك أنّ عبيداً بن عمير-رحمه الله-أوضح إحدى العبارات لما شك في غموضها، يقول: ((يجيء فقراء المهاجرين تقطر سيوفهم ورماحهم دماً، فيقال لهم: انتظروا تحاسبوا. فيقولوا: هل آتيتونا من دنيا فتحاسبونا بها؟ قال: فينظر فلا يوجد لهم إلا كورهم التي هاجروا عليها يعني كورهم الكارة التي يحملون فيها زادهم ومتاعهم فيقول الله تعالى: أنا أحق من أوفى وعدهم، ادخلوا الجنة بسلام. قال: فيدخلون قبل الناس بخمسمائة عام))^(٢).

رابعاً: عمد بعض القصاص أثناء قصصهم إلى أسلوب التشبيه بنسبة بلغت (١٨,٧٥%)، وهو أمر حسن؛ إذ استخدام هذا الأسلوب في الدعوة من شأنه أن يقرب الموضوعات التي يطرقها الداعية بتشبيهها ببعض الصور من الواقع لتكون أقرب لأذهان المدعويين، وأقوى في التأثير فيهم.

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لحديث رؤية الله-تعالى- يوم القيامة^(٣): ((في هذا الحديث من الفوائد: جواز مخاطبة الشخص بما لا تدرك حقيقته، وجواز التعبير عن ذلك بما يفهمه، وأن الأمور التي في الآخرة لا تشبه بما في الدنيا إلا في الأسماء، والأصل مع المبالغة في تفاوت الصفة والاستدلال على العلم الضروري بالنظري))^(٤).

ولبعض أئمة أهل العلم فضل الإفادة بجملة كبيرة من ذلك، ومن أكثر من رأته ضرب بسهم وافر في طرق هذا الأسلوب من المحققين ابن القيم-رحمه الله-، من ذلك قوله: ((وقد خلق الله سبحانه النفس شبيهة بالرحا الدائرة التي لا تسكن، ولا بد لها من شيء تطحنه، فإن وضع فيها حب طحنته، وإن وضع فيها تراب أو

(/)

()

(/)

()

(پپ پ پپٹ ٹ)

- - ()

(/)

(/)

(/)

()

حصا طحنته. فالأفكار والخواطر التي تجول في النفس هي بمنزلة الحَب الذي يوضع في الرحا، ولا تبقى تلك الرحا معطلة قط، بل لا بد لها من شيء يوضع فيها، فمن الناس من تطحن رحاه حبا يخرج دقيقا ينفع به نفسه وغيره، وأكثرهم يطحن رملا وحصا وتبنا ونحو ذلك، فإذا جاء وقت العجن والخبز تبين له حقيقة طحينه^(١).

وقد حفلت أحاديث المصطفى ﷺ بجملة وافرة من استعماله عليه الصلاة والسلام هذا الأسلوب^(٢).

من ذلك حديث: ((لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم))^(٣).

قال الكرمانى -رحمه الله-: ((الإبل الحمر، هي أحسن أموال العرب، فيضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وليس عندهم شيء أعظم منه، وتشبيهه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الفهم، وإلا فذرة من الآخرة خير من الدنيا وما فيها بأسرها وأمثالها معها))^(٤).

المطلب الثاني:

مناقشة أهم النتائج في العهد الأموي وتقويمها

الفرع الأول: المصادر

أولاً: كثر الاستشهاد بالقرآن الكريم بطرق متنوعة ما بين نص وتضمين واقتباس وتفسير للآيات، وإن كان غالب ذلك مرتكزاً على ما في القرآن الكريم من قصص الأنبياء-عليهم السلام- فكان للفصّاص عناية بأخبار الأنبياء وقصصهم، وقد أورد القرآن الكريم كثيراً من هذه القصص والتي كانت تشتمل على مواعظ متعددة من خلال سيرهم، وصبرهم، واحتسابهم، وحسن عاقبتهم وعاقبة من تبعهم وأمن بهم.

()

-

() :

(/) (/) .

(/) ()

(/) ﷺ

()

(/)

وإن إيراد القصص لقصاص الأنبياء واستشهادهم بذلك فيه التأسى بالنبى ﷺ الذي ذكر طرفاً من ذلك في مواضعه وخطبه وتذكيره. كقوله ﷺ: ((إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت))^(١).

قال ابن رجب الحنبلي-رحمه الله-: ((يشير إلى أن هذا متأثر عن الأنبياء المتقدمين، وأن الناس تداولوه بينهم، وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن، وهذا يدل على أن النبوات المتقدمة جاءت بهذا الكلام، وأنه اشتهر بين الناس حتى وصل إلى أول هذه الأمة))^(١).

إلا أن بعض القصص لم يكتفوا بما ورد في القرآن والسنة من القصص التي تتصل بالأنبياء؛ ولعل من أهم أسباب هذا الصنيع هو طلب الاستزادة من المدعوين، فالقرآن لم يفصل في كثير من القصص بل اكتفى بذكر جانب منها لغاية معينة، مما أثار عند العامة جملة من التساؤلات، فيبدأ القاص بالاستعانة بمصادر أخرى ليلبي رغبة المستمعين^(١).

وبلغ الاستشهاد بالقرآن الكريم ما نسبته (١٩,٤%) كأعلى نسبة استشهاد في مصادر هذا العصر، ويرجع ذلك لأمرين متعددين منها:

١- مكانة القرآن العظيمة، وسهولة الاستدلال به والرجوع إليه، وذلك لانتشار المصاحف بين المسلمين في العصر الأموي، مما كان سبباً في كثرة قراءته وحفظه.

يقول الدكتور أحمد الحوفي: ((أما في العصر الأموي فقد انتشر القرآن وكثر حفظه؛ إذ كان عثمان ؓ قد كتب المصاحف ووزعها في الأمصار، وجاء بنو أمية فنشروا منها نسخاً كثيرة، فسهل على المسلمين أن يقرؤوا وأن يحفظوا))^(١).

٢- وجود قصص في العهد الأموي اشتهروا بالتفسير كمجاهد وقتادة-رحمهما الله- كان له دور في إثراء قصصهم بتفسير كلام الله -تعالى- فمجاهد إمام في التفسير قرأ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات يقف عند كل آية يسأله عنها: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟^(١) وقتادة عالم التابعين في التفسير، قال عنه الذهبي: ((قدوة المفسرين))^(١). ((بل اشتهر في كل مدينة جماعة من المفسرين))^(١).

(/)

()

()

: ()

()

(/)

(/)

: ()

(/)

()

٣- أن الاستدلال بالقرآن الكريم من شأنه كسب ثقة المدعويين، فإنّ القاص مهما بلغ من فصاحة اللسان، وقوة البيان، وبلاغة الخطاب فإنه لن يستطيع إقناع الناس، وإفهامهم دون الرجوع لشواهد القرآن الكريم .

ثانياً: يلاحظ قلة الاستشهاد بالسنة النبوية؛ حيث بلغت نسبة ذلك (٦,٩٪)، وهي نسبة قليلة إذا قورنت بنسبة الاستشهاد بالقرآن الكريم ولعل ذلك راجع إلى أن سمعة بعض القصاص بدأت تسوء حتى إن بعض المحدثين لا يحتج بحديثهم، فأصبح القصاص يقلون من رواية الحديث حفاظاً على سمعتهم والله أعلم .

من ذلك أن والد إبراهيم التيمي طرد ابنه إبراهيم من بيته لما علم أنه قصص^(١).

وأشير هنا إلى أن تضعيف القصاص لم يكن الأصل، بل كثر في هذا العصر توثيق العلماء للقصاص .

قال أحمد-رحمه الله-: ((ثابت يتثبت في الحديث))^(١).

وقال الذهبي-رحمه الله-: ((وهب بن منبه ثقة مشهور))^(١).

ثالثاً: كان للإسرائيليات نصيب من قصص القصاص، فقد كان وهب بن منبه- رحمه الله- من أبرز قصاص هذا العصر، وهو مشهور بنقل قصص بني إسرائيل^(١).

قال عنه الذهبي-رحمه الله-: ((كان ثقة صادقاً كثير النقل من كتب الإسرائيليات))^(١).

وقد بلغت نسبة الاستشهاد بالإسرائيليات (١٨٪) وسبق بيان حكم روايتها^(١).

رابعاً: حرص القصاص على نقل مواعظ العباد من أقوالهم وأفعالهم، ولاسيما ما كان في باب الزهد والرقائق، ووجدوا في ذلك مادة خصبة للتأثير على المدعويين؛ إذ في نقل تلك الأخبار ترقيق للقلوب، وتزهد في الدنيا، وإقبال على

()

() : (/) .

() (/) .

() (/) .

() : (/) (/) .

() (/) .

() :

الآخرة. وقد بلغت نسبة الاستشهاد بذلك (١٨٪). وأشار هنا بأن النقل عن العُباد كان على وجهين:-

الأول: الإسناد، وهو السمة الغالبة في هذا العصر، ولا أعني بالإسناد: سلسلة الرجال الموصلة للمتن، بل المراد كما عرفه الصنعاني-رحمه الله- بقوله: ((الإسناد رفع الحديث إلى قائله))^(١) بتحديد اسمه أيًا كان هو .

ولا تقارب بين أسانيد القصاص وأسانيد المحدثين، ولذلك ميّز شيخ الإسلام ابن تيمية بينهما بقوله-رحمه الله-: ((والمصنفون من أهل الحديث في ذلك كالبعثي وابن أبي الدنيا ونحوهما كالمصنفين من أهل الحديث في سائر المنقولات، هم بذلك أعلم وأصدق بلا نزاع بين أهل العلم؛ لأنهم يسندون ما ينقلونه عن الثقات، أو يرسلونه عن مرسله يقارب الصحة بخلاف الأخباريين، فإن كثيراً مما يسندونه عن كذاب أو مجهول))^(٢).

ولعل السبب في ذلك هو ((أن علماء الجرح والتعديل لم يولوا القصص اهتماماً يذكر، ولم يعتنوا بتحقيقها؛ لأن العلماء كانوا ينظرون إلى تلك القصص على أنها... لا يقوم عليها أمر من أمور الدين، أو حكم من أحكامه))^(٣).

لقد كانت السمعة السيئة لبعض القصاص حينذاك حافز لبعضهم أن يدافعوا عن أنفسهم، ويحاولوا تحسين سمعتهم، وإظهار قصصهم بالمظهر المقبول، فكان من ذلك استعمال السند.

الثاني: عزو الكلام لأحد العُباد دون تحديد الاسم، بمعنى أن يكون المنقول عنه مجهولاً، كأن يقول ((حدثني رجل)). ومعلوم أن الرواية عن المجاهيل تُعدُّ طعنًا في

الراوي كما قرر ذلك علماء الجرح والتعديل^(٤).

وقد ضعف المحدثون جملة من الرواة بسبب ذلك مثل: أحمد بن عيسى^(٥)، وصدقة ابن هبيرة^(٦) وداود بن المحبر^(٧)، والخليل بن مرة^(٨)، وغيرهم .

(/) ()

(/) ()

()

: ()

(/)

(/) : ()

(/) : ()

خامساً: استشهد القصاص بأقوال الصحابة حيث بلغت النسبة (٨,٣٪). ويعد قول الصحابي من المصادر المعتبرة في الاعتقاد والتشريع والأخلاق . والصحابة هم أعلم الناس في فهم مراد الله، وفهم مراد رسوله ﷺ بلا منازع . فهم المصطفون الأخيار، والقدوة الحسنة، في امتثال الشرع قولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً، سرّاً وعلانية، في المنشط والمكروه وفي اليسر والعسر، وفي جميع الأحوال .

وللعلماء في الاحتجاج بقول الصحابي مذاهب متعددة، الراجح فيها: أن قول الصحابي حجة إذا انتشر، ولم يُعلم له مخالف، وهو ما يسمّى بالإجماع السكوتي^(١). وقد أجمع العلماء على أنه حجة قاطعة^(٢).

سادساً: استشهد القصاص بالكتب عامة بنسبة (٨,٣٪)، من دون تحديد أسماء هذه الكتب. فكثيراً ما تقرأ (قرأت في بعض الكتب) و(قرأت في الكتب)، وإن بدا أنها في الغالب كتب لبعض الزهاد والمتصوفة وكتب الإسرائيليات. وقد كثر ذلك تحديداً عند وهب بن منبه^(٣)، ومالك بن دينار^(٤) الذي (من الواضح ومن

(/) :

(/)

(/) :

(/) :

(/)

(/) :

(/)

(/)

(/) (/) (/) :

(/)

(/)

(/) (/)

(/) .

(/) :

(/) .

(/) (/)

(/)

خلال قراءة ترجمته في كتب الطبقات أنه متأثر بما ترويه الكتب القديمة عن الزُّهَّاد والرهبان^(١).

(١)

(/)

الفرع الثاني: القضايا

أولاً: الجانب العقدي

سبق بيان أسباب اهتمام القصاص بعامة الجانب العقدي^(١)، إلا إنه هنا قد زاد الاهتمام وكثر التنوع في تناول هذه الموضوعات، وإن كان التركيز منصباً على ماله علاقة بجانب الترغيب إلى حد كبير ويتضح ذلك فيما يأتي:

١- احتلت موضوعات أسماء الله وصفاته المرتبة الأولى من اهتمام القصاص . ولاشك في أن بيان أسماء الله-تعالى- وصفاته من أشرف العلوم، فإن شرف العلم تابع لشرف معلومه. ولقد اعتنى علماء الإسلام قديماً وحديثاً في بيان أسماء الله وصفاته، وشرحها، وإيضاحها، وبيان ثمرات الإيمان بها^(٢)، والتي من أبرزها هنا:

أن العبد يقع في المعصية، فتضيق عليه الأرض بما رحبت، ويأتيه الشيطان؛ ليجعله يسيء ظنه بربه، فيتذكر أن من أسماء الله: الرحيم، التواب، الغفور فلا يتمادى في خطيئته، بل ينزع عنها، ويتوب إلى ربه، ويستغفره فيجده غفوراً تواباً رحيماً.

لقد جعل القصاص من بعض صفات الله تعالى باباً لتوبة العصاة والمذنبين، ولاسيما إذا علمنا بأن النسبة لهذا الموضوع بلغت (٢٥٪).

٢- وجد القصاص فيما يتعلق باليوم الآخر من المواعظ والقصاص ما يمكن أن يحققوا به أهدافهم الدعوية من رجوع الناس إلى ربهم، والاستجابة له، والتوبة إليه، فأكثروا من القصّ عن الموت، والقبر، والحشر، والصراط، والجنة، والنار. فبلغت نسبة ذلك (٣٣,٣٪)، ليرغبوا الناس في طاعة الله طمعاً في الثواب، والبعد عن معصيته خوفاً من العقاب، وتسليّة المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

٣- تناول القصاص شيئاً من صفات الملائكة، منها ما هو ثابت بنص القرآن ومنها ما هو مذكور في بعض المصنفات المسندة. وكان ذلك بنسبة (٦,٩٪). ومعلوم أن الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان. ومن أبرز ثمرات الإيمان بالملائكة هنا:

()

() :

العلم بعظمة خالقهم عز وجل، وكمال قدرته وسلطانه، ثم شكر الله تعالى على لطفه وعنايته بعباده حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك مما تتحقق به مصالحهم في الدنيا والآخرة^(١).

ثانياً: الجانب التشريعي:

١- أخذ موضوع الصلاة نصيباً لا بأس به من هذا الجانب بنسبة (٩,٧%)، ما بين بيان لعظم مكانتها، وحث على التبكير لها، وتنبيه للأماكن التي لا يجوز الصلاة فيها.

وقد حاول بعض القصاص أن يبين للمدعويين التقارب الواضح بين دعوات الأنبياء، ولاسيما في الجانب التشريعي.

والقاعدة المشهورة: أن شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد شرعنا بخلافه: ((لا شك أنها قاعدة صحيحة))^(١). فإن المتأمل في كتاب الله-تعالى- يجد أصل الدين واحداً وهو التوحيد الخالص لله بإفراده بالعبادة، وعدم الإشراك به مع تنوع الشرائع، واختلاف الأحكام العملية التي خوطبت بها كل أمة من الأمم، قال تعالى: (ج ج ج ج ج ج) : (ج ج ج ج ج ج)^(١)

قال القرطبي-رحمه الله-: ((في قصة البقرة هذه دليل على أن شرع من قبلنا شرع لنا))^(١).

يقول شيخ الإسلام في تفسيره للآية السابقة: ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا، فأمره أن يحكم بما أنزل الله على من قبله، لكل جعلنا من الرسولين والكتابين شرعة ومنهاجا أي سنة وسبيلا. فالشرعة: الشريعة وهي السنة والمنهاج: الطريق والسبيل، وكان هذا بيان وجه تركه لما جعل لغيره من السنة، والمنهاج إلى ما جعل له))^(١).

() :

()

(/) : (/) (/) .

() ()

() ()

(/) (/) : (/) (/) (/)

()

(/) (/)

وعقد شيخ الإسلام-رحمه الله- فصلاً^(١) بعنوان: فصلٌ في توحيد الملة، وتعدد الشرائع وتبوعها، وتوحد الدين المللي دون الشرعي.

٢- اهتم القصاص بصيام التطوع وقيام الليل، وسردوا القصص التي فيها الحث على ذلك، وفي بعضها تجاوز بين للمنهج الصحيح. فقد ذكر عبدالله بن غالب الحداني-رحمه الله-: ((أن عامر بن عبد الله قد فرض على نفسه في كل يوم وليلة ألف ركعة))^(١)، ولم يكن هذا ماثوراً عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه من بعده .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((كان رسول الله ﷺ يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة))^(١) وفي رواية لابن عباس رضى الله عنهما ((ثلاث عشرة ركعة))^(١).

٣- بين القصاص فضل الداعية إلى الله-تعالى- وأهمية شعيرة النهي عن المنكر بنسبة لا بأس بها بلغت (٩,٧٪). وحدد بعضهم منكرات معينة كالغيبة، والتعرض للنساء وخطورة التساهل في إنكار مثل ذلك.

ولاشك بأن في ذلك حماية للمجتمعات من أسباب العذاب؛ فلقد بعث الله -جل وعلا- أنبياءه وأرسل رسله، وحملهم مهمة القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد دل قوله تعالى: (وَأَوْثِرْهُ وَوَأَوْثِرْهُ بِ) ^(١) وقوله تعالى في

وصية لقمان لابنه: (يٰٓأَيُّهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ^(١) دللت

هذه الآيات على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كانا واجبين في الأمم المتقدمة .

قال الرازي-رحمه الله-: ((الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، إن هذه الصفات الثلاث كانت حاصلة في سائر الأمم))^(١).

() : (/)

()

-

() (/)

ﷺ

(/)

()

(/)

((/))

() ()

() ()

(/) ()

چچ چچ) (١) وقال تعالى (وُؤ وُؤ) (١) وقال الله تعالى في الحديث القدسي: ((يا عبادي؛ إني حرمت الظلمَ على نفسي وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا)) (١).

ومن أسمائه سبحانه (العدل، والمقسط) والله-تعالى- كما أنه عادل فهو قد أوجب العدل على عباده، وأعلى منزلة العادلين.

٣- كما كان للقصاص تناول يسير لأدب الحوار، وأدب الاستماع بخاصة بنسبة بلغت (٥,٦%)؛ إذ لا بد للداعية الناجح أن يتقن فن الاستماع، فكما أن للكلام فناً وأدباً، فكذلك للاستماع، وليس الحوار من حق طرف واحد يستأثر فيه بالكلام دون محاوره.

ومما ينافي حسن الاستماع: مقاطعة كلام الطرف الآخر، فإنه طريق سريع لتنفير المدعو، إضافة إلى ما فيه من سوء أدب، وقد ذكر العلماء في آداب المتناظرين: ألا يتعرض أحدهما لكلام الآخر حتى يفهم مراده من كلامه تماماً، وأن ينتظر كل واحد منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه، ولا يقطع عليه كلامه من قبل أن يتمه.

والاستماع إلى الطرف الآخر وحسن الإنصات، تهيب الطرف الآخر لقبول الحق، وتمهد نفسه للرجوع عن الخطأ.

يقول ابن المقفع: ((تَعَلَّمْ حَسَنَ الاستماع كما تتعلم حسن الكلام؛ ومن حسن الاستماع: إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه. وقلة التلفت إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول)) (١).

رابعاً: الجوانب الأخرى

١- تناول القصاص موضوع الزهد بنسبة بلغت (١٦,٧%)، وقد ركز قصاص هذا العصر على أمرين في الزهد، الأول: الزهد في المال، والثاني: الزهد في الزواج.

فأما الأول فنعم، فقد جاءت النصوص الدالة على ذلك، وإن كان ذلك بقدر، فإن الإنسان مفطور على حب الدنيا وطول الأمل (١). وفي الحديث: ((لا يزال قلب

الكبير شاباً في اثنتين في حب الدنيا وطول الأمل)) (١).

() ()

() ()

(/) ()

()

(/)

(/) : ()

قال الحافظ ابن حجر: ((وفي الأمل سر لطيف لأنه لولا الأمل ما تهنئ أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع في عمل من أعمال الدنيا وإنما المذموم منه الاسترسال فيه))^(١).

وأما ترك الزواج والتزهيد فيه فإني أعتبرها مرحلة انتقالية عند قصاص هذا العصر في حديثهم عن الزهد؛ ويمثل هذه النقطة مالك دينار-رحمه الله- فهو يدعو إلى أمور ليست عند القصاص والزهاد السابقين، منها التجرد أي: ترك الزواج، وهو نفسه امتنع عن الزواج وكان يقول: ((لا يبلغ العبد منزلة الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة، ويأوي إلى مزابل الكلاب))^(١)، وسئل مرة: ((يا مالك ألك امرأة؟ قال: أعوذ بالله))^(١).

قال الشيخ بكر أبو زيد-رحمه الله-: ((وهذه السيرة الأعجمية نرجو ألا تصح عن مالك رحمه الله))^(١).

ولاشك في أنّ هذا مسلك خاطئ، ومنهج صوفي، ورهبانية وتشدد، ومخالفة صريحة للمنهج الشرعي. فإن الله-تعالى- جعل الزواج سبباً لحصول السكون والطمأنينة حيث قال عز وجل: (ذُرِّزَتْ لَكُمُ الْكَزَاكِمُ لِتَسْكُنُوا فِيهَا لَهَا بَنَائِبٌ كَغِيَابِ الْجَبَلِ) ^(١) ورسولنا ﷺ يحذر المعرضين عنه كما جاء في حديث النفر الثلاثة وفيه: ((لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني))^(١).

(/) ()

(/) : ()

(/) ()

()

()

() ()

(/) ()

(/)

وقال ﷺ: ((تزوجوا الولود الودود؛ فإنني مكاتر بكم الأمم يوم القيامة))^(١).

وقال ﷺ: ((حُبب إليّ من الدنيا الطيب والنساء، وجُعلت قرّة عيني في الصلاة))^(٢).

وعن أبي ذرٍّ عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يأتي أحدنا شهوته ويكون فيها له أجر؟ قال: أفرأيتم لو وضعها في حرام، هل عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر))^(٣).

وما أحسن ما قاله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل-رحمه الله-: ((ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء، النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع، ثم قال: لو كان بشر بن الحارث تزوج قد تم أمره كله، لو ترك الناس النكاح لم يغزوا، ولم يحجّوا..... وقد كان النبي عليه الصلاة والسلام يصبح وما عنده شيء، وكان يختار النكاح ويحث عليه، وينهى عن التبتل، فمن رغب عن عمل النبي عليه الصلاة والسلام فهو على غير الحق))^(٤).

وقد أفرد ابن الجوزي-رحمه الله- فصلاً في كتابه تلبيس إبليس سمّاه: تلبيس إبليس على الصوفية في ترك النكاح. ذكر فيه جملة من الأدلة والأمثلة التي تبين سوء صنيع الصوفية ومخالفتهم للسنة النبوية.

قال الذهبي-رحمه الله-: ((وكل من لم يزم^(٥) نفسه في تعبدته وأوراده بالسنة النبوية، يندم ويترهب ويسوء مزاجه، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرؤوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال ﷺ معلماً للأمة أفضل الأعمال، وأمرا بهجر التبتل والرهبانية التي لم يُبعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من الأوامر والنواهي. فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية، المتجاوز

(/)

()

(/)

(/) .

(/)

()

(/)

(/)

()

-

()

()

:

()

لها مفضول مغرور، وأحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قل. ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة، وجنبنا الهوى والمخالفة^(١).

٢- كما تحدث القصاص عن موضوع التوبة، بنسبة بلغت (٨,١٣٪). ويبدو أنه موضوع يتكرر عند غالب القصاص، وسبق الحديث عن ذلك.

الفرع الثالث: المدعو

أولاً: توجه القصاص بغالب قصصهم إلى العامة في نسبة عالية بلغت (٧٧,٩١٪).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: «القصاص والوعاظ ترسموا بهذا الأمر لخطاب العوام»^(٢). وقد سبق التفصيل في الدراسة النظرية عن أسباب توجه القصاص للعامة وثقة العامة فيهم.

وقد اتخذ القصاص مع العامة ما يناسبهم من القصص، من ذلك تطف القصاص معهم، ولا سيما عند ابتداء القصص، فغالباً ما يبتدئون بقولهم: (عباد الرحمن)، وقد تكررت هذه العبارة كثيراً^(٣).

ولا شك في أنّ مقام النصح، ودعوة الناس إلى الله يقتضي التلطف ليكون ذلك أدعى للقبول، وليكون الكلام أوقع في نفس السامع.

ثانياً: يلاحظ بُعد القصاص عن مجالس الحكام وعدم الذهاب إليهم ابتداءً، ويفهم ذلك من كثرة الحكام وقلة التوجه لهم بالقصص. فقد بلغت نسبة المدعو من الحكام (٤٪) فحسب. ولعل ذلك راجع لما كان سائداً لدى السلف من تشدد وطعن فيمن يدخل على الأمراء والحكام، من ذلك ما قاله رجل للإمام أحمد إن أهل حرّان يسيئون الثناء في أحمد بن عبد الملك الحرّاني، فقال-رحمه الله-: ((أهل

(/) ()

()

(/) (/) (/) ()

حران قلّ أن يرضوا عن إنسان وهو يغشى السلطان^(١)، وهي مسألة مشهورة والخلاف فيها

معروف؛ فمن العلماء من أجاز ذلك ومنهم من منع، وليس هذا مكان بسطها^(٢) والمسألة خاضعة لاختلاف المقاصد، والنظر في المصالح العامة. والصواب فيها- والله أعلم- جواز ذلك متى ما كان في دخوله مصلحة كأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وتعليمه ودعوته وإرشاده. فالحاكم داخل في قوله ﷺ: ((الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: الله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم)).

فالدخول على السلاطين الأصل فيه الجواز، فإذا اقترن بالدخول أمر يحمده شرعاً كان الدخول مستحباً أو واجباً. أما إذا اقترن بالدخول أمر مذموم شرعاً كان الدخول منهيّاً عنه لا لذاته، بل لما تُرِنَ به من الأمر المذموم شرعاً^(٣).

قال الإمام مالك- رحمه الله-: ((حق على كل مسلم أو رجل فعل الله في صدره شيئاً من العلم والفقهاء أن يدخل إلى ذي سلطان يأمره بالخير وينهاه عن الشر، ويعظه حتى يتبين دخول العالم على غيره، لأن العالم إنما يدخل يأمره بالخير وينهاه عن الشر، فإذا كان فهو الفضل الذي لا بعده فضل))^(٤).

وقال الشوكاني- رحمه الله-: ((لو امتنع أهل العلم والفضل والدين عن مداخلة الملوك لتعطلت الشريعة المطهرة لعدم وجود من يقوم بها، وتبدلت تلك المملكة الإسلامية بالمملكة الجاهلية في الأحكام الشرعية من ديانة ومعاملة، وعم الجهل وطم، وخولفت أحكام الكتاب والسنة جهاراً))^(٥).

ثانياً: سلك بعض القصاص في قصصهم على الحُكام الطُرق الشرعية والتي منها:

(/) ()

: ()

: ()

()

. (/) .

()

١- السرية في مناصحة الحكام ، ويلاحظ ذلك مثلاً من قول مالك بن دينار- رحمه الله-: ((كنت عند بلال بن أبي بردة^(١) وهو في قبة له، فقلت قد أصبت هذا خاليا فأبي قصص أقص عليه... إلخ))^(٢) وهكذا ينبغي أن تكون الموعدة سرّاً بين القاص والحاكم من غير جهر بها فإن الجهر بأخطاء الحاكم بين الناس ونشره في المجالس والمحافل سبيل إلى إثارة الفتن والقتل.

والنصوص الواردة في الأمر بمسارّة الحاكم متعددة منها:
- قوله ﷺ: ((من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبدو له علانية، ولكن ليأخذه بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدّى الذي عليه له))^(٣).

- ما جاء عن أسامة بن زيد ﷺ أنه قيل له: "ألا تدخل على عثمان ﷺ فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه"^(٤).

قال النووي- رحمه الله-: ((يعنى المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملاء كما جرى لقتلة عثمان ﷺ، وفيه الأدب مع الأمراء، واللفظ بهم، ووعظهم سرّاً، وتبليغهم ما يقول الناس فيهم لينكفوا عنه))^(٥).

وكان السلف يكرهون وعظ الحاكم على رؤوس الأشهاد، ويحبون أن تكون سرّاً، ويرون أن ذلك من علامات النصح، ومن دواعي الاستجابة^(٦).

٢- إنزال الحاكم منزلته، ويلاحظ ذلك مثلاً من مخاطبة القصاص للحكام ب: أمير المؤمنين^(٧).

إنّ من عوامل نجاح الدعوة أن ينزل الداعية كل إنسان منزلته، فمن كان من أهل المكانة والوجاهة أنزله المنزلة التي تليق به، ومن كان شيخاً للقبيلة أنزله منزلته، وهكذا.

ومن أراد أن يسوي بين الناس في دعوته فسيبوء بالفشل .

() : . (/) .

() (/) .

() (/)

- (/)

() (/)

() (/)

() :

() (/) (/) (/) .

تقول عائشة-رضي الله عنها-: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنزل الناس منازلهم))^(١).
قال النووي -رحمه الله-: ((ومن فوائده: تفاضل الناس في الحقوق على حسب منازلهم ومراتبهم، وهذا في بعض الأحكام أو أكثرها))^(٢).

وكان النبي عليه الصلاة والسلام: إذا كتب كتاباً إلى ملك أو غيره أنزله منزلته، فمن ذلك مثلاً ما كتبه إلى ملك الروم: ((من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم))^(٣).

٣- القصد على الحاكم يوم ولايته ونصحه. من ذلك أن محمد بن كعب القرظي دخل على عمر بن عبد العزيز-رحمه الله-يوم ولي فقصد عليه^(٤).

إنّ في صلاح ولاة الأمر واستقامتهم أثراً عظيماً على صلاح شأن البلاد والعباد، وبصلاح السلطان تصلح الرعية، ويستقيم أمرهم، ويعم الخير وينتشر الأمن، ويسلم للناس دينهم وتصلح لهم دنياهم. ولا يلزم من القصد على الحاكم اتهامه بتجنب الطريق السويّ ولكنها تذكرة وتثبيت؛ حال ذلك كحال غيره من عامة الناس.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: ((إن الناس لم يزلوا بخير ما استقامت لهم ولاتهم))^(٥).

وقال ابن مسعود ﷺ: ((لن تزالوا بخير ما صلحت أئمتكم))^(٦).

ويحسُن هنا الإشارة إلى ما قيده أهل العلم من ضوابط لا بدّ من مراعاتها عند وعظ الحكام عدا ما دُكر من أبرزها:

١- الإخلاص في القصص: فينبغي أن يقصد بقصصه وجه الله-تعالى- وصلاح الحاكم في نفسه، لا أن يقصد شيئاً من حطام الدنيا، أو بلوغ مكانة أو حظوة عند الحاكم.

قال ابن النحاس-رحمه الله-: ((الداخل على الأمراء والسلطين لقصد الإنكار والموعظة يجب أن يكون قصده في ذلك خالصاً لله تعالى؛ فإنه قد يقدم على ذلك وإنما قصده أن يكون كلامه سبباً لتعرفه بالسلطان، أو طلب المنزلة

()	(/)	: ((()
()	(/)		(/)
()	(/)		(/)
()	(/)		(/)
()	(/)		(/)
()	(/)		(/)
()	(/)		(/)
()	(/)		(/)

عنده.....وهذه مزلة عظيمة يجب التفطن لها والتنبه عليها، وتحقيق القصد قبل الوقوع فيها^(١).

٢-الرفق:وهو مطلوب في كل حال، ففي الحديث:((إنَّ الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله، ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف))^(١).

وفي الحديث الآخر:((ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا كان العنف في شيء إلا شانه))^(١).

والرفق مع الحاكم أشد تأكيداً؛ لأن للحاكم مكانته ومنزلته، ولأن ذلك أدهى لقبول قصصه ومواعظه .

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:((فإن وعظ سلطاناً تلتف معه غاية ما يمكن))^(١).

وقال-رحمه الله-(الجانز من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلاطين التعريف والوعظ، فأما تخشين القول نحو:يا ظالم، يا من لا يخاف الله؛ فإن كان ذلك يحرك فتنة يتعدى شرها إلى الغير لم يجز، وإن لم يخف إلا على نفسه فهو جائز عند جمهور العلماء، والذي أراه المنع))^(١).

٣-القدرة والاستطاعة: فليس كل أحد من الناس يصلح لهذا الأمر، فإن الدخول على الحاكم للقصاص عليه ووعظه ونصحه وتذكيره لا يستطيعه كل أحد، فلا ينبغي للقاص أن يُقدم على ذلك إلا إذا علم من نفسه رباطة الجأش وقوة الإرادة. أما إن خشي على نفسه الهلاك أو الفتنة فلا ينبغي له ذلك^(١).

()

(/)

()

(/)

(/)

()

()

(/)

:

(/)

()

- -

: ()

:

-

-

-

الفرع الرابع: الخصائص

١- أخذ أسلوب الترغيب والترهيب الحيز الأكبر بنسبة بلغت (٦٠,٧%) وهذا ليس بمستغرب، فإن القصص جعلوا من هذا الأسلوب طريقاً لهم لكسب قلوب المدعوين. فإن أسلوب الترغيب والترهيب ((من الأساليب ذات الأهمية البالغة في مجال الدعوة إلى الله؛ وذلك لأن غرس الخوف من غضب الله وعقابه العاجل والأجل في النفوس مطلوب، لكي يحمل النفوس على اتقائه... كما أن غرس الرجاء في النفوس والترغيب فيما عند الله- سبحانه- من الخير الذي لا منتهى له في الدنيا والآخرة أمر مطلوب كذلك، حتى يبادر العبد إلى القيام بكل ما من شأنه أن يجعله أهلاً لنفحات الله سبحانه ورحمته وكرمه))^(١).

ولعلّ من أسباب كثرة استخدام هذا الأسلوب أنه موافق لفطرة الناس، وما كان أقرب للفطرة كان أرجى للقبول والانقياد له. إن الدعوة بالقصص لها تأثير وعظي وعاطفي، إذ هي لصيقة بالترغيب والترهيب. وهنا يمكن القول أن الدعوة بالقصص هي دعوة بالموعظة الحسنة. فإن القصص في مضمونه ما هو إلا اتعاظ بمن مرّ من الأمم الخالية، والأجيال الزائلة.

٢- ظهر أسلوب الحوار في هذا العصر بنسبة بلغت (١٦,٧%). وقد استعمل القصص الحوار وسيلة دعوية للتعبير عن المضمون القصصي، وهو يدل في أحيان كثيرة على براعة القاص في تحويل القصة من مجرد سرد أو وصف إلى حالة حية تبعث على متابعة التلقي^(٢).

وثمرات الحوار في الدعوة متعددة الفوائد. وفي القرآن الكريم والسنة النبوية الكثير من الحوارات الإيجابية وثمراتها في الدعوة بين الرسل -عليهم السلام- وأقوامهم، وكيف كان الحوار هو الدافع إلى عودة الكثيرين منهم إلى الحق

-

-

-

-

()

: ()

والاهتداء إلى الإيمان، فالدعوة في الأساس حوار، وقد ذكر الله-تعالى-في كتابه العزيز العديد من آياته، وكيف تم الحوار بين الأنبياء وأقوامهم وهو في الأساس دعوة إلى الحق، وإلى الطريق القويم. والحق أن الكثير من الخلافات التي تدور بين الناس مردها إلى عدم فهم موضوع الخلاف من كل جوانبه، والنقص أو الاستقصاء في القضية المطروحة بصورة متكاملة، أو إلى التقليد الأعمى، أو التعصب الذميمة، أو إلى الانقياد للهوى والمنافع الخاصة، وغيرها من الأسباب. لكن بالحوار الإيجابي، وطرح مضامين ثاقبة وعادلة في الحوار سوف تتضح الكثير من الحقائق الغائبة حتى وإن لم يستجب لها في تلك اللحظة. فان حكمة الحوار ستجعل المتحاورين يراجعون أنفسهم بعد ذلك. وهكذا تتحقق ثمرات الحوار في الدعوة بالتدريج^(١).

ولعل الأمر الإلهي إلى أنبيائه باتخاذ الحوار طريقاً ومسلكاً مع أقوامهم لتبصيرهم بطريق الحوار إلى سبيل الحق القويم، والرد على شبهاتهم وظنونهم، والخلل في تفكيرهم هو النموذج الذي يجب أن يحتذى في الدعوة لتحقيق ثمراتها الخيرة.

٣- عمد قصاص العصر الأموي إلى التنوع في الموضوعات التي يطرقونها بما يفيد أكثر فئات المدعوين، ولاسيما الفئة الأكثر استهدافاً: العامة؛ فقد تحدث القصاص عن غالب الموضوعات والقضايا، فبلغت نسبة التنوع (٦,١٥٪).

ولعلّ هذا التنوع ناجم من عدة عوامل مؤثرة، من أبرزها: تطور الأحوال السياسية والاجتماعية، وتعدد المهام المنوطة بالقصاص، ذلك أنه أنيطت ببعضهم مهمة القضاء، والإفتاء، وإمامة الصلاة، بالإضافة إلى الوعظ والقصص. فكان من الطبيعي أن تنتوع مضامين موضوعات القصص حسب تلك الأحوال، وما يستجد من قضايا.

والتنوع مسلك قرآني، فإن الناظر إلى غالب سور القرآن يرى فيها التنوع الموضوعي ظاهراً؛ ففي سورة إبراهيم مثلاً من ((تأمل التنوع الأسلوبي الذي سلكته السورة في أدائها للخطاب الدعوي وجد أنها تؤكد على ضرورة مراعاة هذا التنوع عند خطاب المكلفين بحيث يراعى أحوال المدعوين والشبهات السائدة والعوائق المانعة من قبول الدعوة))^(١).

إن مراعاة الداعية للتنوع في طرحه وأسلوبه هو من دواعي الاستجابة له وقبول دعوته.

() :

()

والحكمة تجعل الداعية إلى الله يتأمل ويراعي اختلاف أحوال المدعوين، فينوع أسلوبه بما يناسب ظروفهم وأخلاقهم وطبائعهم والوسائل التي يُؤتُون من قبلها.
 ٤- استعمل القصاص في هذا العصر أسلوب الاستفهام بنسبة بلغت (١٥,٦٪)، وتخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعانٍ أخرى تُستفاد من سياق الكلام كالنفي، والإنكار، والتوبيخ، والتشويق، والتحقير، وغير ذلك^(١).

وقد استخدم القصاص هذا الأسلوب في مواضع متعددة لما فيه من شدّة الانتباه، وشدّ الذهن، ومن نماذج ذلك:

قال بلال بن سعد-رحمه الله-: ((عباد الرحمن هل جاءكم مخبر يخبركم أن شيئاً من أعمالكم تقبل منكم أو شيئاً من خطاياكم غفر لكم؟.....))^(١)

وقال مالك بن دينار-رحمه الله-: ((كان كلامهم دواء للخاطئين أما رأيتموهم؟.....))^(١)

إنّ في طرح السؤال شدّاً لأذهان السامعين، وتحفيز لهم لمعرفة الإجابة عليه. وهو هدي نبوي ومسلّك شرعي أكثر-عليه الصلاة والسلام-من طرقه واستعماله في أحاديث متعددة، من ذلك قوله ﷺ: ((أتدرون من المفلس؟.. الحديث))^(١). وقوله: ((أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟... الحديث))^(١). وغير ذلك كثير .

المطلب الثالث:

مناقشة أهم النتائج في العهد العباسي وتقويمها

الفرع الأول: المصادر

أولاً: يُلاحظ أن القرآن الكريم كان له نصيب لا بأس به في مصادر القصاص في العصر العباسي فقد بلغت الآيات التي استدل بها القصاص نسبة

	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)
	(/)	(/)	(/)	(/)

(١١، ١١٪)، ولعل ذلك راجع إلى مكانة القرآن وقداسته، وثقة الناس بالقصاص حين يكون القرآن مصدراً له.

وكان لوجود قصص اشتهروا بالتفسير مثل مقاتل بن سليمان^(١)، وحفظة للقرآن مثل محمد بن حبش البغدادي^(٢) أثر في هذا الاهتمام .

ثانياً: كان الاستشهاد بالأحاديث الموضوعية عند قصاص هذا العصر سمة بارزة، والحديث الموضوع : هو ما أضيف إلى النبي ﷺ كذباً، من قول أو فعل أو تقرير. وليس هو بحديث، لكنهم سموه حديثاً بالنظر إلى زعم راويه^(٣).

وكثيراً ما يكون اللفظ المزعوم من كلام الحكماء أو الأمثال، أو من آثار الصحابة ينسبه الواضع إلى النبي ﷺ . وقد يكون من نسج خياله وإنشائه^(٤).

والحديث الموضوع هو شر الأحاديث، وأشدّها خطراً، وضرراً على الدين وأهله.

وقد بلغت نسبة الاستشهاد به (١٤٪) وكان ذلك أحد أسباب سوء سمعة القصاص بعامّة؛ كيف؟ ومن القصاص من حمل لواء وضع الأحاديث، مثل القاصّ أحمد الباهلي البصري المعروف بـغلام خليل .

قال الذهبي-رحمه الله-: ((كان يرى وضع الحديث. نسأل الله العافية))^(٥).

وقال أبو داود السجستاني-رحمه الله-: ((نظرت في أربعمئة حديث له، عرضت عليّ، كلها كذب، متونها وأسانيدها))^(٦).

ومن تتبع تاريخ القصاص وما وضعوا من الأحاديث، أو حتى اكتفوا بروايتها تبين له أن أسباب الوضع متنوعة . منها :

١- الترغيب في فضائل الأعمال، قيل لغلام الخليل : ((هذه الأحاديث التي تحدث بها من الرقائق؟ فقال: وضعناها لئلا نرقق بها قلوب العامة))^(٧).

(/) : (/) (/) (/)

(/) : (/)

(/) :

-

(/) :

(/) (/)

(/) (/)

:

(/) (/) (/) (/)

(/) (/)

وقيل له عند موته: حسن ظنك، قال: ((كيف لا! وقد وضعت في فضل علي سبعين حديثاً))^(١).

وهذا من أخطر ما يكون، حيث يقع حديثهم من العامة موقع القبول والتسليم، ولا يظنون بهم الكذب ولا يتوقعونه.

على أن من القصاص من يذكر الحديث الموضوع جهلاً منه . قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((وفي القصّاص من يسمع الأحاديث الموضوعّة، فيرويها ولا يعلم أنّها كذب، فيؤذّي بها الناس، وربّما سمعها من أفواه العوام، فرواها، وربما سمع كلام الحسن أو سري السقطي، فقال: قال رسول الله))^(١).

٢- نيل المنافع الشخصية؛ كالتقرب من الأمراء، أو الاستجداء من العوام

قال ابن قتيبة-رحمه الله-: ((ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجبياً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب ويستغزر العيون . فإذا ذكر الجنة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران ...)) إلى أن قال: ((وكلما كان من هذا أكثر كان العجب أكثر، والقعود عنده أطول ، والأيدي بالعتاء إليه أسرع))^(١).

وقد حذر العلماء من رواية الأحاديث الموضوعّة والمنكرة في القصص والمواعظ والخطب وغيرها، وأنكروا ذلك أشد الإنكار، ورأوا أنّ فاعل ذلك داخل في الوعيد الوارد في قوله ﷺ: ((من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))^(١).

قال الدارقطني-رحمه الله-في بيان معنى هذا الحديث: ((توعد ﷺ بالنار من كذب عليه بعد أمره بالتبليغ عنه، ففي ذلك دليل على أنه إنما أمر أن يبلغ عنه الصحيح دون السقيم، والحق دون الباطل، لا أن يبلغ عنه جميع ما روي عنه؛ لأنه قال ﷺ: (كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع))^(١). فمن حدث بجميع ما سمع من الأخبار المروية عن النبي ﷺ ولم يميز بين صحيحها وسقيمها وحقها من

()

(/) .

()

(/) . :

(/) ﷺ

(/) ﷺ

(/) .

باطلها باء بالإثم، وخيف عليه أن يدخل في جملة الكاذبين على رسول الله ﷺ بحكم رسول الله ﷺ أنه منهم))^(١).

وقد أجمع العلماء على أنه لا تحل روايته لأحد علم حاله في أي معنى كان إلا مقروناً ببيان وضعه، والتحذير منه^(٢)؛ وذلك لقوله ﷺ: ((من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين))^(٣).

أما الأحاديث الضعيفة فقد اشتهر عند بعض الدعاة إلى الله قديماً وحديثاً التساهل في روايتها، بل والعمل بها في فضائل الأعمال، والترغيب والترهيب . والصواب أن ثمة فرقاً بين الحديث شديد الضعف وخفيفه، فقد اتفق العلماء على عدم جواز العمل بالحديث شديد الضعف^(٤) سواء أكان في الأحكام، أم الترغيب والترهيب، أم غير ذلك.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((لم يقل أحد من الأئمة: إنه يجوز أن يجعل الشيء واجباً، أو مستحباً بحديث ضعيف، ومن قال هذا فقد خالف الإجماع))^(٥).

أما ما وقع فيه الخلاف عند السلف-رحمهم الله-فهو الحديث الذي خفّ ضعفه: هل تجوز روايته. والعمل به؟ على أقوال متعددة، ليس هذا مكان بسطها^(٦).

والصواب -والله أعلم- أنه لا يجوز رواية الأحاديث الضعيفة، لا في الأحكام، ولا الترغيب والترهيب، ولا في غيرها، إلا لبيان ضعفها، وذلك لأمر مهمتها منها:

- ١- أن في الثابت الصحيح من الأحاديث غنية عن رواية الأحاديث الضعيفة .
- ٢- أن منع ذلك فيه سدّ للباب أمام أهل الأهواء والبدع .
- ٣- أن عامة الناس لا يُميّزون بين الحديث الصحيح والضعيف، فيظنون كل ما يقوله القاص والواعظ حديثاً صحيحاً، وهذا إلباس على الناس وغش، فلزم الاقتصار على الثابت من الأحاديث. والله أعلم.

() : .
 () : (/)
 () (/)
 () : . (/)
 ()

() :

قال العلامة الكنوي-رحمه الله:- ((ويحرم التساهل في الحديث الضعيف سواء كان في الأحكام أو القصص أو الترغيب أو الترهيب أو غير ذلك))^(١).

ثالثاً: احتلت القصص الصوفية المرتبة الأولى في مصادر هذا العصر إذ بلغت نسبة الاستشهاد (١٨٪)، ويُلحظ الطابع الصوفي في عبارات متعددة تُردُّ في تضاعيف القصة، ومن هذه العبارات قول أحدهم: ((خرجت في طلب المناجاة فإذا أنا بصوت، فعدلت إليه فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله، وخرج على ساحل الكمه))^(١) ويقول آخر: ((دلني على رجل عليه لباس الشعر، طويل الصمت، لا يرفع رأسه إلى أحد))^(٢).

ويقول ثالث: ((فلما جاوزنا بلاد فارس^(٣) إذا نحن بضوء في سفح جبل، فنز عنا نحوه، فإذا نحن برجل مجذوم يقطر قيحاً ودماً... إلخ))^(٤).
ويقول غيره: ((بيننا أنا أسير في بعض سياحتي))^(٥).

ويقول الآخر: ((لقيتني امرأة فقالت لي: من أين؟ قلت: رجل غريب، فقالت لي: ويحك! وهل يوجد مع الله إخوان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء؟! فبكيت، فقالت لي: ما يبكيك؟ قلت: وقع الدواء على داء قد قرح، فأسرع في نجاحه، قالت: إن كنت صادقاً فلم بكيت؟ قلت: والصادق لا يبكي؟! قالت: لا، قلت: ولم؟ قالت: لأن البكاء راحة القلب، وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف عند الألباء يا بطل))^(٦) وغير ذلك كثير.

()
() (/) : . : . : (/)
() (/) .
() (/) .
() :
(/) (/)
()
(/) .
(/) (/) (/)

ولا شك بأن هذا التعمق والتشدد في العبادات مع ترك المباحات ليس من السنة في شيء، وقد كان رسول الله ﷺ يأكل اللحم، ويحب الحلوى^(١)، ويستعذب له الماء البارد^(٢)، ولم يأمر ﷺ أحداً من أصحابه بالخروج عن ماله أو التشدد في الدين كدوام الصيام والقيام وترك التزوج وإدامة الجوع والتبتل كل ذلك منعه الرسول ﷺ من بعض أصحابه.

وتكمن المشكلة أنه قد يظن العوام الذين يرون عبادة هؤلاء المتصوفة؛ أنهم أفضل من الصحابة، لأنهم لم يسمعوا أن الصحابة-رضوان الله عليهم- كانوا يفعلون مثل هذا والناس يعجبون بالغرائب والتشدد، ولا يعلمون أن الشريعة جاءت بالطريق الوسط والمنهج العدل. وقلة العلم بالآثار والسنن هي التي أوصلت بعض هؤلاء الناس إلى التشدد، وظنوا أن القصد من الشريعة هو العمل فحسب ولذلك فلا داعي للعلم .

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-في الرد على أولئك: ((ومن هؤلاء: عقلاء المجانين الذين يُعدّون في النساك، وقد يُسمون المولّهين. قال فيهم بعض العلماء: هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولاً وأحوالاً؛ فسلب عقولهم، وأسقط ما فرض بما سلب... إنه إن سلك طريق الجوع والرياضة المفرطة خاطر بقلبه ومزاجه ودينه، وربما زال عقله، ومرض جسمه، وذهب دينه. وإن سلك طريق الوله والاختلاط بترك الشهوات ليتصل بالأرواح الجنية، وتغيب النفوس عن أجسامها فقد أزال عقله، وأذهب ماله ومعيشته، وأشقى نفسه شقاء لا مزيد عليه، وعرض نفسه لعذاب الله في الآخرة لما تركه من الواجبات وما فعله من المحرمات))^(٣).

لقد خلط بعضهم بين الزهد المرغوب فيه، وبين التصوف المذموم . يقول أحد الباحثين عن بعض قصاص العصر العباسي: ((والقصاص الذين تكاثروا في المسجد الحرام، غلبت على حلقهم نزعة التصوف، لا سيما في أواخر القرن الثالث الهجري))^(٤).

لقد غفلوا أن الزهد هو تجنب الحرام، والاقتصاد في الحلال، أو هو ترك ما لا ينفع في الآخرة كما يقول شيخ الإسلام^(٥)-رحمه الله-أمّا التصوف فهو تحريم

() (/) .

() (/) :

(/) . :

() (/) .

()

() (/) :

الحلال، وترك الطيبات، والتهرب من الزواج، وتعذيب النفس بالجوع، والتعري والمرض والسهر، ونحو ذلك^(١).

وقد برزت من جراء ذلك: الدعوة إلى الرهينة^(٢)، وهجر الناس.

لقد ظنّ بعض القصاص أن الطريق إلى الله مبناه على هجر الناس واعتزالهم، وتعذيب النفس وتجويعها؛ لذا شحن بعض القصاص مواعظه بذكر قصص هذا شأنها، وبذكر أقوام عاقبوا أنفسهم بعقوبات شنيعة، فيغترّ بذلك الجهّال.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((ومن القصاص من يأمر بالزهد في الدنيا، ولا يبين المراد، ويدرج في ذلك أخبار المتزهدين، ومن خرج من ماله، ومن كان يطوي أياما ولا ينام الليل، ويهرب من الخلق، فيرى العامة ترك عائلته، ويهرب إلى السياحة، أو ينقطع في المسجد. فإن طلبت المرأة فرضها، وحكم الحاكم عليه بذلك لعن امرأته، وتسخط على الحاكم الذي هو نائب الشرع. ولو أن القاصّ فهم لأخبرهم أن المذموم فضول الدنيا الشاغلة عن الآخرة، وأن النفقة على الأهل واجبة، ثم إن العوام محتاجون إلى تعريف الفرائض، ومن هو مفرط في الصلاة، مخل بالواجب في الزكاة، متقاعد عن الحج مع الإمكان، وعن قضاء الدين مع الجدة فأين هو والنوافل؟))^(٣).

وقال ابن عقيل-رحمه الله-: ((مثل القصاص الذين يأخذون العوام بالتخشّن في الطريقة ويعدلون عن ذكر الربا والزنا والفواحش كمثّل طبيب ينهى المريض عما يؤلم الضرس، ولا يصف له دواء لعله عظيمة هاجمة على الجسم))^(٤).

يقول أحمد أمين: ((وكان التصوف في ذلك الحين-أي العهد العباسي-يُمد القصاص بالخرافات والأباطيل، ويلبس الشعوذات لبوس الدين))^(٥).

وغير خافٍ مخالفة هذا المنهج للهدى النبوي، وتعديه على الشريعة الغراء، ومصادمته للفترة السليمة، بل جاءت النصوص الصريحة الناهية عن مثل تلك الأفعال.

من ذلك أن أحد الصحابة جاء يستأذن النبي ﷺ بأن يعتزل الناس، فنهاه عليه الصلاة والسلام^(٦).

(/) .

(١) :

((...)):

()

(/)

((

()

()

()

لقد فات بعض القصاص أن مخالطة الناس والصبر على أذاهم مما يؤجر عليه المسلم، ففي الحديث: ((المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم))^(١).

إن العزلة المطلقة عن الناس بدعوى التفرغ للعبادة وتركية النفس ونحو ذلك أمر لا يقرّه الشرع الحكيم، ولو فعل ذلك العبّاد والصالحون. فمن لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودعوة الناس إلى الخير، وتحذيرهم من الشر ونحو ذلك؟ .

ولا يعني هذا أن العزلة بجميع أشكالها مذموم، بل هناك عزلة محمودة، ولكنها مؤقتة لمحاسبة النفس، وإصلاح القلب، والعزلة عند الفتن، ونحو ذلك^(٢) وقد ذهب جماهير علماء السلف إلى ترجيح مخالطة الناس على اعتزالهم في الأحوال العادية^(٣).

قال الخطابي-رحمه الله-: ((وأما عزلة الأبدان، ومفارقة الجماعة... فإن من حكمها أن تكون تابعة للحاجة، وجارية مع المصلحة وذلك أن عظم الفائدة في اجتماع الناس في المدن وتجاورهم في الأمصار؛ إنما هو أن يتضافروا فيتعاونوا على المصالح، ويتوازروا فيها إذ كانت مصالحهم لا تكمل إلا به ومعاشهم لا تزكوا إلا عليه. فعلى الإنسان أن يتأمل حال نفسه؛ فينظر في أي طبقة يقع منهم؟ وفي أي جنبه ينحاز من جملتهم؟ فإن كانت أحواله تقتضيه المقام بين ظهراي العامة لما يلزمه من إصلاح المهنة التي لا غنية له عنها ولا يجد بدأ من الاستعانة بهم فيها ولا وجه لمفارقتهم في الدار، ومباعدتهم في السكن، والجوار فإنه إذا فعل ذلك تضرر بوحده، وأضر بمن وراءه من أهله، وأسرته وإن كانت نفسه بكلها مستقلة، وحاله في ذاته وذويه متماسكة، فالاختيار له في هذا الزمان اعتزال الناس ومفارقة عوامهم فإن السلامة في مجانبتهم والراحة في التباعد منهم))^(٤). ثم يبين مراده بالعزلة فيقول رحمه الله: ((ولسنا نريد-رحمك الله- بهذه العزلة التي تختارها مفارقة الناس في الجماعات، والجمعات، وترك حقوقهم في العبادات، وإفشاء السلام، ورد التحيات، وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم، وصنائع السنن، والعادات

﴿

()

(/)

﴿

()

(/)

(/)

: ()

(/)

: ()

()

المستحسنة فيما بينهم؛ فإنها مستثناة بشرائطها جارية على سبيلها مالم يحل دونها حائل شغل ولا يمنع عنها مانع عذر إنما نريد بالعزلة ترك فضول الصحبة ونبذ الزيادة منها^(١).

رابعاً: أكثر القصاص من استعمال مصدر جديد في قصصهم وهو: الرؤى والمنامات بنسبة بلغت (١٤٪)، وهو مسلك صوفي، فالصوفيّة تعتمد في مصدر التلقّي على المنامات والرؤى والأحلام، ونحو ذلك^(٢).

بل إن من دلائل عناية غلاة الصوفية بالمنامات: أنهم عقدوا لها أبواباً في مصنفاتهم^(٣).

لقد أصبح من القصاص من يقيم المنامات مقام الحقائق حتى تكون هذه المنامات قاعدة تُبنى عليها أمور تركاً أو فعلاً مما كان لها أثر سلبي على مسيرة الدعوة . لقد كثر في قصص القصاص من يقول: رأينا فلاناً الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا. وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها معرضاً عن الحدود الموضوعه في الشريعة، وهو خطأ، لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها^(٤).

()

: ()

(/)

: . :

:

: ()

(/)

: ()

(/)

(/)

(/)

.(/)

(/)

(/)

(/)

إن الأحكام ليست موقوفة على ما يُرى في المنامات، وإن خالف ردها مهما كان حال الرائي أو المرئي، ويحكم على تلك الرؤيا بأنها حلم من الشيطان، وأنها كاذبة وأضغاث أحلام^(١).

قال الألباني-رحمه الله-: ((ومن المقرر عند العلماء أن الرؤيا لا يثبت بها حكم شرعي فبالأولى ألا يثبت بها حديث نبوي، والحديث أصل الأحكام بعد القرآن))^(١).

إنّ مما ينبغي على المسلم بعامة والداعية بخاصة الحذر من تلاعب الشيطان به في المنامات فكم ضل أفراد، بل أقوام بسبب الرؤيا في النوم فعطلت أحكام، واتخذت مواقف بنيت عليه أعمال ما أنزل الله بها من سلطان بل واعتدي بسببها على معصومين كل ذلك بسبب رؤيا في النوم من ورائها الشيطان في غالب الأحيان.

إنّ الرؤيا الصالحة من المبشرات، لكن لا يعتمد عليها في باب الحلال والحرام والاعتقادات.

وخلاصة الأمر كما قال الشاطبي-رحمه الله-: ((وعلى الجملة فلا يَسْتَدَلُّ بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنّة. نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً، ولا يبنون عليها أصلاً، وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم))^(١).

خامساً: استشهد القصاص بالغرائب في قصصهم بنسبة بلغت (١٤٪)، وكان حرص قُصاص هذا العصر: الإتيان بالغرائب لإدراكهم حب العامة لذلك، واستحسانهم له. ومن شأن العامة: الولع والإعجاب بالخرافة والاستمتاع بالغرائب.

قال ابن قتيبة-رحمه الله- عن القصاص بأنهم: ((يميلون وجوه العوام إليهم ويستندرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام القعود عند القاصّ ما كان حديثه عجبياً خارجاً عن فطر العقول))^(١).

ثم يذكر ابن قتيبة شيئاً من المبالغات التي اشتهر بها القصاص في وصف نعيم الجنّة مثلاً فيقول: ((فإذا ذكر الجنّة قال: فيها الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها ميل في ميل، وبيوئ الله تعالى وليه قصراً من لؤلؤة بيضاء فيه

() : (/)

() (/) - -

() (/) .

() : (/) .

سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، في كل قبة سبعون ألف فراش، على كل فراش سبعون ألف كذا، فلا يزال في سبعين ألف كذا، وسبعين ألفاً، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ولا دونها^(١) ثم يعود -رحمه الله- ليبيّن الرابط بين القاص والسامع فيذكر أنه ((كلما ازداد العجب، وطال الجلوس، كان العطاء أسرع))^(٢).

إن نزعة إيراد الغرائب في الخطاب الدعوي، هي من فعل المبتدئين، وقليلي العلم والخبرة.

لقد أصبح من الفصّاص من همته في الغالب منصرفة إلى التنافس في إيراد الغرائب ليستكثر من مستمعيه، وليحقق لنفسه المكاسب التي يلتمسها. **سادساً:** يُلاحظ بأن للشعر نصيب في القصص في العهد العباسي بنسبة بلغت (٩٪) بأكثر من بيت في القصة الواحدة، و(٦٪) ببيت واحد. وهذه الأبيات منها ما يكون من إنشاء القاص، ومنها ما يكون من حفظه، ولاسيما الأشعار التي تحت على الزهد في الدنيا وتذكر الموت، وما يتعلق باليوم الآخر.

لقد أدرك بعض القصاص -رحمهم الله- أنّ الشعر وسيلة فعّالة لحث الناس على الخير، وزجرهم عن الشرّ، وحملهم على مكارم الأخلاق. وإنّ من يتدبر الأشعار الوعظية ويقلب النظر فيها، يجد فيها المواعظ والعبر والدروس والحكم، ويجد فيها شحذاً للهمم، وتركيباً للنفوس، وذكرًا للخير وترغيباً فيه، وتعريضاً للشر وتحذيراً منه.

والشعر أعلق في الذهن من النثر، فإذا كانت القصة متضمنة لأشعار مفيدة؛ فإن ذلك أدعى لطول بقاء أثرها في نفس المدعو، لأن النفس تستحضر المنظوم أكثر من استحضار المنثور، وهذا ما جعل جملة من العلماء ينظمون كثيراً من العلوم الشرعية ليسهل حفظها واستحضارها.

((وما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يُحفظ من المنثور إلا عشره، ولا ضاع من الموزون إلا عشره))^(٣).

إن الشعر في الجملة له تأثير عجيب، وهو من أقوى ما تُحرّك به النفس محبة أو نفرة.

()

()

()

٣- تقريره ﷺ: فقد كان يستمع إلى الشعر الحسن، ويستزيد في سماعه. فعن عمرو ابن الشريد عن أبيه قال: ((ردفتُ رسول الله ﷺ يوماً فقال: هل معك من شعر أمية ابن أبي الصلت شيء؟ قلت: نعم، قال: هيه^(١)) فانشدته بيتاً، فقال: هيه، ثم أنشدته بيتاً، فقال: هيه حتى أنشدته مائة بيت))^(١).

والراجح أن الشعر كالنثر لا يُعاب لذاته؛ فحسنة جائز مشروع، وقبيحة محرم ممنوع.

قال الشافعي- رحمه الله-: ((حسنة كحسن الكلام، وقبيحة كقبيحه))^(١).

قال ابن العربي معلقاً على مقولة الشافعي: ((يعني: أن الشعر ليس يُكره لذاته، وإنما يُكره لمتضمناته))^(١).

وأما ما ورد من أدلة المانعين فهو محمول- والله أعلم- على الشعر المشتغل على فُحش الكلام، وعلى الكذب والبهتان. وقيل: المراد الإكثار من الشعر حتى يكون شغله وهمّه^(١).

قال ابن العربي- رحمه الله-: ((وبالجملة، فلا ينبغي أن يكون الغالبُ على العبد الشعر حتى يستغرق قوله وزمانه، فذلك مذموم شرعاً))^(١).

سابعاً: لاحظتُ الندرة الواضحة للاستشهاد بالسنة الصحيحة في قصص القصاص في هذا العصر، فقد بلغت النسبة (١٪)، وهي نسب ضئيلة جداً إذا قورنت بالمصادر الأخرى، أو إذا قورنت بالاستشهاد بالسنة في العصور السابقة. وذلك راجع - والله أعلم- لأمر متعددة منها:

١- شيوع الأحاديث الموضوعية عندهم كما مرّ، فقد وجد بعض القصاص في هذه الأحاديث مطلبهم من الغرائب والعجائب .

() (/)

(/)

() :

(/)

(/) ()

()

(/) .

()

(/) :

(/) :

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((معظم البلاء في وضع الحديث إنما يجري من القصاص؛ لأنهم يريدون أحاديث ترقق والصحاح يقل فيها هذا))^(١).

٢- ظهور النهضة العلمية، ولاسيما علم الحديث، وذلك من خلال بروز علماء الجرح والتعديل كالإمام أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وعلي بن المديني وأبي حاتم الرازي وغيرهم. وكذلك تدوين السنة النبوية، وظهور المصنفات المتعددة من الصحاح والسنن والمسانيد، واتساع حلق العلم وكثرة المترددين عليها^(٢)، وخاصة في القرن الثالث الذي كان ((أزهى عصور السنّة وأسعدها بأئمة الحديث وتآليفهم العظيمة الخالدة))^(٣)، كل ذلك كان من شأنه أن يكون سبباً في إقلال القصاص من ذكر الأحاديث لعلمهم أن الناس لن يتقبلوها منهم .

٣- أن بعض المحدثين ترك تحديث القصاص، ومنعهم بأن يرووا عنه، وذلك لضعفهم وزيادتهم على ما يسمعون، فساعت سمعة القصاص، ونعى حالهم ابن الجوزي بقوله: ((ثم خست هذه الصناعة، فتعرض لها الجهال فبعد عن الحضور عندهم المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء))^(٤)، فكان من ذلك أن لجأ القصاص إلى الأحاديث الموضوعية .

قال يحيى بن سعيد القطان: ((كنتُ عند شعبة ورجل يسأله عن حديث فامتنع، فقلت: لم لا تحدّثه؟ قال: هؤلاء قصاص يزيدون في الحديث))^(٥).

وفي رواية أنه سأله: ((أقاصُّ أنت؟ قال: نعم، قال: اذهب فإننا لا نحدث القصاص. فقيل له: لم يا أبا بسطام؟ قال: يأخذون الحديث منا شبراً فيجعلونه ذراعاً))^(٦).

وكما لجأ قصاص العصر الأموي إلى تحسين صورة القصاص بذكر الأسانيد، كذلك صنع قصاص هذا العصر، ولكن ببيان أدق التفاصيل في قصصه حتى يؤكد صدقها، ويبين ثبوتها من ذلك ذكر الأماكن التي وقعت فيها القصة، وهذا كثير جداً. من ذلك:

(/) ()

: ()

()

()

(/) (/) ()

(/) ()

قال منصور بن عمار-رحمه الله-((حجبت حجة فنزلت سكة من سكاك الكوفة.....))^(١)

وقال عبدالواحد بن زيد-رحمه الله-:((خرجت أنا وفرقد السبخي ومحمد بن واسع ومالك بن دينار نزور أخالنا بأرض فارس.....))^(٢).

وقال ذو النون-رحمه الله-:((بيننا أنا أسير في جبال أنطاكية^(٣) وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة.....))^(٤).

وقال أيضاً:((بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء في جبال بيت المقدس إذ سمعت.....))^(٥).

وقال:((سمعت بعض المتعبدين بساحل بحر الشام يقول.....))^(٦).

وقال:((رأيت سعدون في مقبرة البصرة في يوم حار.....))^(٧).

الفرع الثاني: القضايا

أولاً: قضايا العقيدة

١- أوضح القصاص عِظَم الإيمان بالله، وحماية جناب التوحيد، وأنه أعظم ما يتقرب به إلى الله، وخطر الشرك وأنه أعظم ما عَصِيَ الله به، وبلغت نسبة ذلك (١٧٪).

إنّ بعض القصاص المخلصين جعلوا من قصصهم فرصة لبيان منهج أهل السنة في جملة من القضايا العقديّة من ذلك:

أن القرآن منزّل غير مخلوق، وفيها الرد على المعتزلة الذين كانت هذه القضية من أكبر وأكثر القضايا التي كانوا يؤمنون بها، ويدافعون عنها، مريدين بذلك إثبات أن كلام الله-تعالى-محدث مخلوق.

وبيان أن الله-تعالى-فوق عرشه، وأنه-تعالى-يتكلم، وأنه-تعالى-يُرى يوم القيامة.

(/) ()

(/) ()

(/) : . (/) ()

(/)

(/) ()

(/) ()

(/) ()

(/) ()

على أنه وقع من جهلة القصاص انحراف عن الجادة، ومجانبة للصواب في مسائل الاعتقاد؛ إمّا جهلاً، أو قصداً وابتداعاً، من ذلك ما وقع من غلام خليل القاص:

قال أبو الحسين الخياط: ((مررت بغلام خليل وهو في مجلسه ببغداد وقد قام على أربع، فقلت: لبعض أهل المجلس: ما شأن أبي عبد الله؟ فقال: هو يحكي عبد الرحمن ابن عوف على الصراط يوم القيامة. قال: ومررت به يوماً آخر في مجلس له وهو مادّ يديه قد حنى ظهره، فقلت لبعضهم ما حاله؟ قال: يحكي كيف يلقي الله كنفه على عبده يوم القيامة))^(١).

٢- اعتنى قصاص هذا العصر بكل ما يتعلق باليوم الآخر شأنهم في ذلك شأن من سبقهم بنسبة بلغت (٢٩٪) إذ صار هذا الموضوع قاسماً مشتركاً بين القصاص في العهود الثلاثة. لما في موضوعات اليوم الآخر من قضايا تصلح أن تكون رافداً للقصاص والوعاظ، ويكون لها الأثر البالغ تجاه المدعويين .

ثانياً: قضايا التشريع

١- يُلاحظ أن قصاص هذا العصر إنما كان قصصهم منصّباً على العبادات التطوعية كقيام الليل بنسبة بلغت (١٠٪) والصدقة بنسبة بلغت (٤٪) والصوم والصلاة على الجنائز بنسبة بلغت (٢٪). ولعل سبب ذلك ظن القصاص أن من يحضر لديهم لسماع قصصهم قد تجاوز تذكره بالفرائض والواجبات. وهذا إن صح فهو تصور خاطئ؛ إذ المسلم محتاج إلى تذكيره بالواجبات في كل حين، فالنصيحة ليس لها وقت، بل هي واجبة في كل حين، وإن كان يُتأكد في أوقات أكثر من غيرها.

ومع ذلك فإن ما دُكر من أفضل الفُربات، وأجلّ الطاعات، فقد كان ﷺ يصلي بالليل إحدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة.

وقال لعبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- ((نعم الرجل عبدالله لو كان يصلي من الليل. فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً))^(١).

وقال مرة لعبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-: ((يا عبدالله، لا تكن مثل فلان كان يقوم بالليل فترك قيام الليل))^(١).

وفي الحديث: ((فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تُكفرها الصلاة والصيام والصدقة))^(١).

()

(/)

()

()

(/)

وفي الحديث الآخر: ((من صام يوماً في سبيل الله باعد الله تعالى وجهه عن النار سبعين خريفاً))^(١). والأحاديث في ذلك متوافرة مشهورة .

أمّا صلاة الجنازة والتي تناولها بعض القصاص فقد ورد في فضلها قوله ﷺ: ((من شهد الجنازة حتى يصلي فله قيراط، ومن شهد حتى تدفن كان له قيراطان. قيل وما القيراطان؟ قال: مثل الجبلين العظيمين))^(٢) .

ثالثاً: قضايا الأخلاق

١- حرص القصاص على حث الناس على المبادرة بالأعمال الصالحة وتحذيرهم من التسويف فيها بنسبة بلغت (١١٪)، ولاشك في أنّ المبادرة بالأعمال الصالحة من أولى ما يتوصى به الإخوان، ويحثون بعضهم عليه . وقد حث النبي ﷺ أمته على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل الانشغال عنها بما يحدث من الفتن، فقال: ((بادروا بالأعمال))^(٣) .

وفي الحديث الآخر: ((اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك))^(٤) .

قال ابن رجب-رحمه الله-: ((فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها، ويحال بينها وبينه، إما بمرض أو موت))^(٥) .

إنّ المبادرة بالأعمال الصالحة حصن قوي من الفتن العظيمة المظلمة التي تكون بين يدي الساعة، ومنها الفتنة في الدين حيث يضعف التمسك به ويعز الثبات عليه، لدرجة أن العبد يتقلب بين الحق والباطل، وبين الإيمان والكفر في اليوم الواحد، حتى إنه يصبح مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً كما جاء في الحديث^(٦) .

(/)

()

(/)

()

(/)

(/)

()

(/) .

(/)

()

(/)

(/)

()

(/)

(/)

()

(/) .

()

وقد صُنفت المؤلفات التي تبين فضلهم وجلالة قدرهم، منها: أخلاق العلماء للأجري، وآداب العلماء والمتعلمين للحسين اليميني. وجُلَّ من تحدث عن فضل العلم وأهمية تحصيله وطلبه لا بد أن يشير إلى فضل العلماء وبيان مكانتهم. وأمَّا الأولياء فقد بين القرآن أولياء الله بياناً شافياً بأنهم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى (يٰٓثَن) (١) فهم الذين يتقون الله بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه (٢)، وقيل: هم الذين إذا رُؤوا ذُكر الله (٣)، إلا أن بعض القصاص لمّا عرفوا بالأولياء ظهر من كلامهم نزعة صوفية وانحراف عن الجادة .

والمتصوفة لديهم غلو في الأولياء خلاف عقيدة أهل السنة والجماعة، بل ادّعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل (٤).

وأما الأبدال فهم- كما يقول ابن الأثير-: ((الأولياء والعُباد... سمّوا بذلك لأنه كلما مات منهم واحد بُدِّلَ بآخر)) (٥). ولم يصح في الأبدال حديث كما قرر ذلك شيخ الإسلام- رحمه الله- (٦)

ويقول الألباني- رحمه الله-: ((واعلم أن أحاديث الأبدال لا يصح منها شيء، وكلها معلولة، وبعضها أشد ضعفاً من بعض)) (٧).

٤- أكد القصاص على التذكير بنعم الله-تعالى- وتنوع ذلك ما بين بيان لعظمتها، وتعدادٍ لأهميتها، وترهيبٍ من جحودها. وقد سبق بيان شيء من ذلك (٨).

	()	()
	: (/)	()
	: (/)	()
:	:	()
:	:	()
	" "	()
	: (/)	()
: (- /)	: (/)	()
	: (/)	()
	:	()

الفرع الثالث: المدعو

١- اعتنى قصاص العصر العباسي بالمدعويين عناية بالغة، فقد شملت قصصهم أغلب فئات المدعويين: العامة والحكام والقضاة والوزراء وجملة من الأفراد.

وذلك راجع لطول المدة الزمنية للعهد العباسي مقارنة بما قبله من العصور، وظهور جملة من المعاصي والبدع التي لم تكن ظهرت ولا عُرفت من قبل كالقول بخلق القرآن، وانتشار الفرق الضالة كالجهمية والمعتزلة والقدرية وغيرها. وقد وقع بعض القصاص في لوثة هذه الفرق، وقال بأقوالهم، وتبنى أفكارهم مثل عبدالواحد بن زيد^(١)، وجواب بن عبيد الله التيمي^(٢)، ومنصور بن عمار^(٣)، وعيسى بن صبيح^(٤) وغيرهم^(٥).

٢- كانت النسبة الكبرى للعامة كالعصور السابقة، فقد بلغت (٦٢٪)، وقد مرّ سبب هذه الحفاوة بالعامة من قبل القصاص.

٣- نهج قصاص هذا العصر الإيجاز في نصحهم للحكام والقصاص عليهم، وهو منهج مطلوب، وطريقة سليمة مع المدعويين بعامة، ومع الحاكم بخاصة احتراماً لأوقاتهم، ولما اعتادوا عليه، وقد سلك القصاص هذا المسلك لأمرين:

الأول: أن بعض المقربين من الحكام كانوا يوصون القصاص بالاختصار:

من ذلك أن يحيى بن خالد البرمكي كان يقول لابن السمّك: ((إذا دخلت على هارون أمير المؤمنين فأوجز ولا تكثر عليه))^(٦).

الثاني: أن القصد في القصّ، والإيجاز فيه هو من مراعاة أحوال المدعويين، ومن أسباب القبول.

فعن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول وهو على المنبر: ((أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده، فقليل: كيف ذاك أصلحك الله؟ قال: يجلس أحدكم قاصّاً فيطوّل على الناس حتى يبغض إليهم ما هم فيه))^(٧).

() : (/) .

() : (/) .

() : (/) .

() : (/) (/) (/) .

() :

() : (/) .

ولذلك لما أوجز ذو النون المصري القاص حين كتب إلى المتوكل، قال له يحيى بن أكرم: هذا بس يا أبا الفيض؟ فقال له: هذا لهذا كثير إن أراد الله به خيراً^(١).

٤ - كان لجملة من القصاص مناصحة فردية لبعض أصدقائه وأقربائه وأناس غيرهم. وقد بلغت نسبة ذلك (٢٤٪).

والمراد بالمناصحة الفردية: (دعوة الأفراد) أي دعوة الناس منفردين بالفردية هنا من حيث المدعو.

إن كثيراً من الناس يجهلون أهمية الدعوة الفردية، وذلك ظناً منهم أن الدعوة ينبغي أن تكون للناس عامة، وذلك بإلقاء المواعظ والمحاضرات والدروس، والحقيقة أن هذا لا يكفي، فالدعوة الفردية تكون نافعة في أغلب الأحيان أكثر من الدعوة الجماعية، ولهذا نجد أن النبي ﷺ اهتم بالدعوة الفردية؛ خاصة في أول مراحل الدعوة. فقد كان وضع اللبنة الأساسية للدولة الإسلامية عن طريق الدعوة الفردية التي أثرت في الناس أيما تأثير، فجعلت الأفراد المتمسكين بهذا الدين مضحين له بالغالي والنفيس^(٢).

وقد ذكر بعض المعاصرين الحالات التي يحسن بالداعية أن يستخدم فيها الدعوة الفردية منها:

١ - المكانة الاجتماعية للمدعو: إن بعض الأفراد يكون معتزلاً بوضعه الاجتماعي، ويرى أنه لو خالط عامة الناس في تجمعاتهم لذهبت تلك المكانة التي يتمتع بها.

٢ - جليس السوء: إن البيئة التي يعيش فيها المدعو لها تأثير على شخصيته فمن خالط جلساء السوء انحرفوا به عن الجادة، فالمرء على دين خليله، فمن كانت هذه حالته فإنه يصعب التأثير عليه نظراً لالتفاف رفاق السوء عليه ولقلة حيائهم ومجاهرتهم برد الحق وتفاخرهم بارتكاب المعاصي والآثام. ففي هذه الحالة يحسن الانفراد بالمدعو بعيداً عن هذه الرفقة السيئة حتى يمكن التأثير عليه بتوفيق الله تعالى.

٣ - الحالة النفسية للمدعو: إن من الأسباب العائقة عن الهداية: نفور المنحرفين من الدعاة والمتمسكين بالدين. وهؤلاء إما أن يكون الشيطان قد استحوذ عليهم، فهم يعرفون الحق ولكنهم يبتعدون عنه كبيراً وعناداً، أو لأنهم يرون أنه لا يمكن الالتقاء مع المتمسكين بالدين نظراً لتنافر الطباع والأمزجة. فهؤلاء يصعب

(/) ()

(/) ()

: ()

الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألما مبرحاً، فلا يسوقها إلى المقصد ولا يصلح لرياضتها..... وأما المفرط فإنه الذي يقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط، وهو مذموم أيضاً؛ لأنه يمنع من العمل، وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف، وإلى الوله والدهشة وزوال العقل. فالمراد من الخوف ما هو المراد من السوط، وهو الحمل على العمل^(١).

إن المبالغة في الوعيد، وغلق باب الرجاء والتوبة في حقّ المقصرين والمذنبين مسلك يخالف ما جاء في الكتاب والسنة .

قال الله تعالى: (هُدًى مِّنْهُ هَدَىٰ بَهِيمٍ هَاهُنَا هَاهُنَا حَمَلٌ مُّتَمَرِّدٌ مُّذْمُومٌ) (١).

ومن السنة قوله ﷺ: ((إن عبداً أصاب ذنباً، فقال: رب أذنبت فاغفر لي، فقال ربه: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله. ثم أصاب ذنباً، فقال رب أذنبت آخر فاغفره. فقال أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي. ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنباً فقال: رب أصبت آخر فاغفره لي. فقال: أعلم عبدي أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به؟ غفرت لعبدي -ثلاثاً- فليعمل ما شاء)) (١).

إن الواجب على القاص فتح باب الرجاء أمام المذنبين، وتعليق قلوبهم بربهم، وبيان عظم رحمته، وكبير مغفرته، لا تقنيطهم وتيئيسهم . ولقد عقل علماء السلف ذلك، فقاموا بتأصيله وتأكيدَه على القصاص، وتحذيرهم من هذا المسلك. من ذلك أن القاص عبيد بن عمير-رحمه الله-دخل على أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-فقال: من؟ فقالت: عبيد بن عمير، فقالت: ألم أحدث أنك تجلس ويجلس إليك؟ قال: بلى يا أم المؤمنين، قالت: فإياك وإهلاك الناس، وتقنيطهم^(١).

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: ((ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله، ولم يؤمنهم مكر الله)) (١).

٢- حرص القصاص على إدخال المحسنات البديعية في قصصهم على نحو ما كان يفعل الشعراء والكتاب ليكون قصصهم أكثر تقبلاً وشيوعاً .

(/) : (/) ()

() ()

(/)(□□□□□□) ()

(/)

(/) (/) (/) ()

(/) : (/) ()

إن القاص له أسلوبه الخاص الذي يؤدي فيه قصصه، وبما أنه يجمع الناس إليه، ويحرص على جذبهم إلى مجلسه؛ فإن من الطبيعي أن يستغل كل ما من شأنه الوصول إلى هذه الغاية ومن أبرز ذلك: **السجع** وبلغت النسبة في ذلك (٢٢٪). ولم تكن هذه الخاصية منتشرة ((في القرون الأولى بعد الإسلام. وما يكاد القرن الهجري الرابع ينتصف حتى تعود هذه الظاهرة إلى الشيوع فتطغى على كثير من نثر هذا العصر وقد فسر المسلمون ضمور السجع في أول الإسلام بأن النهي قد وقع عليه))^(١).

لقد أصبح السجع في المواعظ والقصص سمة بارزة في القرنين الخامس والسادس مما حدا ببعضهم إلى أن صنف كتباً تجمع القصص والمواعظ التي يغلب عليها السجع المتكلف مثل أطباق الذهب في المواعظ البليغة للأصفهاني، وأطواق الذهب في المواعظ والخطب للزمخشري^(٢).

واشتهر بين القصاص أن الاستعانة بالسجع مُعين على اجتذاب أسماع الناس، ويحتفظ بعدد أكبر، ولاسيما من العامة. وقد برر أحد القصاص استعماله السجع في كلامه دون النثر بأن السجع أعلق في الذهن .

سئل الرقاشي-رحمه الله-: ((لِمَ تَوَثَّرُ السَّجْعُ عَلَى الْمُنْثُورِ، وَتَلْزِمُ نَفْسَكَ الْقَوَافِي وَإِقَامَةَ الْوِزْنِ؟ فَقَالَ:..... إِنَّ الْحِفْظَ إِلَيْهِ أَسْرَعُ، وَالْأَذَانَ لِسَمَاعِهِ أَنْشَطُ؛ وَهُوَ أَحَقُّ بِالْتَقْيِيدِ وَبِقَلَّةِ التَّقَلُّتِ، وَمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الْعَرَبُ مِنْ جَيِّدِ الْمُنْثُورِ، أَكْثَرُ مِمَّا تَكَلَّمْتُ بِهِ مِنْ جَيِّدِ الْمَوْزُونِ، فَلَمْ يُحْفَظْ مِنَ الْمُنْثُورِ عَشْرَهُ، وَلَا ضَاعَ مِنَ الْمَوْزُونِ عَشْرَهُ))^(٣).

بل إن بعض القصاص لُقّب بالسجّاع لكثرة استعماله السجع في قصصه^(٤). يقول الدكتور شوقي ضيف: ((وقد ارتقوا بصناعة النثر في المعاني طويلاً، واستنبطوا منها كثيراً من الدقائق التي تمسّ القلوب والعقول.... وأدّاهم ذلك في بعض الأحيان إلى استخدام السجع، بل منهم من أكثر من استخدامه مثل الفضل بن عيسى الرقاشي))^(٥).

وقد كره بعض السلف السجع في القصص والمواعظ والدعاء ونحو ذلك لاسيما إذا كان فيه تكلف ظاهر، وخروج عن مقصود الكلام .

()

: ()

(/)

: ()

()

قال ابن عباس رضي الله عنهما لعكرمة: ((وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه، فإنني رأيت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلون إلا ذلك يعني لا يفعلون إلا ذلك الاجتناب))^(١).

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله:- ((وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه أي: لا تقصد إليه، ولا تشغل فكرك به، لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء))^(١).

وقالت عائشة-رضي الله عنها- لابن أبي السائب قاصّ المدينة: ((إياك والسجع فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون))^(١).

قال الغزالي-رحمه الله:- ((ويدخل فيه كل سجع متكلف، وكذلك التفاسح الخارج عن حدّ العادة، وكذلك التكلف في المحاورات))^(١).

فما ذمّه السلف وأنكروه إنما هو السجع المتكلف المتصنع الخارج عن حدّ الإفهام، وأمّا

السجع الحسن فلا بأس به في المواظظ والخطب، يشهد لذلك مجيئه في السنة^(١).

فقد وردت عدة أحاديث السجع فيها ظاهر كحديث: ((أيها الناس أفضوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام))^(١).

وحديث: ((أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة))^(١).

(/)

()

()

(/)

()

(/)

: (/)

()

(/)

()

:

()

(/)

:

(/)

:

:

ﷺ

()

.

:

(/)

(/) (٤)

()

قال الغزالي-رحمه الله-: ((ولا يدخل-السجع المذموم-في تحسين ألفاظ الخطابة والتذكير، من غير إفراط وإغراب، فإن المقصود منها تحريك القلوب، وتشويقها))^(١).

المبحث الثالث

أوجه الاستفادة من نتائج الدراسة التحليلية في العصر الحاضر

:

المطلب الأول: أوجه الاستفادة من مصادر الاستشهاد

المطلب الثاني: أوجه الاستفادة من القضايا الرئيسية

المطلب الثالث: أوجه الاستفادة من جانب المدعو المستهدف

المطلب الرابع: أوجه الاستفادة من الخصائص

إن دراسة أساليب القصاص ومنهجهم في الدعوة إلى الله، والاطلاع على جهودهم في معالجة شتى النواحي الدعوية مطلب مهم لكل مهتم بالعلم الشرعي، وبالدعوة على وجه الخصوص . وإن المتأمل في قصص القصاص، والمطلع على أساليبهم وطرقهم أيًا كانت ليخرج بفوائد متعددة: إيجابية فيحرص على تطبيقها، وناقصة فيسعى إلى إكمالها، وسلبية فيحذر من سلوكها والوقوع فيها، وهذا هو المنهج الذي سرتُ عليه في هذا المبحث .

المطلب الأول:

أوجه الاستفادة من مصادر الاستشهاد

لقد مرّ في الدراسة التحليلية جملة من المصادر التي استقى منها القصاص مواعظهم وأخبارهم، وإن الواجب على قصاص هذا العصر الاستفادة من صحيح المصادر، والحذر من ضعيفها . وأفضل ذلك في الفروع الآتية:

الفرع الأول: الاعتماد على الكتاب والسنة

يجب أن يكون اعتماد القاص في قصصه على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهما أصل كل موعظة .

وإنّ القاصّ حين يحثّ الناس على أمر، ويحدّثهم من آخر ينبغي أن يبين لهم الدليل، ولا يجعل حديثه أو امر ونواهٍ مجردة عن الدليل، وأن يذكر المنافع أو المضار للشيء المأمور به أو المنهي عنه، وكل ذلك مُتضمن في الكتاب والسنة، بالتأمل والتدبر لنصوصهما .

فإذا أراد القاص أن يُثري قصصه ومواعظه، ويُبلغ كلامه فإن أمامه قصص ومواعظ يعجز الفصحاء عن مجاراتها، وينقطع الحكماء دون محاكاتها، وأين كلام الله من كلام البشر؟، وأين كلام من لا ينطق عن الهوى من كلام عامة البشر؟! (١)

وقد يعطي الله-تعالى- بعض خلقه لساناً فصيحاً وبياناً بليغاً، لكن الموعظة منه لا تكتمل دون الاستشهاد بالكتاب والسنة؛ فإن لهما أثراً وهيمنة على القلوب. إن من أبرز المآخذ على بعض القصاص في العصر الحاضر: ملء مواعظهم بالقصص والقصائد والحكايات، بل وتغليب جانب الضحك بدعوى الترويح على الناس، والاستمرار على هذا النهج، فلا تكاد تسمع آية أو حديثاً، وهذا من قلة الفقه؛ ذلك أن ربط الناس بالآيات والأحاديث هو أعظم مؤثر في نفوسهم: (ث و و و و) (٢) . وقد أثر عن بعض السلف جملة من العبارات مفادها أن من لم يتعظ بالقرآن فلن تنفعه المواعظ (٣).

إنّ مما يؤسف له حقاً أن المنابر تكاد تخلو من التذكير بما قصه القرآن الكريم من القصص، مع عظم العبرة، وقوة الموعظة فيها. فإن الخطيب البارع يستطيع أن ينزلها على واقع المخاطبين مع الإيجاز والتوجيه لتغدو أحداثها كأنما هي واقعة بينهم، ماثلة أمام أعينهم، ومهما كانت القصة طويلة، فإنه يستطيع أن يخلص إلى زبدتها وخلاصتها بأسلوب بليغ وجيز، وبأداء فصيح لا يتجاوز في زمنه دقائق معدودة، بل ربما رأى أن الأفضل توزيعها على أكثر من خطبة، مع الربط بواقع الناس، والتحذير من نقمة الله تعالى وأليم عقابه، وشدة بطشه، وبيان سنته في المكذبين والمعرضين الغافلين .

إن القاص البليغ، والداعية الموفق لا ينبغي له أن يغفل عن هذه الذخيرة الجليلة من بيان ما يذكر به، فإن التذكير بالقصة تذكير بالقرآن (٤).

() :

() ()

() : (/)

() :

- (/) .

فكان الجواب: ((الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ليس مؤلفه من أهل الحديث، أو في خطب ليس مؤلفها كذلك فلا يحل ذلك، ومن فعله عزر عليه التعزير الشديد. وهذا حال أكثر الخطباء، فإنهم بمجرد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها، وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الأحاديث أصلاً أم لا. فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك، ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه..... بل وجاز لولي الأمر أن يعزله من وظيفة الخطابة زجراً له عن أن يتجرأ على هذه المرتبة السننية بغير حق))^(١).

وإنما شدد أهل العلم في ذلك لعظيم الأثر السيئ المترتب على نشر ضعيف الأحاديث وموضوعها، وتشويه التاريخ الإسلامي وأعلام الأمة الإسلامية من الصحابة والتابعين وغيرهم.

يقول بعض المعاصرين: ((لقق القصاص في عهد تدوين الحوادث قصصاً كثيرة مختلفة، فمنها النافع ومنها الضار، منها ما يضر بالدين، ومنها ما يضر بالعقل، ومنها ما يضر بالأخلاق ومنها ما يضر بالعلم، ومنها ما يضر بسمعة الإسلام، ومنها ما يضر بسمعة العرب لأنها من وضع الشعوبية^(٢)، فأخذها المتأخرون على أنها مادة تاريخية جديرة بالبحث))^(٣).

ويقول غيره في تحديد أدق: ((ما كاد مسلسل خالد بن الوليد يتجاوز حلقاته الأولى حتى ظهر واضحاً أن أخبار القصاصين وأهل الوضع في عصور مضت ستطغى على ما في كتب الصحاح ومصادر التاريخ الإسلامي من حقائق))^(٤).

ويحسن هنا التحذير من بعض كتب القصص التي كثر فيها الغث وقلّ السمين، فمع ما فيها من خير وأحاديث صحيحة إلا أنها تطفح كذلك بالأحاديث الضعيفة، والموضوعية، والقصص الواهية، والأخبار الكاذبة.

قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((الموجود في كتب الرقائق والتصوف من الآثار المنقولة، فيها الصحيح، وفيها الضعيف، وفيها الموضوع. وهذا الأمر متفق عليه بين جميع

()

: ()

: (/) (()):

(/) ()

. " : ()

المسلمين لا يتنازعون أن هذه الكتب فيها هذا وفيها هذا^(١).

ومن هذه الكتب ما يأتي:

١- تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين لأبي الليث نصر السمرقندي.
قال الذهبي-رحمه الله-: ((وفي كتاب تنبيه الغافلين موضوعات كثيرة))^(١).

وقال الشيخ محمد بن عثيمين-رحمه الله-: ((تنبيه الغافلين كتاب وعظ، وغالب كتب المواعظ يكون فيها الضعيف، وربما الموضوع، ويكون فيها حكايات غير صحيحة، يريد المؤلفون بها أن يرفقوا القلوب وأن يبكوا العيون، ولكن هذا ليس بطريق سديد؛ لأن فيما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله ﷺ من المواعظ كفاية

ولا ينبغي أن يوعظ الناس بأشياء غير صحيحة سواء نُسبت إلى الرسول ﷺ، أو نُسبت إلى قوم صالحين قد يكونون أخطأوا فيما ذهبوا إليه من الأقوال والأعمال، والكتاب فيه أشياء لا بأس بها، ومع ذلك فإنني لا أنصح أن يقرأه إلا الشخص الذي عنده علم وفهم وتمييز بين الصحيح، والضعيف، والموضوع))^(١).

وقال الشيخ أبو الفضل الغماري-رحمه الله-: ((وكتاب تنبيه الغافلين يشتمل على أحاديث ضعيفة وموضوعة، فلا ينبغي قراءته للعامه))^(١).

٢- بستان العارفين للسمرقندي أيضاً.

٣- قرّة العيون ومفرح القلب المحزون للسمرقندي كذلك .
ذكر شيخ الإسلام أن جمهور مصنفي الأخبار والقصص لا يميّز بين الصحيح والضعيف، والغثّ والسمين وذكر من بينهم نصر السمرقندي^(١).

٤- الروض الفائق في المواعظ والرقائق لأبي مدين الحريفيش .
غالب القصص والأخبار التي أوردها عن الجنة والنار والحوار العين وغيرها كذب لا يصح^(١).

(/) ()

(/) ()

()

()

(/)

: ()

(/)

٥- روض الرياحين في حكايات الصالحين لأبي السعادات الياضي .
ذكر مؤلفه جملة من قصص المتصوفة ومناماتهم، وفيه مبالغات ذكر فيه
صاحبه منامات الصالحين، وضمّنه مخالقات كالغلو في الصالحين وفي أعيان
المتصوفة المتأخرين من ذلك: أن الله باهى موسى وعيسى-عليهما السلام- بأبي
حامد الغزالي^(١)، وطوام أخرى.

٦- شمس المعارف الكبرى لأحمد بن علي البوني .
قال الشيخ عبدالله بن جبرين: ((هذا الكتاب من كتب الخرافيين، وقد شحنه مؤلفه
بالأكاذيب و القصص الباطلة، وفيه عقائد باطلة يكفر من اعتقدها، وهو أيضا
مليء بأمور السحر و الكهانة، وأكثر من يفتنيه هم السحرة و أهل الشعوذة ...
فنصح كل مسلم بالبعد عنه، ومن حصل عليه فليحرقه))^(١).

٧- الدرّ الحسان في البعث ونعيم الجنان للسيوطي .
قال الشيخ مشهور بن حسن: ((وهو طافح بالأخبار التالفة، وبالقصص الواهية،
والأحاديث الموضوعية))^(١).

٨- عرائس المجالس في قصص الأنبياء لأبي إسحاق الثعلبي.
وهو كتاب شُحن بغرائب القصص والأخبار، والإسرائيليات .
قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: ((علماء الجمهور متفقون على أن الثعلبي و أمثاله
يروون الصحيح و الضعيف، و متفقون على أن مجرد روايته لا توجب اتباع
ذلك، ولهذا يقولون في الثعلبي و أمثاله: إنه حاطب ليل يروي ما وجد سواء كان
صحيحا أو سقيما))^(١).

٩- حياة الصحابة للكاندهلوي .
قال الشيخ حمود التويجري-رحمه الله-: ((وهو مملوء بالخرافات والقصص
المكذوبة والأحاديث الموضوعية والضعيفة))^(١).

١٠- بعض كتب ابن الجوزي الوعظية.

: ()

. (/)

: ()

(/) ()

(/) ()

(/) : (/) ()

()

مثل: المدهش، وذم الهوى، والتبصرة، والمواظب والمجالس وغيرها .
ومع أن ابن الجوزي-رحمه الله-كان كثيراً ما ينبه القصاص من الاستشهاد بالموضوعات والأباطيل ولكنه وقع فيما حذر منه .
وقد ذكر شيخ الإسلام-رحمه الله-أن جملة من العلماء يروون في كتبهم أحاديث غرائب وذكر منهم ابن الجوزي^(١) .

قال السخاوي-رحمه الله-: ((وقد أكثر ابن الجوزي في تصانيفه الوعظية وما أشبهها من إيراد الموضوع وشبهه))^(١) .

وقد حذر الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- من قراءة بعض كتب ابن الجوزي على الناس^(٢) .

قال الشيخ مشهور حسن: ((وعلى الرغم من أن ابن الجوزي قد ألف كتاب "الموضوعات" ليتجنبها القصاص والوعاظ، فهو مع ذلك قد شحن كتبه الوعظية بالأحاديث الموضوعية والقصص الباطلة، والأخبار التالفة))^(٣) .

وأشير هنا إلى أن من أعجب مكائد الشيطان على بعض القصاص أن الواحد منهم قد يفترى الكذب في قصصه عمداً ويعلل ذلك بأنه من باب "مصلحة الدعوة"، أو أخذاً بمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة"، ويعني أن المقاصد والغايات إذا كانت مشروعة؛ جاز للإنسان أن يتوصل إليها بأي وسيلة متاحة ولو كانت ممنوعة شرعاً .

وهي عبارات مرفوضة مطرحة لأنها مزلة ومدخل للشيطان فلا انفكاك بين الغايات والوسائل، فكلاهما خاضع لحكم الشرع.

يقول العزّ بن عبدالسلام-رحمه الله-: ((لا يُتقرب إلى الله إلا بأنواع المصالح والخير، ولا يُتقرب إليه بشيء من أنواع المفسد والشور))^(٤) .

إن من أكبر الخطأ أن ينظر القاص إلى ما سيحصل بين يديه من التأثير بما لم يثق فيه من القصص المؤثرة، مقابل أن يهمل مصداقيتها المستقبلية في قصصه .

الفرع الثالث: الاستشهاد بالقصة المؤثرة

(/) : ()

()

(/)

: ()

(/) ()

(/)

()

٢- قصة نسج العنكبوت وبيض الحمامة على فم الغار.

قال الألباني-رحمه الله-: ((واعلم أنه لا يصح حديث في عنكبوت الغار والحمامتين على كثرة ما يذكر ذلك في الكتب والمحاضرات التي تلقى بمناسبة هجرته إلى المدينة، فكن من ذلك على علم))^(١).

٣- قصة استشهاد أبناء الخنساء الأربعة^(٢).

٤- قصة قتل أبي عبيدة بن الجراح لوالده .

قال ابن حجر-رحمه الله-: ((مات والد أبي عبيدة قبل الإسلام))^(٣).

الثاني: أن عليه ألا يقف عند جزئيات الحوادث التاريخية وتفاصيلها،

ويهمهم ل الدروس والعبر المستفادة منها، فإنها هي المقصودة من القصص، قال الله تعالى: (□ □ □ □ □)^(٤) ولكن ينبغي أن تكون الاستفادة باستنباط الدروس والعبر بلا مبالغة ولا تهويل، بحيث لا يستتبط منها غير ما تنبئ عنه، وبذلك توضع القصة في موضعها الصحيح.

إن الاسترسال في عرض القصة والتكلف في معرفة تفاصيلها التي لا ينفع العلم بها، ولا يضر الجهل بها يؤدي إلى انصراف الناس عن مدلول القصة ومغزاها إلى الخوض في أحداثها.

() (/)

: ()

: (/) :

() ()

الفرع الرابع: الحذر من ذكر الغرائب

لعل من أبرز ما انشغل به بعض القصاص المعاصرين: إيراد القصص الغريبة رغبة منهم في ترهيب المدعوين، أو ترغيبهم، فيكثُر الحديث مثلاً عن قصص ساعات الاحتضار، وتغسيل الأموات، وحوادث السيارات، وما يكون في المقابر، ونحو ذلك من حصول ألفاظ كفرية، ومشاهد محزنة، كرفضه ذكر الشهادة لأنه كان ممن يسمع الغناء أو ((قصة الشاب الذي تحوّل لون بشرته من أبيض إلى أسود بعد موته؛ لأنه لا يصلي الفجر جماعة))^(١) أو لأنه عاق لوالديه ونحو ذلك^(٢).

ولا يعني ذلك عدم حدوثها البتة، فقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة.

(١) :

/ /

(٢) :

//

:

.

//

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((كم شاهد الناس من هذا عبرا-أي من سوء الخاتمة- والذي يخفي عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم))^(١).

وإن من أبرز علاجات ضعف الإيمان: الخوف من سوء الخاتمة، لأنه يدفع المسلم إلى الطاعة، ولكن الإيغال في ذكرها، والإكثار من تردادها؛ مظنة حصول الكذب فيها، ولا سيما ما يُنعت بأنه قصص واقعي، والقصص بطبعها مشوقة؛ فالناس مجبولون على حب القصص، والفضول يستجرهم إذا سمعوا أولها أن يرفعوا لها أسماعهم حتى آخرها بلا ملل.

وليست اللائمة في إدراج القصص في المواعظ، ولكن في الاستكثار من قصص-يسمونها واقعية-تُلقي بلا خطام ولا زمام، وأكثرها موغل في الإغراب، تُغني نكارة منته عن البحث في سنده.

قال الدكتور إبراهيم السماري: ((يلجأ بعض الدعاة إلى رواية القصص التي لم تثبت صحتها، عن أحوال العصاة والتائبين، بغرض استمالة المدعوين، ولذا تراه يرويها بطريقة معينة بغرض تهيج مشاعرهم، وربما كان فيها من التناقض ما يصرف الناس عن قبولها))^(٢).

ولو لم يكن من سواة الاستكثار من هذه القصص -مهما صح سندها- إلا الزهد في قصص الكتاب والسنة، الناطقة بالعبرة والذكرى، المبرأة من الحشو والتناقض، لكان كافياً أن يستقلوا منها استكثاراً من قصص الوحيين، واستبدالاً للذي هو خير بالذي هو أدنى. فكيف إذا جمعوا مع الزهد في قصص الوحيين التساهل في الكذب وقصد الإغراب والمبالغة؟!، ولا أدري كيف يكتب الله لدعوة القبول في الأرض وقد بُنيت على الكذب؟!، كيف إذا كان من سوات الاستكثار من القصص الواقعية تخويف الناس بالعقوبات الدنيوية أكثر من الأخروية، وإيهامهم أن صاحب المعصية لا بد أن تعاجله عقوبة دنيوية؟! .

قال الدكتور عبدالعزيز العسكر: ((وللأسف الشديد فنحن نرى الآن أن الكثير من الوعاظ والقصاص يتوسعون بقصص وحوادث ساقوها من الأزمنة المتأخرة، قد تكون نُقلت لهم ولم يقفوا عليها، أو يتأكدوا منها، ومن ثم فهم يضحونها ويبالغون فيها وينشرونها، ثم يثبت بعد ذلك عدم صحتها عندما يتتبع الناس مصدرها مثل قصة الرجل الذي كلما أرادوا إدخاله في اللحد وجدوا حية تبين أن

() ()

()

القصة غير صحيحة، ومثلها الكثير. والأولى تجنب ذلك حتى لا نفتح المجال للتشكيك في المواعظ والنصائح^(١).

فعلى الدعاة أن يحذروا من الوقوع في هذا الشرك، وليكن لهم في مواعظ الكتاب والسنة ما يغنيهم عن إيراد الأخبار الباطلة، والقصص الكاذبة مما يضر بالدعوة.

قال الخطيب البغدادي-رحمه الله-: ((ينبغي للمنتخب أن يقصد تخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة، والروايات المستقيمة، ولا يذهب وقته في الترهات من تتبع الأباطيل والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات))^(١).

يقول مراقب مقبرة العود في الرياض: ((أستغرب عندما أسمع البعض-هداهم الله- يروون القصص المختلفة عن وجود الثعابين في المقابر، أو داخل القبور المحفورة، ويبدأون في تأويل القصص حول أعمال الميت في الدنيا، ويبحثون عن أخطائه. هذا الكلام ليس له أساس من الصحة، فالثعابين على وجه العموم كانت تتواجد بكثرة في المقابر، وذلك بسبب الأشجار الموجودة، وعندما يرفض الثعبان الابتعاد عن قبر ما فلأنه قد وضع بيضه في القبر فلا يغادر المكان بسهولة لأنها تدافع عن بيضها))^(١).

إن شهوة الكلام وبعد الصيت تدفع ببعض القصاص إلى الإغراب في حديثه وأسلوب وعظه؛ بغرض إمتاع السامعين، وإظهار العلم، والتسويق لفكرة أو طريقة، والارتزاق من وراء الإثارة التي تحدثها القصاص والحكايات الغريبة.

وقد أنكر الشيخ صالح الفوزان-حفظه الله-على بعض المعاصرين نسبة كتاب أحكام تمني الموت للشيخ محمد بن عبدالوهاب-رحمه الله-لما فيه من المخالفات الشرعية، ومنها ذكر الحكايات الغريبة.

يقول-حفظه الله-بعد أن ذكر تحذير الشيخ من قراءة بعض كتب القصاص كما نقل ذلك حفيده عبدالرحمن بن حسن-رحمه الله-^(١): ((فإذا كانت هذه طريقة الشيخ فيما ينبغي أن يقرأ من الكتب، وما ينبغي أن يترك مما يؤثر على عقائد الناس، فكيف يؤلف كتابا من هذا القبيل مشحونا بالروايات الواهية والحكايات الغريبة،

() :

//

(/) ()

() :

() :

ولا سيما في موضوع حال البرزخ التي هي من علم الغيب الذي لا يجوز الكلام فيه إلا بما ثبت عن الله ورسوله، ولا يجوز الاعتماد فيه على الأحاديث الضعيفة والمعلولة والحكايات والمنامات، مما يشمل عليه هذا الكتاب المشبوه^(١).

ومن نماذج ذلك؛ ما ظهر في الوقت المعاصر وهو كتاب بعنوان: (هرمجدون.. آخر بيان يا أمّة الإسلام) أتى فيه مؤلفه بقصص فيها من التدليس والتحريف الشيء الكثير .

وقد قام الشيخ مازن السرساوي المصري بالردّ عليه في كتاب بعنوان (كشف المكنون في الرد على كتاب هرمجدون) ،ومما جاء في هذا الرد ما يأتي:

((إن الرجل يتاجر بعواطف المسلمين، شأنه في ذلك شأن القصاص... وإن الذي دفع بصاحبنا إلى هذا المهيع المظلم، هو تلمسه الغرائب، والمثيرات. فالرجل لا تستهويه الصحاح بقدر ما تجذبه الأحاديث المثيرة، والحكايات العجيبة فهو رجل غرائب ومناكير.... وهو من القصاص الواهمين))^(١).

()

()

المطلب الثاني:

أوجه الاستفادة من القضايا

يركز القصاص-في الغالب- على كل قضية من شأنها دعوة الناس إلى الله تعالى وإقبالهم إليه، وهذا ما جعل أكثر القضايا التي يتناولها القصاص فيما له علاقة بجانب الترغيب والترهيب. ولمّا كان قصاص العصور الثلاثة قد أجادوا في قضايا مهمة، وقصروا في أخرى؛ كان لابد من بيان أوجه الاستفادة مما مضى عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: التركيز على القضايا العقدية

إن من أهم المهمات وأوجب الواجبات على من يتولى وعظ الناس، والقصّ عليهم أن يكون تركيزه على القضايا العقدية، فإن العقيدة إذا سلمت وصفت مما عكرها بثت في نفوس المدعوين وازعاً يدفع ذلك المدعو للمضي إلى فعل العبادات والتحلي بالقيم والأخلاق الكريمة .

وإن أهم القضايا العقدية الواجب تناولها جانب التوحيد، وذلك لأمر منها:

١- أن التوحيد هو الأمر الذي بعث الله- سبحانه- من أجله الرسل، وأنزل من أجله الكتب، وخلق من أجله الثقليين - الإنس والجن - وبقية الأحكام تابعة لذلك.

الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم))^(١).

وإن بعض القصاص اليوم أهملوا الحديث عن هذا الجانب، وإن تحدثوا عنه جرّدوه من الرقائق والترغيب كبيان ما للتوحيد من أثر في الرجاء والخوف، والحب ونحو ذلك.

وقد عاب ابن القيم الاكتفاء في القصص والمواعظ على النوح على الحياة والتخويف بالموت، قال-رحمه الله-: ((إنّ هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة غير أنهم يموتون وتقسّم أموالهم، وييلي التراب أجسامهم. فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا؟! وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟!))^(١).

ولمّا سئل الشيخ صالح الفوزان عن سبب ذم السلف لبعض القصاص، أجاب بأنهم: ((لا يعنون في تعليم الناس أحكام دينهم وأمور عقيدتهم))^(١).

كما أن الواجب -والحديث عن أهمية العقيدة- ألا يتحدث القاص عن ذلك إلا بعلم، فإن الزلل في مسائل العقيدة ليس كغيره، ولقد أدرك بعض علماء هذا العصر ذلك، وحذروا من بعض من يقص في المساجد وهو ذو عقيدة فاسدة.

ففي رسالة وجهها الشيخ محمد بن إبراهيم-رحمه الله- إلى الملك سعود-رحمه الله- بخصوص منع خرافي من القصص في المساجد، قال فيها-رحمه الله-: ((قدم إلى الرياض شخص يُدعى.... وجعل يقصّ في المساجد وفي بعض المجتمعات، والرجل المذكور خرافي، وله كلام حول المعتقد فاسد، فيجب -حفظكم الله- منعه من القصص هنا، وفي سائر أنحاء المملكة))^(١).

وناشد الشيخ عبدالعزيز بن باز-رحمه الله- ولاية الأمر بمنع دعاة الباطل .

()

(/) .

(/) ()

()

()

(/)

قال-رحمه الله-: ((فالواجب على ولاية الأمور أن يأخذوا على يد أهل الباطل، وأن يمنعوا من نشر باطلهم بكل وسيلة من الوسائل الشرعية سواء كان صاحب الباطل شيوعياً أو وثنياً أو نصرانياً أو مبتدعاً أو جاهلاً بأحكام الشرع المطهر . فعلى ولاية الأمور من أهل الإسلام أن يمنعوا من ذكرنا من أصحاب الباطل من أن ينشروا باطلهم ، وعليهم أن يعينوا دعاة الحق الذين يدعون الناس إلى كتاب ربهم وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، ويبصرونهم بما أوجبه الله عليهم وما حرم عليهم عن علم وبصيرة ، ويوضحون لهم حق الله وحق عباده وحق ولاية الأمور وحق كل مسلم على أخيه، هؤلاء هم الذين يعانون، ومن حاد عن الطريق ودعا إلى غير الشرع فهو الذي يمنع أينما كان))^(١).

الفرع الثاني: التركيز على الأولويات في عرض القضايا

والمقصود بالأولويات: بيان القضايا الأساسية التي يجب أن يوجه الدعاة إليها اهتماماتهم، كتقديم الأصول على الفروع، والفرائض على النوافل، والفاضل على المفضول، ونحو ذلك.

فأمور العقيدة مثلاً هي من أهم ما يجب التركيز عليها-كما سبق- وأمر الصلاة في الجانب التشريعي مقدم على غيره، وهكذا .

وإن من أشهر الأحاديث التي تقرّر مثل هذا الأمر في جانب القضايا وصية النبي ﷺ لمعاذٍ حين بعثه إلى اليمن، فقد قال له: ((إنك ستأتي قوماً أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب))^(٢).

وقد أهمل بعض القصاص هذا الجانب فغدا حديثهم منصباً على النوافل من الصيام والقيام والزهد والتفكير، ونحو ذلك .

إن تجاوز الأولويات وعدم العناية بها ينتج عنه العديد من السلبيات منها:

١- الاستغراق في الجزئيات والتفاصيل، والانشغال عن الكليات .

()

(/) .

(/)

()

(/)

أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة ؟ فقال: الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً . فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الصيام ؟ قال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً . قال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة ؟ قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام . قال: والذي أكرمك لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله علي شيئاً . فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق أو أدخل الجنة إن صدق))^(١) بالإضافة إلى ما جاء في حديث بعث معاذ ﷺ إلى اليمن الذي مرّ قريباً .

إن من أبرز مهمات القاص، وأفضل الأعمال التي تقرب إلى الله: حث الناس على تطبيق أمور دينهم، وتوجيههم أن يتعلموا أحكام الشريعة حتى يعبدوا الله- تعالى- على بصيرة، وفي ترك ذلك وإهماله تقصير بيّن، ومجازرة لما ينبغي أن يستفيد منه الناس إلى غيره من الترهات وفضول الكلام .

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: ((ومن القصاص من يأمر بالزهد في الدنيا، ولا يبين المراد، ويدرج في ذلك أخبار المتزهدين ومن خرج من ماله، ومن كان يطوي أياماً، ولا ينام الليل، ويهرب من الخلق..... ولو أن القاص فهم لأخبرهم أن المذموم فضول الدنيا الشاغلة عن الآخرة، وأن النفقة على الأهل واجبة، ثم إن العوام محتاجون إلى تعريف الفرائض، ومن هو مفرط في الصلاة، مخل بالواجب في الزكاة، متقاعد عن الحج مع الإمكان، وعن قضاء الدين مع الجدة^(٢) فأين هو والنوافل؟))^(٣) .

وعن بعض قُصاص عصره يقول العلامة الألباني-رحمه الله-: ((والقصاص هذه طبيعتهم، يجمعون الناس حولهم، وينبسطون من كلامهم، لكن من حضر جلسات هؤلاء القصاص أسأله بعد سنين: ما هي معلوماتك التي استفدتها بما يتعلق بمعرفة الحلال والحرام، والمكروه والمستحب إلى آخر ما هنالك من الأحكام؟ لا ترى أنه عنده شيء إطلاقاً، إنما عنده حكايات وعنده قصص..... لكن الخاتمة لا يخرج من هذه الدروس بشيء))^(٤) .

()

(/)

(/)

() : . : (/) ()

()

() : "

الفرع الرابع: ضرورة تناول قضايا الأخلاق

راعى الفُصّاص قضايا الأخلاق بقسميها، من مكارم ومساوئ؛ ذلك أن الأخلاق تمثل دعامة كبرى في تكوين شخصية المسلم، ولاشك في أنّ استقاء الأخلاق إنما يكون من المصادر الرئيسة: الكتاب والسنة .

إنّ المطلع على قصص القصاص ليجد جانب الأخلاق قد أخذ نصيبه كما هو الحال في العقيدة والتشريع. ذلك أن الأخلاق أساس كل خير، ومفتاح كل تقدم، وسبيل كل نجاح، ولا ترتقي المجتمعات إلا بصلاح الأخلاق، ولا تنحدر إلا بمساوئها، ولهذا كان اهتمام الإسلام بالأخلاق قوياً واضحاً، وعنايته بشأنها شديدة بينة، لأن النصوص القرآنية والأحاديث النبوية يحملان الدعوة إلى الأخلاق جملة وتفصيلاً .

إنّ أخلاق الإسلام متضمنة للأمور كلها في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، وفي الحرب والسلام، وفي البيوت والطرق، وفي البيع والشراء، وفي الأفعال والأقوال، وفي الأخذ والعطاء، وفي الرضا والغضب، وفي السراء والضراء .

والواجب على القصاص تعريف الأخلاق الحسنة: كالحلم والأناة، والشجاعة، والوفاء، والصبر، والكرم . . . ، وبيان آثارها ومنافعها في المجتمع، والحث على التخلق بها والتزامها، وتعريف الأخلاق السيئة: كالغضب، والكذب، والعجلة، والخيانة، والجبن، والبخل . . . والتحذير من الاتصاف بها.

وينبغي للقاص أن يستشهد في كل من النوعين بما جاء فيه من الكتاب والسنة الثابتة عن النبي ﷺ، وآثار الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين، وأحوالهم في ذلك، فإن لهذا شأنًا عظيمًا يوصل إلى الغاية المقصودة^(١).

إنّ الكلام عن مراعاة أحوال المدعويين باب واسع والحديث فيه متشعب. ولعلي أركز على أبرز ما ينبغي للقاص أن يراعيه في الوقت الحاضر:

أولاً: أن يحرص القاص على صلاح نفسه، فإن مدار انتفاع المدعو بالقصة قائم على ثلاث: صلاح القاص، وصحة قلب المدعو، وقوة القصة في موضوعها وأسلوبها.

قال ابن القيم-رحمه الله-: ((فتخلف الاهتداء يكون لعدم قبول المحل تارة، ولعدم آلة الهدى تارة ولعدم فعل الفاعل وهو الهادي تارة، ولا يحصل الهدى على الحقيقة إلا عند اجتماع هذه الأمور الثلاثة))^(١).

وقال-رحمه الله-: ((وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء: شدة الافتقار إليها، والعمى عن عيب الواعظ، وتذكر الوعد والوعيد))^(٢).

إن القصة والموعظة إذا خرجت من قلب صادق دخلت إلى القلب، وإن خرجت من قلب كاذب لم تجد لها موقعاً.

قال ذرّ لأبيه القاص عمر بن ذرّ-رحمهما الله-: ((ما بال المتكلمين يتكلمون فلا يبكي أحد فإذا تكلمت يا أبت سمعت البكاء من ها هنا وها هنا؟! فقال: يا بني ليست النائحة المستأجرة كالنايحة الثكلى))^(٣).

ثانياً: أن تكون القصة مشتملة على الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، متنوعة في وسائلها وأساليبها، جادة في مضامينها.

إن القصة متى ما اشتملت على ذلك كان التأثير بها شديداً، والانتفاع بها عظيماً. ولهذا يدرك المتأمل سرّ تأثير المدعويين-في الغالب-بقصص القرآن والسنة، وأحوال السلف الصالح.

ثالثاً: أن يحرص القاص على بثّ روح التفاؤل في النفوس، وتسهيل طرق التوبة على الناس. فإن كثيراً من المدعويين إذا ارتكب جرماً عظيماً وذنباً كبيراً ظنّ أنه لا ينفع معه ندم ولا توبة، وجهلوا أنّ الله-تعالى-يغفر الذنوب جميعاً.

رابعاً: أن يحذر القاص من ذكر قصص فيها الدعوة إلى الرهينة، وهجر الناس، والعزلة المطلقة، والتشديد على النفس، وإرهاقها بأنواع التكليف، والتبتل،

(١)

(/) .

(/) . ()

(/) : () ()

والتواكل، ومعاقبة النفس بأنواع العقوبات^(١) ونحو ذلك. ويعظم الأمر إذا حملها القصاص على الكرامات، وعظموها عند العوام، فتخايل لهم أن فاعل هذا أعلى مرتبة من الصحابة والتابعين.

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: ((قد لبس على خلق كثير منهم فأوهمهم أن التوكل ترك الزاد. وقد بينا فساد هذا فيما تقدم إلا أنه قد شاع هذا في جهلة القوم، وجاء حمقى القصاص يحكون ذلك عنهم على سبيل المدح لهم فيتضمن ذلك تحريض الناس على مثل ذلك. وبأفعال أولئك ومدح هؤلاء لهؤلاء فسدت الأحوال، وخفيت على العوام طرق الصواب، والأخبار عنهم بذلك كثيرة))^(١).

خامساً: استغلال المناسبات والأحداث: فقد كان ﷺ يستغل المناسبة أو الحدث، ولو كان يسيراً قد لا يوقف عنده، وينطلق من خلاله مربياً واعظاً، والشواهد كثيرة، منها :

قوله ﷺ لما دخلت العشر: ((ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه العشر))^(١).

وفي خطبته - عليه الصلاة والسلام - يوم النحر قال: يا أيها الناس أي يوم هذا؟ قالوا: يوم حرام قال: فأي بلد هذا؟ قالوا: بلد حرام قال: فأأي شهر هذا؟ قالوا: شهر حرام قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت^(١).

وأهديت له ﷺ حلة حرير، فجعل أصحابه يمسونها، ويعجبون من لينها، فقال: ((أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين))^(١).

إنّ العناية في اختيار الوقت المناسب للمواعظ والقصاص دال على فطنة القاص وحكمته، فلا يحدث الناس عن الزهد في الدنيا أو عذاب القبر، أو سكرات الموت

(/) ()

(/)

()

(/) ()

(/) :

ﷺ

(/) ()

(/)

(/) ()

(/) ﷺ

ونحو ذلك وهو في مناسبة زواج أو يحدثهم عن فضل الفقير الصابر وهم أغنياء في زمن سعة أو ماشابه ذلك، أو أن يقصّ عليهم مسائل علمية دقيقة في أوساط العامة، وقد بوّب البخاري-رحمه الله-"باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن يكذب الله ورسوله"^(١) وليس هذا من كتم العلم المنهي عنه، بل هو من حسن إنفاقه في محله، وبذله إلى أهله، وتقدير كل شيء قدره، وإعطاءه ما يستحقه .

كما إنه ليس من الحكمة في شيء ما يقوم به بعض المجتهدين من تنصيب حديثي العهد بالتوبة: وعظاً وقصاصاً يوجهون الأمة، ويقررون القواعد، ويدرسون الشريعة، ويوجهون الناس، ويحملون راية الدعوة، ويتصدرون المجالس والدروس والمحاضرات، وتقام لهم اللقاءات، فينظرون، ويقعدون مع قلة العلم، وضعف الفقه، فيقع بسبب هذا زلل خطير في المنهج وفي تربية الناس.

وهذا خطأ جسيم يقع فيه كثير من المسلمين، ولا سيما القائمين على هذه الأماكن من قنوات أو مؤسسات أو مكاتب دعوية.

وقد يقول قائل إن التائب من معصية يكون أقوى تأثيراً في الواقعين فيها! ، لكن هذا-في رأيي- غير صحيح، بل الموعظة تكون بتعليم الحلال والحرام، وبيان الحكم الشرعي، وزرع الإيمان بالله والخوف منه في قلوب السامعين ، وذكر الموت، والجنة والنار، والثواب والعقاب، وذكر سير الأنبياء والصالحين، وترغيب الناس بفعل الخيرات، وترك المنكرات، كما فعل الأنبياء عليهم السلام، والصحابة رضي الله عنهم، والأئمة المقتدى بهم.

ويعظم الخطب، وتكبر المصيبة حينما يتصدر بعض القصاص للفتوى، والمسائل العلمية المعضلة، مما ينتج عنه انصراف الناس عن العلماء العاملين، والفقهاء المتمكنين، وهذا ضياع لأمانة العلم وفقدان للأسوة الحسنة، بل هو من أسراط الساعة التي أخبر النبي ﷺ في قوله: ((إن من أسراط الساعة، أن يُلتمس العلم عند الأصغر))^(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: ((لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن علمائهم وأمنائهم))^(١).

(/) ()

(/) (/) ()

(/) ()

المطلب الرابع:

أوجه الاستفادة من الخصائص

مرّ في الدراسة التحليلية جملة من الخصائص التي اختص بها قصاص كل عصر من العصور الثلاثة، ويمكن الاستفادة من ذلك عبر الفروع الآتية:

الفرع الأول: مراعاة التوازن بين الترغيب والترهيب

إن من القصاص من يقع في التهويل والمبالغة اجتهداً في محبة الخير للناس والخوف عليهم فيقوم القاص أحياناً بتضخيم جزاء السيئة، وعقوبة المعصية، فيزيد على النصوص الشرعية التي وردت فيها أحياناً ، ويهول ويعظم أخرى، حتى يُخيّل لسامعه أن عذاب الله نازل به لا محالة، وأنه لا توبة له، وأن عمله الصالح لن ينفعه.

وقد يحدث العكس أحياناً عند البعض الآخر من القصاص، فيُهَوِّنون من المعصية ويقللون من شأنها. ويجعلون جانب الترغيب والتيسير هو المهيمن على قصصهم ومواعظهم.

والشريعة الإسلامية وسط في كلِّ أمرها، فلا يجوز بحال الإفراط في جانب على حساب الجانب الآخر، فكما أن الإسلام دين سماحة وترغيب هو كذلك دين عزيمة وترهيب .

الفرع الثاني: الحرص على الوضوح

والمقصود بالوضوح أي الوضوح في الهدف وفي العبارة والبعد عن التكلف والغموض.

إن وضوح الهدف من شأنه اختصار الطريق وتوفير الوقت والجهد، وإعطاء الدعاة قدراً كبيراً من الثقة في النفس مما يمكنهم من سرعة الإنجاز، والتدرج من نجاح إلى آخر .

إن غاية الإسلام واضحة جليّة، فالأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-دعوا الناس إلى رسالة ربانية ذات هدف واضح وغاية نبيلة.

والوضوح من أبرز خصائص الدعوة الإسلامية، قال تعالى: (كُوِّرُوا وَوُؤُوا وَوُؤُوا وَوُؤُوا) (١).

قال ابن كثير-رحمه الله-: ((إننا أنزلنا عليك الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم، ونبأ ما بعدهم، وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تكتب ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب فجنّتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه، وبالحق الواضح الجلي)) (١).

وفي الحديث: ((تركتم على البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك)) (١).

وفي رواية: ((لقد جنّتم بها بيضاء نقيّة)) (١).

إن وضوح القصد في ذهن القاص، وصياغته للقصة والموعظة بعبارة يسيرة، وبيان معبر عن المطلوب منه بـغية تسهيل فهمه، وتيسير إدراكه، وعدم التكلف في انتقاء الألفاظ والتعابير، دليل على انقياد الكلمة لصاحبها. أما الغموض فإنه يوهن القصة ويقلل من شأنها .

قال الجاحظ: ((وعلى قدر وضوح الدلالة، وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل؛ يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع..... وبذلك تفاخرت العرب، وتفاضلت أصناف العجم)) (١).

إن من قصاص العصر الحاضر من قصته عبارات منمقة غامضة، وجمل إنشائية متكلفة فارغة من المحتوى، ثم ليس وراء تلك الكلمات فائدة يخرج منها المستمعون .

() ()

(/) ()

()

(/) (/)

(/) (/) ()

(/) ()

ومن تأمل في بعض من كُتِبَ لهم القبول من العلماء المعاصرين كالشيخ عبدالعزيز ابن باز-رحمه الله-واستمع إليه وجد أن وضوح العبارة والبعد عن التكلف من أبرز ما يميّز عباراته ومواعظه .

يقول الدكتور ناصر الزهراني: ((مما يميّز الشيخ-رحمه الله-تلك اللغة السهلة، وذلك المنطق السلس، وتلك العبارات الجميلة المناسبة، الواضحة؛ وضوح المنهج، ووضوح القصد ووضوح الهدف....لم يكن الشيخ يُغرب في أساليبه، ويتشدد في عباراته، ويفلسف محاوراته))^(١).

قال أبو حامد الغزالي-رحمه الله-: ((ومقصود الكلام التفهيم للغرض، وما وراء ذلك من تصنع مضموم))^(٢).

ولا يعني هذا أن تخلو القصة من البلاغة والفصاحة، بل ذلك مطلوب لأنها أقرب إلى القلوب وأعلى للأسماع .

لأنه في المقابل هناك من القصاص، ليس بينه وبين مقام الوعظ والقصص إلا أن يعقد النية ويعزم الأمر، ثم يقف ليرتجل كلاماً ينشئه إنشاءً، لم يكلف نفسه عناء التحضير له، وترتيب أفكاره، واختيار ألفاظه، وجمع شواهد .

وهذه الفئة من القصاص هم أكثر شبيهاً بالعوام إن لم يكونوا من جملتهم، وهم إلى أمية العلم أقرب، يعظون أكثر مما يقرؤون، ولا يحققون فيما يتفوهون، مع أن أمر الوعظ قائم على الوعد والوعيد، ومبناهما على التوقيف، فلا تبشير بوعد ولا تخويف بوعد إلا بنص صحيح، والأمر فيهما لا يحتمل الاجتهاد، ولا يكفي فيه التزود (بحسن النية)، أو (نفع الله بكلامه خلقاً)، ونحو ذلك. ولذا لمّا سئل شيخ الإسلام-رحمه الله- عن رجل تاب على يديه لصوص وقطاع طرق لكنّه جمعهم على غير هدي النبي ﷺ؛ فبيّن-رحمه الله-بأن هذا من الطرق البدعية التي لا يجوز السعي إليها واستخدامها في الدعوة إلى الله^(٣) ثم ختم جوابه بقوله: ((قد علم بالاضطرار والنقل المتواتر أنه قد تاب من الكفر والفسوق والعصيان من لا يحصيه إلا الله تعالى من الأمم بالطرق الشرعية))^(٤).

()

(/) ()

(/) : ()

(/) ()

وما غرَّ بعض القصاص في ارتجال القصص من غير إعداد ولا ترتيب أفكار إلا جرعة زائدة من شعور (الثقة بالنفس)، تشبعت بها نفس أحدهم حتى لم يبق فيها متسع للشعور بالنقص، أو بالحاجة إلى المراجعة والتحضير والقراءة.

ولماذا يكلفُ أحدهم نفسه عناء القراءة والبحث وقد تيسر له من القصص ما لا يحوجه إلى النظر في الكتب، وحفظِ قصص الوحيين؟!!

ولماذا كلُّ هذا العناء وأحدهم يجد إلى التأثير في الناس، واسترعاء أسماعهم لقصصه طريقاً أيسرَ لا يكلفه أيَّ عناء؟!!

ولن تعود للقصص مكانته ما لم يترقَّ القصاص عن امتهان القصص والوعظ بمنهجهم الخاطئ وخطابهم العفوي المرتجل الذي يرسلونه كيفما اتفق.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف؛ فإنني أحمد الله-تعالى-وأشكره على ما يسر وأعان من كتابة هذا البحث. وبعد أن طويت مراحلها، وأنهيت الحديث في أغلبه بما أمكن فإنني أسجل هنا أهم ما ورد فيه من نتائج .

ولمّا كانت الدراسة ذات إطار نظري وآخر تحليلي؛ فإنني سأجعل النتائج على قسمين تبعاً لأقسام الدراسة، وذلك على النحو الآتي:

نتائج الدراسة النظرية:

١- بينت الدراسة أن القصص نوعان:
الأول: محمود مشروع. والثاني: مذموم مكروه.
فإن كانت القصة صحيحة، وذات عبرة وعظة، ومنضبطة بضوابط الشرع كان القصص محموداً مشروعاً، وإلا كان القصص مذموماً مكروهاً.

٢- بينت الدراسة أن ظهور القصاص كدعاة اتخذوا من القصة وسيلة وعظية يقوم بها أناس معينون؛ كان في صدر الإسلام، وتحديداً في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

- بينت الدراسة أن القصاص في عهد الخلفاء الراشدين على قلتهم كانوا متأثرين بقصص القرآن الكريم ومواعظه، ولم يقترن باسم القصاص في عصر الخلفاء الراشدين ما التصق به من المذمة بعد تطور القصص .

٤-أوضحت الدراسة أن تطور القصاص في العهد الأموي كان له أسبابه المتعددة، والتي منها:

-العلاقة الوثيقة بين الحكام والقصاص .

-تولية القصاص مناصب مهمة كالقضاء وقيادة الجيوش .

-تنظيم دور القصاص بتحديد الزمان والمكان، وتخصيص الرواتب، وغير ذلك .

٥-بينت الدراسة أن العهد العباسي كان امتداداً لما قبله في الاهتمام بالقصاص .

٦- بينت الدراسة بأن انتشار القصاص في العهد العباسي كان لعوامل عديدة منها :

-انغماس بعض الخلفاء في اللهو والترف .

-التكسب وطلب المال .

-ظهور الفساد بين الناس في أوقات معينة .

-فصل القضاء عن القصص .

٧-أوضحت الدراسة أن من القصاص من تميّز بصفات حسنة: كالعبادة والزهد والفصاحة، ومنهم من اتصف بصفات سيئة كالكذب والجهل .

٨-أوضحت الدراسة صفات مجالس القصص، وطريقة جلوس الحضور، وكيف تكون البداية والخاتمة .

٩-بينت الدراسة أبرز الموضوعات التي تناولها القصاص كالحديث عن الزهد وذمّ التعلق بالدنيا، والإكثار من ذكر اليوم الآخر، والحث على التوبة وفعل الطاعات، وترك المعاصي، ونحو ذلك .

١٠-كشفت الدراسة أبرز المصادر التي عُنِي بها القصاص، وهي إما مصادر أصلية كالكتاب والسنة، وإما مصادر دون ذلك كالأستشهاد بالشعر، والإسرائيليات، وكتب السيرة، والمنامات .

١١- بينت الدراسة عدداً من أصناف القصاص من نواح متعددة منها: أصناف القصاص المكانية، وأصنافهم المذهبية، وأصنافهم من حيث المستمع إليهم، وغير ذلك.

١٢- كشفت الدراسة أهداف القصاص التي يسعون لتحقيقها من وراء قصصهم، سواءً أكانت أهدافاً دعوية أم أهدافاً دنيوية .

١٣- أوضحت الدراسة أنّ المعيار الذي احتكم إليه العلماء في موقفهم من القصّاص هو: التزام القصّاص للضوابط الشرعية أثناء القص .

١٤- بينت الدراسة أن للحكام موقفاً خاصاً بهم تجاه القصاص؛ ما بين تقريب، وإبعاد، ومنع لبعضهم، وإذن لآخرين، ونصح وتوجيه، وغير ذلك .

١٥- أوضحت الدراسة مكانة القصّاص الرفيعة عند كثير من العامة، والقبول التام لهم، مما جعلهم يقبلون على مجالسهم بأعداد كبيرة وأوقات متفاوتة، ويعتقدون في علمهم وفضلهم، ويفضلونهم على كبار العلماء والفقهاء.

نتائج الدراسة التحليلية:

١- بينت الدراسة اعتماد القصاص في العصور الثلاثة على القرآن الكريم والسنة النبوية كمصدرين للاستشهاد، ويتميز عهد الخلفاء الراشدين بأعلى النسب، يليه العهد الأموي، ثم العباسي .

٢- أوضحت الدراسة أنّ الاعتماد على الكتب كمصدر للاستشهاد، كانت بنسبة أعلى في العهد الأموي ولكن بدون تحديد، بينما كانت الكتب في عهد الخلفاء الراشدين، والعهد العباسي كتباً للأنبياء، وان كانت بنسبة أعلى في عهد الخلفاء الراشدين .

٣- بينت الدراسة أن نسبة الإسرائيليات كمصدر للاستشهاد كان له نسبة عالية في العهد الأموي عن عهد الخلفاء الراشدين، بينما لم تذكر في العهد العباسي .

٤- أبانت الدراسة أن نسبة القصص الصوفية، والأبيات الشعرية، والرؤى والمنامات، في العهد العباسي أعلى من العهد الأموي ولم تذكر كمصدر للاستشهاد في عهد الخلفاء الراشدين.

٥- أوضحت الدراسة أن قضايا الإيمان باليوم الآخر: من ذكر الموت والقبر والحساب، والجنة، والنار، تمثل قضايا رئيسة للعهد الثلاثة، وان كانت ملحوظة بنسبة أكبر في العهد الأموي ومتقاربة في العهد العباسي وعهد الخلفاء الراشدين .

٦- أوضحت الدراسة أن العامة مدعو أساس في كل العهود الثلاثة، وإن كانت نسبة هذا الصنف عالية في العهد الأموي، بينما تساوت نسبة الحاكم كمدعو مستهدف في أساليب القصاص في عهدي الخلفاء الراشدين والعباسي وكانت أقل منها في العهد الأموي .

- ٧- بينت الدراسة أنّ خاصيّة الترغيب والترهيب في أساليب القصاص مرتفعة جداً في العهود الثلاثة
- ٨- أبرزت الدراسة أنّ خاصية الوضوح كانت ظاهرة في عهد الخلفاء الراشدين
- ٩- أبرزت الدراسة ظهور خاصية الاستفهام، والتنوع، والحوار في العصر الأموي
- ١٠- أوضحت الدراسة الاستعمال الظاهر لخاصية السجع في الأسلوب اللغوي عند قصاص العصر العباسي .

التوصيات:

أضع بين يدي القارئ الكريم بعضاً من التوصيات التي هي من الأهمية بمكان:

١- أوصي القصاص بضرورة التزام المنهج الشرعي الرشيد، والأخذ من معينه الصافي(الكتاب والسنة)، والحذر من العبث والخروج عن الطريق القويم والصراط المستقيم، ومن كل ما من شأنه الهبوط بمستوى الدعوة إلى الله بعمامة وبالقصة بخاصة .

٢- أوصي القصاص بضرورة مراعاة أحوال المدعوين، وأن يقوموا بتطبيق ما يقولون؛ لكي يكونوا قدوة حسنة لمستمعهم .

٣- أوصي القائمين على المحافل والمخيمات الدعوية ونحوها من قنوات أو مؤسسات وغيرها أن يتقوا الله تعالى؛ بأن يحرصوا على أن يستقطبوا لها من الدعاة والوعاظ من يُفقه الناس في أمور دينهم، ويحيي قلوبهم بمواعظ الكتاب والسنة، لا أن يجلبوا من يكون أكبر همه وأعظم شغله إيراد الغرائب وتسلية المدعوين، والإكثار من القصص الهزيلة والحكايات المكرورة .

٤- أوصي الأقسام الدعوية في الجامعات بضرورة القيام بدورات مكثفة للوعاظ والقصاص، لاسيما الذين حظوا بشهرة واسعة لدى العامة، وأرى أن ذلك مطلب ملح والحاجة إليه ماسة .

٥- أوصي الأقسام الدعوية بتوجيه طائفة من بحوث الدراسات العليا للقيام بدراسات تأصيلية لما شابه هذا الموضوع، مثل تاريخ الوعاظ والمذكرين في العصور السالفة، ووجد أسمائهم، والاستفادة من أساليبهم وتجاربهم ومواعظهم، فإنني لم أر في ذلك ما هو مدون إلا النادر القليل .

ختاماً: فإني أمل أن أكون قد وفقت في الوصول إلى نتائج طيبة، وأسهمت في توضيح حقيقة القصاص. وهذا ما سمح به الوقت والجهد، أسأل الله تعالى القبول والسداد، وأن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، إنه ولي ذلك والقادر عليه. وصلى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين .

الملاحق

(خطاب التحكيم)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد

أود إحاطة فضيلتكم بأنني بصدد القيام بدراسة بعنوان "أساليب القصاص في الدعوة إلى الله من عهد الخلفاء الراشدين إلى نهاية الدولة العباسية دراسة تحليلية تقويمية على عينة من القصص".

ونظراً لما لفضيلتكم من خبرات علمية، فإنه يشرفني أن أضع بين أيديكم نسخة من استمارة تحليل المحتوى في صورتها الأولية، راجياً من فضيلتكم التكرم بتحكيمها، وبرفقه نسخة من أهداف الدراسة التحليلية .

شاكراً لكم حسن تجاوبكم ،والله يحفظكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

الباحث

عبدالله بن إبراهيم الطويل

ثانياً : القضايا الرئيسية

قضايا أخرى					قضايا الأخلاق					قضايا التشريع					قضايا العقيدة				م			
الحث على العلم وصفة العلماء	الزهد	فضل الشام	التوبة	فضل النعم وشكرها	القدوة الحسنة	أدب الحوار	المبادرة	الفتاحة	العدل	الصبر	العبادات التطوعية				الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	الجهاد	أركان الإسلام العملية					
											الصلاة على الجنابة	الصدقة	الصوم	قيام الليل			الحج	الصوم		الزكاة	الصلاة	الشركيات والبدع
القدر	اليوم الآخر	الرسول	الكتب	الملائكة	بالله																	
																					1	
																						2
																						3
																						4
																						5
																						6
																						7
																						8
																						9
																						10
																						11
																						12
																						13
																						14
																						15
																						16
																						17
																						18

ثالثاً: المدعو المستهدف

م	العامة	الحاكم	ذوو الهيئات			الأفــــراد								
			العالم	الوزير	القاضي	الزوجة	الابن	الأخ	الصديق	الجار	الغني	المريض	غير محدد	
1														
2														
3														
4														
5														
6														
7														
8														
9														
10														
11														
12														
13														
14														
15														
16														
17														
18														

رابعاً : الخصائص

خصائص الأسلوب اللغوي								خصائص الأسلوب الدموي			م
التشبيه	الإستفهام	القسم	الأمثال	السجع	الوضوح	التنوع	الإيجاز	الحوار	الترغيب والترهيب	الحكمة	
											1
											2
											3
											4
											5
											6
											7
											8
											9
											10
											11
											12
											13
											14
											15
											16
											17
											18

فهرس الآيات القرآنية

- (ن ط ث ظ ه ه) ١-.....
- (ف ف ف ف) ٢-..... ٣٦٧
- (ج ج ج ج) ٣-..... ٤٧٣، ١٩٢-٤ (و و)
- (و و و و) ٤-..... ٣٦٩
- (ج ج ج ج) ٥-.....
- (و و و و) ٦-.....
- (ث ث ث ث) ٧-.....
- (ي ي ي ي) ٨-.....
- (ي ي ي ي) ٩-.....
- (ف ف ف ف) ١٠-.....
- (ك ك ك ك) ١١-.....
- (ع ع ع ع) ١٢-.....
- () ١٣-.....
- (ظ ظ ظ ظ) ١٤-.....
- (ك ك ك ك) ١٥-.....
- (ي ي ي ي) ١٦-.....

..... -
()

..... -
..... -
()

..... -
()

..... -
()

..... -
()

..... -
()

..... -
()

.....() -

.....() -

.....() -

.....() -

.....() -
()

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -
()

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

()

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

..... -

()

..... -

()

.....

-

()

.....

-

.....

-

()

.....

-

.....

-

.....

-

فهرس الأعلام

()

السنة

:

:

:

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- -

العائلة

()

()

بالتاريخ

()

الكتابة

()

()

()

:

()

()

:

()

()

()

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

()

()

()

()

الهيئة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّيِّئَاتِ

()

-

-

()

()

()

()

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الملاحق

()

العلنية

()

()

()

العلنية

فهرس البلدان

فهرس الفرق والطوائف

الصفحة

الفرقة أو الطائفة

فهرس المصطلحات والألفاظ الغريبة

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري
الصفحة

٢٠٨

٢٠٨

ثبت المراجع

(أ)

()



-

.

-

.

.

.

-

-

:

-

-

-

.

:

-

-

.

:

-

-

.

-

.

-

-

:

-

-

.

.

-

-

-

.

-

-

.

-

-

:

-

-

:

.

-

.

()

-

.

-

.

.

-

.

-

-

-

-

.

-

.

-

:

-

-

.

.

(ب)

-

.

.

.

-

.

:

-

.

-

.

-

-

-

.

-

:

-

-

.

.

-

.

-

.

-

. :

.

-

-

.

-

-

-

.

.

(ت)

-

:

.

-

:

-

:

-

.

-

-

-



-

-

.

:

.

-

-

-

-

-

-

.

-

-

-

-

:

-

-

.

-

-

-

.

.



-

-

-

.

-

.

-

:

.

-

.

()

-

-

:

-

:

-

.

-

-

.

-

.

:

-

-

:

-

:

-

:

-

-

:

-

:

-

-

-

-

-

(ث)

-

:

-

-

(ج)

-

-

-

- :

-

. . -

-

.

-

. : :

-

-

-

.

()

-

.

-

.

()

-

-

-

-

-

-

-

-

(خ)

-

صلى الله
عليه وسلم

-

()

-

/

-

:

(د)

-

:



-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

(ب)

- :

-

- :

-

.

(د)

:

.. :

.

(ز)

- -

-

:

-

.

.

.

:

.

:

.

-

.

(س)

:

-

-

:

:

:

-

.. :

(ش)

(ص)

() -

() -

- :

. :

-

-

-

-

.

.

-

.

:

-

-

:

-

-

.

-

:

-

:

-

-

-

.

(ض)

:

(ط)

:

:

:

(ظ)

:

-

:

(ع)

(ف)



-

-

-

-

.

-

-

:

-

-

-

:

-

.

-

-

-

:

-

-

.



-

:

-

-

-

-

.

-

.

.

-

.

-

.

-

:

-

.

.

-

.

-

.

-

-

-

.

-

-

-

-

-

(ك)

-

-

. :

-

:

-

: -

-

-

-

. :

-

-

:

-

(ج)

-

:

-

-

-

-

.

-

-

:

-

.

(م)

-

:

-

.

:

-

:

.



. -

-

-

: -

-

.

-

: -

-

:

-

.

-

- -

-

: -

-

.

-

:

()

-

:

-

.

.



-

-

-

:

.

:

-

-

-

.

-

:

-

...

-

-

:

.

(ن)

-

:

-

-

-

:

-



:

-

:

-

-

-

-

.

-

-

:

-

-

.

-

.

.

-

.

-

.

.

-

-

:

-

-

.

(و)

()

()

-

. : -

-

-

-

.

.

-

-

.

-

-

-

.

-



. . -

. -

. -

" " -

/ / . -

: " " -

/ / -

: -

// -

: -

// -

: -

// -

: -

// -

" " -

() -

فهرس الموضوعات

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

-

-

-

-

-

-

-

-

-

:

:

:

:

:

:

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

:

:

:

:

-

-

-

-

-

-

-

” ”:

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

-

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

•

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

:

-

-

-

-

-

-

-

-

-